نموذج رقم (1)

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الثبات في وجه الظالمين في ضوء القرآن الكريم

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: اسم الطالب: جهاد أحمد إسماعيل قزاعر

Signature: التوقيع:

Date: التاريخ: ٤ / ٧ / ٢٠١٥م.

الجامعة الإسـلامية – غـزة
عمـادة الدراســات العليــا
كليـــة أصـــول الديـــن
قسم التفسير وعلوم القرآن

الثبات في وجه الظالمين في ضوء القرآن الكريم

Fortitude in the face of the oppressors in the light of the Holy Quran

إعداد الطالب

جهاد أحمد قزاعر

إشراف الأستاذ الدكتور

زكريا إبراهيم الزميلي

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref

التاريخ: 2015/05/19 Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **جهاد أحمد إسماعيل قزاعر** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/** قسم **التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الثبات في وجه الظالمين في ضوء القرآن الكريم

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الثلاثاء 01 شعبان 1436هـ، الموافق 2015/05/19م الساعة الحادية عشرة صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. زكريا إبراهيم الزميلي	مشرفاً و رئيساً	....
د. محمود هاشم عنبر	مناقشاً داخلياً	....
د. فايز حسان أبو عمرة	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/** قسم التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧] .

إهــــــــــــداء

إلى والديَّ الحبيبين الغاليين

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء

إلى مشايخي وأصدقائي السعداء

إلى أهل الله وخاصته

إلى أهل الجهاد وقادته

إلى كل أرواح الشهداء الأبطال الذين يصنعون مجد هذا الدين

إلى روح الشهيد البطل محمد أحمد "أبو الصامد"

إلى الأسود خلف القضبان ضحوا بحريتهم لنحيا كرامًا

إلى كل من قدموا أطرافهم وأجسامهم لنصرة الدين

إلى كل عالم وعامل يسعى لرفعة دين الله في الأرض

إلى كل ثابتٍ على دينه في وجه الظالمين

إلى كل مسلم ومسلمة

أهدي إليهم جميعًا هذا العمل المتواضع

شكر وتقدير

يقول الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [لقمان:١٢].

الشكر أولاً وقبل كل شيء لله ﷻ، شكراً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، سبحانه له الشكر كله، وله الحمد كله، وأسأل الله أن يجعلنا من الثابتين على دينهم.

واعترافاً مني بفضل أهل الفضل، أرى لزاماً عليّ بين يدي هذا البحث أن أبادر بتسجيل شكري الخالص، وثنائي الصادق، وامتناني الكبير، لأستاذي **الأستاذ الدكتور/ زكريا إبراهيم الزميلي** حفظه الله، ونفع به الإسلام، وأعز به المسلمين، بقبول الإشراف على إعداد هذه الرسالة.

فقد فتح لي قلبه الكبير، وصدره الواسع، ولم يبخل عليَّ بنصحه وإرشاده، لتخرج هذه الرسالة بأحسن صورة وأجملها، فجزاك الله عنِّي خير الجزاء يا أستاذي الفاضل.

كما أتقدم بالشكر لأستاذيَّ الفاضلين:

فضيلة الدكتور/ محمود هاشم عنبر حفظه الله

وفضيلة الدكتور/ فايز حسان أبو عمرة حفظه الله

لقبولهما مناقشة هذه الرسالة، وإثرائها بالملاحظات القيّمة، وبارك الله فيهما.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الإسلامية محضن العلماء، ومنارة العلم، وقبلة المتفوقين، والشكر مخصوص لكلية أصول الدين، وأساتذتي بقسم التفسير وعلوم القرآن.

ولا أنسى أن أشكر قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على فتحه باب القبول لقسم الماجستير بقسم التفسير وعلوم القرآن.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل لأبي وأمي اللذين أسير في هذه الدنيا ببركتهم ورضاهم ودعائهم، وأهلي جميعاً من بعدهم.

وختاماً شكري لكل من ساعدني، وأعانني، ووقف بجانبي في إتمام هذه الرسالة، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنعم علينا بخير كتاب مبين، وتكفل بحفظ كتابه إلى يوم الدين، والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي أرسله الله للإنس والجان، وأنزل معه القرآن، فيه الحجة والبيان، والهداية وأسباب الفوز بالجنان، وأسباب النجاة من العقوبات والنيران، أذهل عقول العقلاء، وأخرس ألسنة الفصحاء والبلغاء، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بآية من مثله لعجزوا، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، ومعجزته للعالمين، من استمسك به فقد اهتدى، ومن أعرض عنه فقد غوى، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء:٨٢].

فالقرآن عجائبه لا تنقضي، وكنوزه لا تفنى، فيه العلاج من كل داء، وفيه الشفاء من كل إعياء، ما ظمئ من نهل منه، ولا استلذ من ارتوى بغيره.

أهل القرآن هم أهل الله من الأنام، وخاصته من بني الإنسان، فهو أولى ما شغل العبد به لسانه، وعمّر به قلبه وجنانه، وأفضل ما يُتوسل به لنيل الغفران، وأعظم ما يتوصل به إلى دخول الجنان.

لذا فإني قد طرقت باب القرآن، وبحثت فيه عن موضوع هو من الأهمية بمكان، خاصة ونحن في زمان كثرت فيه الملهيات عن الإيمان، والمتمسك فيه بدينه كالقابض على جمر النيران، ولأهمية الثبات في حياة المسلم، وضرورة تعزيز صمود المؤمنين في مواجهة الظالمين، والحاجة لمعرفة المؤمن وسائل وأساليب الظالمين في صد الناس عن الدين جاءت هذه الدراسة بعنوان:

(الثبات في وجه الظالمين في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية)

والله أسأل أن يجعلنا من الثابتين على دينهم.

أولاً: أهمية الموضوع:

إن الذي يحدد أهمية أي بحث وعدمه، أمران رئيسان هما:

- موضوع هذا البحث.
- حاجة المجتمع إلى هذا الموضوع.

ومما لا شك فيه أن موضوع هذا البحث: "**الثبات في وجه الظالمين**" قد اشتمل على الوصفين:

١- لأنه دراسة موضوعها القرآن الكريم، يطوف الباحث خلالها في آيات القرآن ليسلط الضوء على موضوع الثبات في وجه الظالمين في القرآن الكريم.

٢- حاجة المسلمين اليوم للثبات حاجةٌ ملحة، خاصة ونحن في زمن الفتن، حيث إن الرجل يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، أو يصبح كافراً ويمسي مؤمناً.

٣- لا شك عند كل ذي لبٍ أن حاجة المسلم اليوم لوسائل الثبات عظيمة، لأن أنظمة الظلم العالمية تُسخِّر كل إمكاناتها لدحض الحق.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

١- الاستعانة على الثبات على دين الله ﷻ من خلال هذا الموضوع القرآني.

٢- المساهمة في خدمة كتاب الله، وذلك من خلال البحث في موضوعٍ من موضوعاته.

٣- حاجة الأمة في هذا الزمان إلى دراسة قرآنية توضح وسائل الظالمين في صد الناس عن منهج الإسلام، وأسباب الثبات، ونماذج من الثابتين في وجه الظالمين.

٤- تثبيت قلوب المؤمنين من خلال قراءة هذه الرسالة.

٥- افتقار المكتبة الإسلامية إلى موضوعٍ قرآني مُحكّم يتحدث عن الثبات في القرآن الكريم.

ثالثاً: أهداف البحث:

١- نيل رضا الله ﷻ.

٢- بيان شمولية القرآن الكريم لكل مشكلات الحياة الإنسانية.

٣- فتح آفاقٍ جديدة أمام الباحثين، وذلك من خلال الموضوعات التي يتم طرحها في هذه الأطروحة والنتائج التي نتوصل إليها.

٤- بيان منهج القرآن الكريم في تثبيت المؤمنين على دين الله ﷻ.

٥- لفت الأنظار إلى مواطن القدوة الحسنة من خلال الحديث عن نماذج من الثابتين في القرآن الكريم.

٦- إثراء المكتبة الإسلامية ببحث قرآني مُحَكم يساهم في المساواة.

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع المستمر حول ما كتب عن موضوع البحث في المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية، وفي العديد من المواقع سواء في المكتبات العامة، والمواقع الإلكترونية المتخصصة، لم يجد الباحث دراسة قرآنية علمية تناولت هذا الموضوع بشكل خاص ومتكامل.

خامساً: منهج البحث:

سيتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الموضوعي، وذلك وفق الخطوات التالية:

١- جمع الآيات القرآنية ذات الصلة بالموضوع، وتصنيفها موضوعياً، وكتابتها بالرسم العثماني.

٢- ترتيب الآيات موضوع الدراسة حسب ترتيب المصحف، في كل مبحث من مباحث الرسالة.

٣- الرجوع إلى كتب التفسير القديمة والحديثة، والكتب ذات الصلة بالموضوع.

٤- الوقوف على الإشارات، واللطائف المستوحاة من الآيات، وذكر الفوائد، والعظات من الآيات.

٥- تخريج الأحاديث مع إيراد حكم العلماء عليها إن لم توجد في الصحيحين.

٦- الترجمة للأعلام المغمورين، والتعريف بغريب البلدان والأماكن.

٧- بيان الألفاظ الغريبة إن وجدت، من المعاجم اللغوية الأصيلة.

٨- عمل الفهارس اللازمة.

٩- عمل ملخص للبحث باللغة العربية، وترجمة هذا الملخص باللغة الإنجليزية.

سادساً: خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثةِ فصول وخاتمة كما يلي:

أما المقدمة فتشمل على:

أهمية الموضوع، أساب اختيار الموضوع، أهداف البحث، الدراسات السابقة، منهج البحث.

التمهيد

معنى الثبات والظلم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى الثبات لغةً واصطلاحاً.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الثبات لغة.

المطلب الثاني: معنى الثبات اصطلاحاً.

المطلب الثالث: صيغ الثبات في القرآن.

المبحث الثاني: معنى الظلم لغةً واصطلاحاً.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الظلم لغة.

المطلب الثاني: معنى الظلم اصطلاحاً.

الفصل الأول

وسائل الظالمين في صد الناس عن الدين

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: جهد أهل الباطل لنصرة باطلهم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: السعي الدائم لنصرة باطلهم.

المطلب الثاني: اجتماع أهل الباطل ضد أهل الحق.

المطلب الثالث: إنفاق الأموال للصِّد عن سبيل الله.

المبحث الثاني: السخرية والاستهزاء.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاستهزاء بالرسل.

المطلب الثاني: الاستهزاء بالأتباع.

المطلب الثالث: الاستهزاء بالمنهج.

المبحث الثالث: طلب المعجزات.

وفيه ثلاثةُ مطالب:

المطلب الأول: نزول الملائكة.

المطلب الثاني: أن يكون عند الرسول كنوز وجنان.

المطلب الثالث: طلب الكفار المعجزات مثل الأمم السابقة.

المبحث الرابع: الإشاعة والمجادلة بالباطل والمساومة على العقيدة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإشاعة.

المطلب الثاني: المجادلة بالباطل.

المطلب الثالث: المساومة على العقيدة.

المبحث الخامس: التهجير والسجن والتعذيب والقتل.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التهجير.

المطلب الثاني: التعذيب.

المطلب الثالث: السجن.

المطلب الرابع: القتل.

الفصل الثاني

منهج القرآن في تثبيت المؤمنين في وجه الظالمين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترسيخ العقيدة في نفوس المؤمنين.

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: القرآن الكريم:

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تدبر الآيات القرآنية وأثرها في ثبات المؤمن.

الفرع الثاني: اتباع القرآن والعمل به.

المطلب الثاني: قصص السابقين.

المطلب الثالث: طاعة الله تعالى واجتناب نواهيه.

المطلب الرابع: ذكر الله ﷻ.

المطلب الخامس: الدعاء.

المطلب السادس: الصبر.

المطلب السابع: معرفة عقاب المنتكسين عن الإيمان.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: وصف الناكصين بالكلب والحمار والخنزير.

المسألة الثانية: التهديد والوعيد لغير المستقيمين.

المطلب الثامن: التوكل على الله تعالى والأخذ بأسباب الثبات.

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: العلم.

المسألة الثانية: الهجرة وترك مواطن الكفر.

المسألة الثالثة: الإعداد والتدريب.

المطلب التاسع: المؤيدات الربانية.

المطلب العاشر: زاد الثابتين على الحق.

وفيه خمسةُ مسائل:

المسألة الأولى: معرفة حقيقة الدنيا.

المسألة الثانية: استشعار ثواب الثابتين.

المسألة الثالثة: تذكر الموت والدار الآخرة.

المسألة الرابعة: خشية الله ومراقبته.

المسألة الخامسة: الخوف من الاستبدال.

المبحث الثاني: دحض وسائل الظالمين.

وفيه ستةُ مطالب:

المطلب الأول: جهد أهل الباطل سيكون وبالاً عليهم.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى.

المسألة الثانية: أموالهم حسرةٌ عليهم.

المطلب الثاني: رد القرآن على السخرية والاستهزاء.

المطلب الثالث: رد القرآن على طلب المعجزات.

وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: رد القرآن على طلب المشركين نزول الملائكة.

المسألة الثانية: رد القرآن على المشركين بأن يكون عند الرسول كنوز وجنان.

المسألة الثالثة: رد القرآن المشركين بطلبهم معجزات مثل الأمم السابقة.

المطلب الرابع: رد القرآن على الإشاعة والمجادلة بالباطل.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: منهج القرآن في الرد على الإشاعة.

المسألة الثانية: رد القرآن على المجادلة بالباطل.

المطلب الخامس: رد القرآن على المساومة على العقيدة.

المطلب السادس: شدة الكافرين سكينة على المؤمنين.

وفيه أربعة مسائل:

المسألة الأولى: الابتلاء سنة الله في عباده.

المسألة الثانية: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

المسألة الثالثة: الحياة والموت بيد الله.

المسألة الرابعة: الشهادة أغلى عبادة.

الفصل الثالث

نماذج من الثابتين أمام الظالمين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ثبات الأنبياء.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ثبات سيدنا نوح عليه السلام في وجه الظالمين.

المطلب الثاني: ثبات سيدنا إبراهيم عليه السلام في وجه الظالمين.

المطلب الثالث: ثبات سيدنا موسى عليه السلام في وجه الظالمين.

المطلب الرابع: ثبات نبينا محمد ﷺ في وجه الظالمين.

المبحث الثاني: ثبات المؤمنين في وجه الظالمين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ثبات مؤمن آل فرعون.

المطلب الثاني: ثبات العلماء في زمن قارون.

المطلب الثالث: ثبات امرأة فرعون والسحرة.

المبحث الثالث: ثبات الجماعات المؤمنة في وجه الظالمين.

فيه مطلبان:

المطلب الأول: ثبات أصحاب الكهف.

المطلب الثاني: ثبات أصحاب الأخدود.

الخاتمة: وتشتمل ملخص البحث، وأهم النتائج والتوصيات، وملخص الرسالة باللغة الإنجليزية.

الفهارس: وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

التمهيد

معنى الثبات والظلم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى الثبات لغةً واصطلاحًا.

المبحث الثاني: معنى الظلم لغةً واصطلاحًا.

المبحث الأول

معنى الثبات لغَةً واصطلاحًا

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الثبات لغَةً.

المطلب الثاني: معنى الثبات اصطلاحًا.

المطلب الثالث: صيغ الثبات في القرآن الكريم.

المطلب الأول
معنى الثبات لغةً

قال ابن فارس [1]: "(ثبت) الثاء والباء والتاء كلمة واحدة، وهي دوام الشيء. يقال: ثبت ثباتاً وثبوتاً. ورجل ثبت وثبيت. قال طرفة [2] في التبيت:

فالهبيت [3]، لا فؤاد له ... والثبيت ثبته فهمه" [4].

وقال الجوهري [5]: "(ثبت) ثبت الشيء ثباتاً وثبوتاً، وأثبته غيره وثبته، بمعنى واحد. ويقال: أثبته السقم، إذا لم يفارقه. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ ...﴾ [الأنفال:٣٠]، أي يجرحوك جراحة لا تقوم معها... ورجل ثبت، أي ثابت القلب.

ويقال أيضاً: فلان ثبت الغدر [6]، إذا كان لا يزل لسانه عند الخصومات" [7].

وقال الزمخشري: "رجل ثبت وثبيت: عاقل متماسك، وقيل: هو القليل السقط في جميع خصاله. وضرب الوتد في الحائط فأثبته فيه" [8].

---

(١) ابن فارس: هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، كان إمامًا في علوم شتى، وخصوصًا اللغة فإنه أتقنها، وألف كتابه: المجمل في اللغة، وهو على اختصاره جمع شيئًا كثيرًا (وفيات الأعيان، ج١، ص ١٨).

(٢) طرفة: طرفة هو عمرو بن العبد بن سفيان يمتد نسبه إلى بكر بن وائل ليصله إلى ربيعة فهو واحد من شعراء ربيعة، وطرفة بالتحريك لقبه، وطرفة صاحب شخصية واضحة في شعره وصاحب مذهب واضح في حياته، فهو داعية من دعاة اللهو واللذة، جمع إلى فتوة الشباب وطيشه حكمة الشيوخ وتفكيرهم، وتوفي وعمره خمسا وعشرين سنة من ٥٤٠-٥٦٥م (دراسات في نصوص العصر الجاهلي، عمارة، ص ١٩٦).

(٣) الهبيت: هو الجبان الأبله. (جمهرة اللغة، ج١، ص٢٥٢).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس،ج١، ص٣٩٩، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة الأولى.

(٥) الجوهري: هو إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر، لغوي، من الأئمة، ..... مع خط ابن مقلة، أشهر كتبه: الصحاح، وله كتاب في العروض .... منه، أصله من فارس (الأعلام، للزركلي).

(٦) الغدر: والغَدَر: الجِحَرَةُ واللخاقيق من الأرض المتعادية، يقال ذلك للفرس وللرجل، إذا كان لسانهُ يثبتُ في موضع الزلل والخُصُومة (إصلاح المنطق لابن السكيت، ج١، ص٢٦٧).

(٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ج١، ص٢٤٥، تحقيق: أحمد عطار، الناشر: دار العلم، الطبعة الرابعة.

(٨) أساس البلاغة، للزمخشري جار الله، ج١، ص١٠٣، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

في الوجوه والنظائر: إن تفسير الثبات على ستة أوجه:

١- **البشارة: الثابت:** قوله تعالى: ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ...**﴾ [الأنفال:١٢] .

٢- التثبت على: شهادة أن لا إله إلا الله: قوله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا ...**﴾ [إبراهيم:٢٧] .

٣- التلقين: قوله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا ...**﴾ [إبراهيم:٢٧].

٤- الجماعات: قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا**﴾ [النساء:٧١] .

٥- الحبس: قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ ...**﴾ [الأنفال:٣٠] .

٦- الثبات بعينه: قوله تعالى: ﴿**... وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ**﴾ [الأنفال:١١] (١).

الخلاصة:

يتبين للباحث بعد الرجوع إلى أمهات كتب اللغة أن معنى الثبات في اللغة، يدور حول الاستقرار في الأمر، وعدم الانحراف عنه، والرسوخ المتين فيه.

المطلب الثاني

معنى الثبات اصطلاحاً

عرف العلماء الثبات بتعريفات عديدة، ومنها:

"أن الثبات هو التمكن في الموضع الذي شأنه الاستزلال" (٢).

ومنها: "أن الثبات هو عدم احتمال الزوال بتشكيك المشك، والثابت هو الموجود الذي لا يزول بتشكيك المشك" (٣).

ومنها "أن الثبات هو الاستقامة على الهدى، والتمسك بالتقى، وإلجام النفس، وقسرها على سلوك طريق الحق والخير، وعدم الالتفات إلى صوارف الهوى والشيطان، ونوازع النفس والشيطان، مع سرعة الأوبة والتوبة حال ملابسة الإثم أو الركون إلى الدنيا" (٤).

---

(١) الوجوه والنظائر، للدامغاني، ج١، ص ٢٢٠.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، ج٢، ص١، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى.

(٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي، ج١، ص٥٦٣، الناشر: مكتبة لبنان، الطبعة الأولى.

(٤) الثبات، للشريف، ص١١، الناشر: دار الأندلس، الطبعة الأولى.

وقد عرفه الإمام حسن البنا (رحمه الله) بقوله: " هو أن يظل الأخ عاملاً مجاهداً في سبيل غايته، مهما بعدت المدة، وتطاولت السنوات والأعوام، حتى يلقى الله على ذلك، وقد فاز بإحدى الحسنيين، فإمّا الغاية وإمّا الشهادة في النهاية" (١).

وفي التحرير والتنوير أن "الثبات أصله لزوم المكان دون تحرك ولا تزلزل، ويستعار للدوام على الفعل وعدم التردد فيه" (٢).

وبالنظر إلى التعريفات السابقة يتبين للباحث أن الثبات: هو الاستقامة على طريق الحق، والاستمساك بالعروة الوثقى، والبعد عن كل أسباب النكوص.

المطلب الثالث

صيغ الثبات في القرآن

وردت لفظة الثبات في القرآن الكريم في إحدى عشر سورة، في سبعة عشر موضعاً، بصيغ مختلفة، وقد جاءت ثمانية مواضع منها في سور مكية، وتسعة مواضع في سور مدنية، سيذكرها الباحث جميعها مع ذكر المكية أولاً، ثمّ المدنية، مع استنباط الفوائد منها.

أولاً: الآيات المكية:

الرقم	الآية	السورة	نوعها	رقم الآية
١-	﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾	هود	مكية	١٢٠
٢-	﴿ يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾	الرعد	مكية	٣٩
٣-	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾	إبراهيم	مكية	٢٤
٤-	﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴾	إبراهيم	مكية	٢٧
٥-	﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	النحل	مكية	٩٤

(١) المصفى من صفات الدعاة، للبلالي، ص١٥٨، الناشر: دار الوفاء بمصر، الطبعة الرابعة.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج١٠، ص ٣٠.

٦-	﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾	النحل	مكية	١٠٢
٧-	﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾	الإسراء	مكية	٧٤
٨-	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾	الفرقان	مكية	٣٢

فوائد من الآيات:

* ذكرت الآية في سورة هود أنَّ المقصد الأساسي من ذكر قصص الأنبياء السابقين (عليهم السلام) إنَّما هو تثبيت قلب النبي ﷺ وقلوب المؤمنين من بعده إلى يوم القيامة، وفي ذلك دلالةٌ عظيمة على أهمية دراسة قصص السابقين لتثبيت المؤمنين.

* أوضحت الآية من سورة الفرقان أنَّ الحكمة من إنزال القرآن منجماً على مدار أعوام الرسالة هو تثبيت أفئدة المؤمنين.

* بينت الآية من سورة إبراهيم أنَّ الثبات هو هبةٌ من الله ﷻ، يهبها لعباده المؤمنين، وبذلك فعلى المؤمن أن يطلب الثبات دائماً من الله ﷻ. وقد شبه سبحانه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل، الباسقة الفرع في السماء علواً، التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين، وبقوة التوحيد في القلب يكون الثبات على الطاعة في الجوارح، وبقوة الدافع الإيماني في القلب تكون الاستمرارية على الالتزام.

* يظهر من الآيات أهمية الثبات في العهد المكي، حيث الابتلاءات الكثيرة والمحن الصعبة التي كانت تتنزل على المسلمين من ظلم وتعذيب وحصار، وقد كان الثبات في العهد المكي هو السد المنيع الذي حمى هذه الدعوة المباركة.

ثانياً: الآيات المدنية:

الرقم	الآية	السورة	نوعها	رقم الآية
١-	﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	البقرة	مدنية	٢٥٠

٢-	﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	البقرة	مدنية	٢٥٦
٣-	﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	آل عمران	مدنية	١٤٧
٤-	﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾	النساء	مدنية	٦٦
٥-	﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾	الأنفال	مدنية	١١
٦-	﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾	الأنفال	مدنية	١٢
٧-	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾	الأنفال	مدنية	٣٠
٨-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	الأنفال	مدنية	٤٥
٩-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾	محمد	مدنية	٧

فوائد من الآيات:

* نلاحظ من الآيات المدنية أنَّ ستَ آياتٍ منها ذكرت الثبات في القتال، وطلب الثبات من الله ﷻ، وفي هذا دلالةً كبيرةً على أهمية الثبات في القتال، وسيرة رسول الله ﷺ في الغزوات، صورة عملية لهذه الآيات في طلب الثبات والنصر من الله ﷻ.

* نلاحظ من مجموع الآيات أنَّ لفظة الثبات، ذكرت تسع مرات في سور مدنية، وثمان مرات في سور مكية، وفي هذا دلالةً أن المسلم بحاجة إلى الثبات في كل الأحوال، وفي جميع الظروف والأوقات، ومن المعلوم أن الله ﷻ يبتلي عباده بالخير والشر.

المبحث الثاني

معنى الظلم لغةً واصطلاحًا

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الظلم لغةً.

المطلب الثاني: معنى الظلم اصطلاحًا.

المطلب الأول

معنى الظلم لغةً

الأصل الثلاثي لكلمة الظلم، ظلم. قال ابن فارس: "(ظلم) الظاء واللام والميم أصلان صحيحان، أحدهما خلاف الضياء والنور، والآخر وضع الشيء غير موضعه تعدياً.

فالأول الظلمة، والجمع ظلمات. والظلام: اسم الظلمة، وقد أظلم المكان إظلاماً، ومن هذا الباب ما حكاه الخليل من قولهم: لقيته أول ذي ظلمة. قال: وهو أول شيء سد بصرك في الرؤية.

والأصل الآخر: ظلمه يظلمه ظلما. والأصل: وضع الشيء في غير موضعه، ألا تراهم يقولون: من أشبه أباه فما ظلم، أي ما وضع الشبه غير موضعه، قال كعب:

أنا ابن الذي لم يخزني في حياته ... قديما ومن يشبه أباه فما ظلم" [(١)].

"ويقال لمن يأتمن الخائن أو يولي غير الأمين: من استرعى الذئب فقد ظلم" [(٢)].

وفي العين: "الظلم: أخذك حق غيرك. والظلامة: مظلمتك تطلبها عند الظالم، وظلمته تظليماً إذا أنبأته إنه ظالم" [(٣)].

وجاء في المعجم الوسيط: "ظلما ومظلمة جار وجاوز الحد ووضع الشيء في غير موضعه، ويقال ظلم الأرض حفرها في غير موضع حفرها، ويقال أظلم القوم، وأظلم البحر، إذا دخلوا في الظلام" [(٤)].

(ظلم): "يقع في القرآن على ثلاثة معان: الكفر، والمعاصي، وظلم الناس، أي التعدي عليهم" [(٥)].

أولًا: ما جاء في القرآن الكريم، الظلم بمعنى الكفر، قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام:٨٢].

فعن عبد الله ﷺ، قال: لما نزلت: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾ شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: **(ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم)** [(٦)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ج٣، ص٤٦٨.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، لمختار عمر، ج٢، ص١٤٢٨، الناشر: عالم الكتب.

(٣) كتاب العين، المؤلف للخليل، ج٨، ص١٦٣، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

(٤) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، ج٢، ص٥٧٧، الناشر: دار الدعوة.

(٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، ج٢، ص٢١٢، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

(٦) صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، كتاب التفسير، باب لم يلبسوا إيمانهم، ج٤، ص١٦٣، رقم الحديث ٣٤٢٩ الناشر: دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

ثانياً: جاء في القرآن الكريم، الظلم بمعنى المعصية، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥].

ثالثاً: جاء في القرآن الكريم، الظلم بمعنى التعدي على الناس، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشُّورى:٤٢].

الخلاصة: يرى الباحث بعد الرجوع إلى أمهات كتب اللغة أن معنى الظلم يدور حول أمرين وهما: وضع الشيء في غير موضعه، والظلام الذي بعكس النور. وبين المعنيين ترابط وثيق، حيث إن وضع الشيء في غير موضعه، يسبب من المشاكل الكثير، ويحول الأمر إلى ظلمات بعضها فوق بعض.

المطلب الثاني

معنى الظلم اصطلاحاً

الظلم: "هو وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه" (١).

وقال الجرجاني: "الظلم في الشريعة، عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور، وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد" (٢).

ويرى الباحث بعد هذه الجولة في معنى الثبات والظلم، أنَّ الثبات في وجه الظالمين هو: معرفة المسلم بأساليب الظالمين، ووسائلهم الماكرة، والثبات على شرع الله، من غير شكٍ في القلب، ولا مداهنةٍ باللسان، ولا ميلٍ بالجوارح والأركان، متسلحاً بشرعة الإيمان، واثقاً بنصر الله للحق على الظلم والطغيان.

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ج١، ص٥٣٧، الناشر: دار القلم، الطبعة الأولى.

(٢) كتاب التعريفات، للجرجاني، ج١، ص١٤٤، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

الفصل الأول

وسائل الظالمين في صد الناس عن دين الله تعالى

وفيه ستةُ مباحث:

المبحث الأول: جهد أهل الباطل لنصرة باطلهم.

المبحث الثاني: السخرية والاستهزاء.

المبحث الثالث: طلب المعجزات.

المبحث الرابع: الإشاعة والمجادلة بالباطل.

المبحث الخامس: المساومة على العقيدة.

المبحث السادس: التهجير والسجن والتعذيب والقتل.

المبحث الأول

جهد أهل الباطل لنصرة باطلهم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: السعي الدائم لنصرة باطلهم.

المطلب الثاني: اجتماع أهل الباطل ضد أهل الحق.

المطلب الثالث: إنفاق الأموال للصد عن سبيل الله تعالى.

المطلب الأول

السعي الدائم لنصرة باطلهم

إنَّ الناظر إلى أهل الباطل على مدار الأزمان، وفي كل مكان، يجد أنهم حريصون كل الحرص على نصرة باطلهم، وعلى نشره بين الناس، مستخدمين لذلك كل إمكاناتهم، وكل قدراتهم، مسخرين كل عقولهم يسعون بذلك لإخراج المؤمنين من نور الإيمان إلى ظلمة الكفر والعصيان.

وممَّا يبين لنا سعيهم الدائم لنصرة باطلهم، هذه اللوحة التي وضعت في أحد مراكز إعداد المبشرين، في مدريد، حيث كتبوا عليها:

"**أيها المبشر الشاب:** نحن لا نعدك بوظيفة أو عمل أو سكن أو فراش وثير، إننا ننذرك بأنك لن تجد في عملك التبشيري إلا التعب والمرض، كل ما نقدمه إليك هو العلم والخبز وفراش خشن في كوخٍ فقير، أجرك كله ستجده عند الله إذا أدركك الموت وأنت في طريق المسيح كنت من السعداء" (١).

"وهذه الكلمات حرَّكت كثيراً من جند الشيطان المبشرين بالنيران، من حملة الشهادات في الطب والجراحة والصيدلة وغيرها من التخصصات إلى الصحاري القاحلة التي لا توجد فيها إلا الخيام، والمستنقعات المليئة بالنتن والميكروبات، والمكوث هناك السنين الطوال دون راتب، ودون منصب، ولو أراد أحدهم العمل بمؤهله لربح مئات الآلاف من الدولارات، ولكنه ضحى بكل هذا من أجل الباطل الذي يعتقد بصحته" (٢).

وإذا تأملنا في كتاب الله ﷻ، نجد أنَّ هذا السعي لأهل الباطل ضد أهل الحق له أسباب منها:

السبب الأول: اجتماعهم على الكفر ضد الإيمان.

إنَّ السبب الرئيسي في اجتماع أهل الباطل ضد الحق، والمحفز الأكبر لسعيهم لضرب الحق هو أنَّهم جميعهم بينهم قاسمٌ مشترك، وهو الكفر بالله العلي الأعلى، وعدم اتباعهم لمنهج الله الذي ارتضاه لعباده في الأرض، والذي فيه صلاح الكون، وإنما يقودهم شهواتهم ومطامعهم، وهذا ما يرفضه الإسلام جملةً وتفصيلاً.

وقد ذكر لنا القرآن في كثيرٍ من الآيات ما هم عليه من الكفر بالله تعالى ومنها:

---

(١) في محكمة التاريخ، لعبد الودود شلبي، ص٩٨، الناشر: دار الشروق، الطبعة الثالثة.

(٢) المصفى من صفات الدعاة، ص١٧٤.

أولاً: كفر مشركي العرب: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت:٦٧].

ثانياً: كفر اليهود والنصارى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة:٣٠].

ثالثاً: استهزاء المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:١٤].

وقد بين لنا القرآن أنَّ الله تعالى لن يقبل من أحدٍ صرفاً ولا عدلاً إلا بالإسلام، وكل من يسلك طريقاً غيره لن ينفعه، قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقال الحسن البصري: قال أقوامٌ على عهد رسول الله ﷺ: يا محمد، إنا لنحب ربنا فامتحنهم الله بهذه الآية [١]: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

السبب الثاني: حسد الكفار للذين آمنوا: إنَّ أهل الباطل على اختلاف مسمياتهم يحسدون المؤمنين على ما هم به من الإيمان، ويتمنون لو أنَّهم يرجعون إلى الكفر، بل ويفعلون كل ما بوسعهم لرد المؤمنين إلى الكفر، قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٩].

يحذر تبارك وتعالى عباده المؤمنين من سلوك طرائق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم، ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال، حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح. عن ابن عباس، قال: كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً، إذ خصهم الله برسوله ﷺ وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا، فأنزل الله فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ﴾ [٢].

---

(١) مكاشفة القلوب، للغزالي، ص٣٩، المحقق: أحمد جاد، الناشر: دار الحديث.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج١، ص٣٨٢.

وما أكثر من يُعادي المؤمنين اليوم لأنَّ قلبه قد امتلأ غيظاً وحسداً وحقداً على المؤمنين، فأهل الباطل لا يُسعدهم أن يرو المؤمنين متمسكين بدينهم، ولا يسرهم أن يرو المؤمنين موحدين على سنة نبيهم ﷺ فكيف إذا رأوا هذا المؤمن على سُدة الحكم وسلطة، حينها سيمكرون الليل والنهار لإفشاله وإسقاطه، لأنَّ الإسلام إذا تمكن، فهذه بداية النهاية لسلطات الظلم الفاسدة، وإذا رأوا الناس عدل الإسلام لم يعدلوا به شيئا آخر ولو على رقابهم ودمائهم.

وقد وصف لنا القرآن الكريم، هذا الجهد الحثيث، والسعي الدائم لأهل الباطل، في العديد من الآيات، نذكر منها ما يلي:

الآية الأولى:

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطَّارق: ١٥-١٧].

أولاً: أقوال المفسرين:

يقول تعالى ذكره إن هؤلاء المكذّبين بالله ورسوله والوعد والوعيد يمكرون مكرا، وأمكر مكراً، ومكره جل ثناؤه بهم: إملاؤه إياهم على معصيتهم وكفرهم به، فمهل يا محمد الكافرين ولا تعجل عليهم وأنظرهم للموعد الذي هو وقت حلول النقمة بهم (١).

وقال القشيري: "أي يحتالون حيلة" (٢).

وقال الزمخشري: "يعني أهل مكة يعملون المكايد في إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق" (٣).

وقال الرازي: "وذلك الكيد على وجوهٍ منها إلقاء الشبهات، ومنها بالطعن فيه بكونه ساحراً وشاعراً ومجنوناً، ومنها بقصد قتله" (٤).

ثانياً: الوجوه البلاغية في الآية:

* مع أنَّ الآية تتكون من ثلاث كلمات، جاء بها مؤكدان، وهما:

المؤكد الأول: (إنَّ) وهي حرف توكيد، والتأكيد بها لتحقيق هذا الخبر لغرابته.

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ج٢٤، ص٣٥٩، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

(٢) لطائف الإشارات، للقشيري، ج٣، ص٧١٦، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، ج٤، ص٧٣٧، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي، ج٣١، ص١٢٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

المؤكد الثاني: (كيداً) وهي مفعول مطلق مؤكد لعامله وقصد منه مع التوكيد تنوين تنكيره الدال على التعظيم، والكيد: هو إخفاء قصد الضر وإظهار خلافه (١)، وفي هذا دلالةً على كثرة كيد أهل الباطل.

* جاء الفعل (يكيدون) بالمضارع، والفعل المضارع يدل على الاستمرارية، وفي هذا دلالةً على أنَّ هذا هو ديدن أهل الباطل في كل زمان ومكان، حيث الكيد والمكر بالمسلمين.

الآية الثانية:

﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص:٦].

أولاً: سبب النزول:

"عن ابن عباس قال مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاءه النبي ﷺ فشكوه إلى أبي طالب فقال يا ابن أخي ما تريد من قومك قال أريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم العجم الجزية كلمة واحدة قال ما هي قال لا إله إلا الله. ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥] فنزل فيهم ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص:١] إلى قوله ﴿... بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص:٨]"(٢).

ثانياً: أقوال المفسرين:

قال مقاتل: "لمَّا أسلم عمر بن الخطاب ﷺ شق على قريش إسلام عمر، وفرح به المؤمنون، وانطلق الملأ منهم وهم سبعة وعشرون رجلا، والملأ في كلام العرب الأشراف، منهم الوليد بن المغيرة، أبو جهل بن هشام، وأمية وأبي ابنا خلف، ... وغيرهم، فقال الوليد بن المغيرة: أن امشوا إلى أبي طالب واصبروا واثبتوا على عبادة آلهتكم نظيرها في الفرقان ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان:٤٢] فمشوا إلى أبي طالب (٣).

وقال الصابوني: "أي وانطلق أشراف قريش ورؤساء الضلال فيهم، وخرجوا من عند الرسول ﷺ، يقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم، ولا تطيعوا محمداً فيما يدعوكم إليه من عبادة الله الواحد الأحد ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾، أي هذا أمرٌ مدبّر، يريد من ورائه

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ج٣٠، ص٢٦٨، الناشر: الدار التونسية للنشر.

(٢) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، ص١٦٧، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، وقد أخرجه أحمد والترمذي والنسائي، وقال الألباني: ضعيف الإسناد.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان، ج٣، ص٦٢٧، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث، الطبعة الأولى.

محمد أن يصرفكم عن دين آبائكم لتكون له العزة والسيادة عليكم، فلا تطيعوه" (١).

فهم بذلك يُحرضون قومهم على التمسك بما هم عليه من الشرك والاستمرار عليه، وأن يُجاهدوا نفوسهم في الصبر عليها وعلى عبادتها، ولا يردهم عنها راد، ولا يصدنهم عن عبادتها صاد، معللين ذلك أنَّ محمدًا ﷺ له قصد ونية غير صالحة في ذلك. وهذه شبهة لا تروج إلا على السفهاء، فإن من دعا إلى قول حق أو غير حق، لا يرد قوله بالقدح في نيته، فنيته وعمله له، وإنما يرد بمقابلته بما يبطله ويفسده، من الحجج والبراهين، وهم قصدهم، أن محمدا، ما دعاكم إلى ما دعاكم، إلا ليرأس فيكم، ويكون معظمًا عندكم، متبوعاً (٢).

الآية الثالثة:

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦].

أولاً: أقوال المفسرين:

قال القاسمي: "قد مكروا أي بالنبي صلوات الله عليه مكرهم أي العظيم أي الذي استفرغوا فيه جهدهم لإبطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم أي جزاء مكرهم إن كان مكرهم أي في العظم والشدة لتزول منه الجبال، أي مسوى ومعداً لإزالة الجبال عن مقارها، لتناهي شدته" (٣).

وقال المراغي: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ "أي وقد مكروا في إبطال الحق وتقرير الباطل مكرهم الذي استفرغوا فيه كل جهدهم، وأحكموا أسبابه حتى لم يبق في قوس الحق منزع، ثم ذكر بعدئذ أن الله عليم بكل ما دبّروا فقال تعالى: ﴿وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي ومكتوب عند الله مكرهم، وهو لا محالة لمجازيهم عليه، ومعذبهم من حيث لا يشعرون، ثم ذكر أن عاقبة مكرهم الخسران والبوار، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ﴾ أي وما كان مكرهم لتزول به آيات الله وشرائعه، ومعجزاته الظاهرة على أيدى الرسل التي هي كالجبال في الرسوخ والثبات".

والخلاصة: تحقير شأن مكرهم وأنه ما كان لتزول منه الآيات والنبوات الثابتة ثبوت الجبال، فليس بمزيل شيئا منها مهما قوى وكان غاية في المتانة والعظم (٤).

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني، ج٣، ص٤٦، الناشر: دار الصابوني، الطبعة الأولى.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ج١، ص٧٠٩، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي، ج٦، ص٣٢٢، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

(٤) تفسير المراغي للمراغي، ج٦، ص٣٢٢، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي بمصر، الطبعة الأولى.

ثانياً: الوجوه البلاغية:

الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى: «وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال» فقد شبه بقوله لتزول منه الجبال مكرهم لتفاقمه وشدته، وافتتانهم فيه، وبلوغهم الغاية منه وشبه شريعته وآياته وما أنزله على نبيه من تعاليم سامية، وحجج بينة شبهها بالجبال في رسوخها وتمكنها من نفوس المؤمنين بها المتشبثين بأهدابها وهي من أرقى الاستعارات وأجملها وتزداد روعتها بأن صدور المكر المعد لإزالة الجبال صادر عن قوم جوف لا جدوى فيه ولا قوة لهم [١].

لذا **يرى الباحث** أنَّ من أهل الباطل، من هو مستعدٌ ليضحي بماله وبجهده وبنفسه، ولا أن يرى رايةً للحق خفاقة، ولا أن يرى الفضيلة قد انتشرت، لأنَّه يحمل قلباً فاسداً، فلا يسره أن ترى عيناه شيئاً صالحاً، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٣٦] .

المطلب الثاني

اجتماع أهلل الباطل ضد أهل الحق

إذا كان الحق ضعيفاً، بعيداً عن قيادة الشعوب، فالحال سيكون تقاتل أهل الباطل وتخاصمهم، وستكثر فيما بينهم الحرب، ولكن إذا ما جاء الحق، وبدأ يظهر، فالحال سيكون أن تجتمع ملل الباطل على كثرة اختلافها، وتتوحد جيوش الظلم على ما فيها من تنافر، ضد الحق الذي بدأ يظهر ويقوى، وذلك لأنهم يعلمون أنَّ الحق إذا ظهر لم يترك للباطل سبيلًا، ولن يترك لظلمهم للشعوب من طريق، وسيسلبهم كل ما يحققوه من مطامع ومظالم مما يتنافى وعدل الإسلام، فهم يجتمعون في تزينهم الكفر لبعضهم، ويتعاونون على الإثم والعدوان وظلم الناس.

المسألة الأولى: تزينهم الكفر لبعضهم:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١] .

أولاً: سبب النزول:

"عن عكرمة قال: جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم القديم، فأخبرونا عنا وعن محمد، فقالوا: ما أنتم وما محمد؟ قالوا: نحن

(١) انظر: إعراب القرآن وبيانه لدرويش، ج٥، ص٢٠٨، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية حمص، الطبعة الرابعة.

ننحر الكوماء [1]، ونسقي اللبن على الماء، ونفك العاني، ونصل الأرحام، ونسقي الحجيج، وديننا القديم ودين محمد الحديث، قالا: بل أنتم خير منه وأهدى سبيلا، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتَابِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء:٥٢] " [2].

ثانياً: أقوال المفسرين:

قال ابن كثير: "فهم (أي اليهود) يفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم، وقلة دينهم، وكفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم" [3].

وقال السعدي: "وما ذكره الله في هذه الآية هو من قبائح اليهود وحسدهم للنبي ﷺ والمؤمنين، حيث استبدلوا الإيمان بالله ورسوله، بالإيمان بالجبت والطاغوت، فدخل فيه السحر والكهانة، وعبادة غير الله، وطاعة الشيطان، وكذلك حَمَلهم الكفر والحسد على أن فضلوا طريقة الكافرين بالله عبدة الأصنام على طريق المؤمنين فقال: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لأجلهم تملقاً لهم ومداهنة، وبغضا للإيمان: ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً. فما أسمجهم وأشد عنادهم وأقل عقولهم، كيف سلكوا هذا المسلك الوخيم والوادي الذميم؟ هل ظنوا أن هذا يروج على أحد من العقلاء، أو يدخل عقلَ أحد من الجهلاء، فهل يُفَضَّل دين قام على عبادة الأصنام والأوثان، واستقام على تحريم الطيبات، وإباحة الخبائث، وإحلال كثير من المحرمات، وإقامة الظلم بين الخلق، وتسوية الخالق بالمخلوقين، والكفر بالله ورسله وكتبه، على دين قام على عبادة الرحمن، والإخلاص لله في السر والإعلان، والكفر بما يعبد من دونه من الأوثان والأنداد والكاذبين، وعلى صلة الأرحام والإحسان إلى جميع الخلق، حتى البهائم، وإقامة العدل والقسط بين الناس، وتحريم كل خبيث وظلم، والصدق في جميع الأقوال والأعمال، فهل هذا إلا من الهذيان، وصاحب هذا القول إما من أجهل الناس وأضعفهم عقلا وإما من أعظمهم عنادا وتمردا ومراغمة للحق" [4].

المسألة الثانية: التعاون على الإثم والعدوان:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر:١١].

---

(١) الناقة عظيمة السنام (مجمل اللغة، لابن فارس، ج١، ص ٧٧٤).

(٢) أسباب نزول القرآن للنيسابوري، ج١، ص١٥٦، المحقق: عصام الحميدان، الناشر: دار الإصلاح، الطبعة الثانية.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٢، ص٣٤٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ج١، ص١٨٢.

أولاً: المعنى الإجمالي للآية:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ "يعني بني النضير المتقدم ذكرهم. وأخوتهم معهم أخوة دين واعتقاد، أو أخوة صداقة وموالاة لأنهم كانوا معهم سرا على المؤمنين ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ أي من دياركم لنخرجن معكم ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ أي في خذلانكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي من الرسول صلوات الله عليه، والمؤمنين ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ أي لنعاوننكم" (١).

ففي هذه الآية فضح لهذا العهد الكاذب الذي قطعه المنافقون، للذين كفروا من أهل الكتاب، وهم اليهود الذين ما زالوا في المدينة كبنى قريظة، وبنى قينقاع، وبنى النضير الذي أجلاهم النبي عن المدينة، كما أشارت إلى ذلك الآيات في أول السورة.

والمنافقون، هم جماعة عبد الله بن أبى بن سلول، ومن انضوى إليه من أهل الضلال. وهؤلاء المنافقون، كانوا قد بعثوا إلى اليهود بعد جلاء بنى النضير ألّا يستسلموا أبداً للنبي ﷺ، وألا يخرجوا من ديارهم، وأنهم أي المنافقين يد واحدة معهم على النبي والمسلمين، فإذا كان خروج من المدينة خرجوا معهم منها، وإن كان قتال قاتلوا معهم (٢).

وفي السيرة "أن المنافقين قاموا يعملون لليهود، فقد أرسل رأس المنافقين عبد الله بن أبي إلى يهود خيبر: أن محمداً قصد قصدكم وتوجه إليكم، فخذوا حذركم، ولا تخافوا منه، فإن عددكم وعدتكم كثيرة، وقوم محمد شرذمة قليلون، عزّل لا سلاح معهم إلا قليل" (٣).

"إذاً فلقد ضمّ التّكتل المعادي للمسلمين في صدر الإسلام فئات ثلاثاً: هم المشركون الوثنيون، والمنافقون واليهود، وهم الحلف الثلاثي لمعسكر الشّر والكيد، والتّآمر والعدوان، فقد جمعتهم المصالح، لمحاربة أهل القرآن وأتباع النّبي عليه الصّلاة والسّلام، وأظهروا مواقف عدوانية خطيرة، لا بدّ من صدّها والوقوف ضدّها، ولم تمض إلا فترة زمنية قليلة إلا وانفرط عقد هذا الحلف المشبوه" (٤).

وإلى اليوم ما زال هذا التحالف قائماً، وإن تغيرت الدول والمسميات، فما زال يوجد أتباعٌ لابن سلول، يسيرون على منهاجه، مقتدين بأساليبه، ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا إخوةً لأهل الكتاب،

---

(١) محاسن التأويل، ج٩، ص١٩٠.

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب، ج١٤، ص٨٦٦، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة.

(٣) الرحيق المختوم، للمباركفوري، ص٣٣٤، الناشر: دار الهلال بيرت، الطبعة الأولى.

(٤) التفسير الوسيط، للزحيلي، ج٣ص٢٦٢٧، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى.

رافضين منهاج الله، ألسنتهم حدادٍ على كل من رفع شعار الإسلام هو الحل.

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* "اللام في قوله: لئن أخرجتم هي الموطئة للقسم، أي: والله لئن أخرجتم من دياركم لنخرجن معكم هذا جواب القسم، أي: لنخرجن من ديارنا في صحبتكم ولا نطيع فيكم أي: في شأنكم، ومن أجلكم أحداً ممن يريد أن يمنعنا من الخروج معكم وإن طال الزمان" (١).

* "التعبير بالمضارع لاستحضار الصورة، أو للدلالة على الاستمرار" (٢).

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* وصف القرآن المنافقين واليهود بالأخوة، وجعل المنافقين إخواناً لليهود، وأخوتهم تحتمل وجوها **أحدها:** الأخوة في الكفر لأن اليهود والمنافقين كانوا مشتركين في عموم الكفر بمحمد ﷺ **وثانيها:** الأخوة بسبب المصادقة والموالاة والمعاونة. **وثالثها:** الأخوة بسبب ما بينهما من المشاركة في عداوة محمد ﷺ (٣).

* ذكر في الآية الإخراج قبل القتال، مع أنَّ الأول أسبق في الزمان، لأنَّ هذا حال المنافقين، إنَّما غاية جهدهم القول والتهويل، أمَّا عند اللقاء فهم جبناء.

* "التوكيد الشديد في وعد المنافقين لإخوانهم" (٤)، ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾، وفي هذا بيان لمنهج المنافقين، حيث يدعمون كذبهم بكثرة الحلفان والتأكيدات.

المطلب الثالث

إنفاق الأموال للصد عن سبيل الله

جاء في كتاب محكمة التاريخ: "إن عدد المبشرين في الدنيا اليوم (٢٢٠) ألفاً، في أفريقيا وحدها (١١٩٠٠٠) مبشر ومبشرة ينفقون بليوني دولار في السنة، والذين يدفعون هذه الأموال يعرفون أن هذا هو أحسن وجه ينفق فيه المال اليوم، لأن الذي سيكسب المعركة في أفريقيا

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، ج٥، ص٢٤٢، الناشر: دار ابن كثير، الطبعة الأولى.

(٢) انظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق، ج١٤، ص٥٧، الناشر: المَكتبة العصريَّة، بَيروت.

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي، ج٢٩، ص٥٠٩.

(٤) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ج٦، ص٣٥٢٨، الناشر: دار الشروق.

سيكسب معها نصف رصيد العالم من الثروات المعدنية والزراعية" [١]، وقد ذكر لنا القرآن الكريم ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٣٦].

أولاً: سبب النزول:

قال مقاتل والكلبي: نزلت في المطعمين يوم بدر، وكانوا اثني عشر رجلاً أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة إبنا ربيعة، ونبيه ومنبه إبنا حجاج، وأبو البحتري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب، وكلهم من قريش، وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزور.

وقال سعيد بن جبير وابن أبزى [٢]: نزلت في أبي سفيان بن حرب، استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش يقاتل بهم النبي ﷺ [٣]، وذكرت أسباب أخرى وكلها تدور حول هذا المعنى. وكان سعيد بن المسيب يقول: ما أطعم أحد ببدر إلا قتل [٤].

ثانياً: أقوال المفسرين:

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾، فيعطونها لأمثالهم من المشركين لِيَتَقَوَّوا بها على قتال رسول الله ﷺ والمؤمنين به، ليصدوا المؤمنين بالله ورسوله عن الإيمان بالله ورسوله، فسينفقون أموالهم في ذلك، ثم تكون نفقتهم تلك عليهم حسرة، لأن أموالهم تذهب، ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من إطفاء نور الله، وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله، لأن الله معلي كلمته، وجاعل كلمة الكفر السفلى، ثم يغلبهم المؤمنون، ويحشر الله الذين كفروا به وبرسوله إلى جهنم، فيعذبون فيها، فأعظم بها حسرةً وندامة لمن عاش منهم ومن هلك، أما الحي فحرم ماله وذهب باطلًا في غير درك نفع، ورجع مغلوبًا مقهورًا محرومًا مسلوبًا، وأما الهالك فقتل وسلب، وعجل به إلى نار الله يخلد فيها، نعوذ بالله من غضبه [٥].

قال الحسن: "أشد الناس حسرة يوم القيامة من يرى ماله في ميزان غيره" [٦].

---

(١) في محكمة التاريخ، لشلبي، ص ٩٦.

(٢) هو مولى نافع بن عبد الحارث، له صحبة ورواية وفقه وعلم، سكن الكوفة، واستعمله علي رضي الله عنه على خراسان، عاش إلى نيف وسبعين. (سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج٣، ص ٢٠٢).

(٣) أسباب النزول للنيسابوري، ج١، ص٢٣٧، وقد ورد في سيرة ابن هشام، ج٣، ص ١٤١.

(٤) المغازي، للواقدي، ج٣، ص١٢٨، المحقق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة.

(٥) جامع البيان للطبري، ج١٣، ص٥٢٩.

(٦) تفسير القرآن للسمعاني، ج٢، ص٢٦٤، المحقق: ياسر بن إبراهيم، الناشر: دار الوطن، الطبعة الأولى.

ثالثاً: الوجوه البلاغية في الآية:

* جاء الفعل بصيغة المضارع في ينفقون للإشارة إلى أن ذلك دأبهم وأن الإنفاق مستمر لإعداد العدد لغزو المسلمين، فإنفاقهم حصل في الماضي ويحصل في الحال والاستقبال، ولاستحضار حالة الإنفاق وأنها حالة عجيبة في وفرة النفقات.

* أشعرت لام التعليل في ليصدوا بأن الإنفاق مستمر لأنه منوط بعلة ملازمة لنفوسهم وهي بغض الإسلام وصدهم الناس عنه.

* الفاء في فسينفقونها تفريع على العلة لأنهم لما كان الإنفاق دأبهم لتلك العلة المذكورة، كان مما يتفرع على ذلك تكرر هذا الإنفاق في المستقبل، أي ستكون لهم شدائد من بأس المسلمين تضطرهم إلى تكرير الإنفاق على الجيوش لدفاع قوة المسلمين [١] .

رابعاً: فوائد وعظات من الآية:

* معنى «ثم» في الجملتين إما التراخي في الزمان لما بين الإنفاق المذكور وبين ظهور دولة الإسلام من الامتداد، وإما التراخي في الرتبة لما بين بذل المال وعدم حصول المقصود من المباينة.

* قوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ أي الكافرون منهم ولم يقل «ثم يغلبون وإلى جهنم يحشرون» لأن منهم من أسلم وحسن إسلامه فذكر أن الذي بقوا على الكفر منه لا يكون حشرهم إلا إلى جهنم دون من أسلم منهم [٢].

* "حين يأتي القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا﴾ أي أن الإنفاق سيكون في المستقبل، والاستقبال له مرحلتان؛ استقبال قريب، واستقبال بعيد. فإن كان الاستقبال قريبا فهو يقول: ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا﴾، وأما إن كان بعيدا فيقول: فسوف ينفقونها" [٣].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٩، ص٣٤٠ ،٣٤٢. الناشر: الدار التونسية للنشر.

(٢) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين النيسابوري، ج٣، ص٣٩٧، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

(٣) تفسير الشعراوي الخواطر، لمتولي الشعراوي، ج٨، ص٤٦٩٥، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

المبحث الثاني

السخرية والاستهزاء

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاستهزاء بالرسل.

المطلب الثاني: الاستهزاء بالأتباع.

المطلب الثالث: الاستهزاء بالمنهج.

المبحث الثاني

السخرية والاستهزاء

وهذه الوسيلة من أكثر الوسائل التي يستخدمها الظالمون في صد الناس عن دينهم، فهم يستهزئون من كل شيءٍ له علاقة بالدين، قاصدين بذلك تنفير الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، ومن ذلك استهزائهم بالأنبياء والمرسلين الذين هم أصفياء الله وأحباؤه، واستهزائهم بأتباع الأنبياء الذين هم خيرة الأقوام، واستهزائهم بالمنهاج وما فيه من أحكام مع أنَّ فيه صلاح العالم. وقد كثرت الآيات التي تحدثت عن هذه الوسيلة عند المجرمين، فهي قرابة الأربعين آية، بعضها تحدث عن استهزائهم بالرسل، وبعضها عن استهزائهم بالأتباع، وأخرى عن استهزائهم بالمنهج لذا سأفرد كل مجموعةٍ في جدولٍ يوضحها، مع ذكر المعنى الإجمالي لبعض الآيات، وذكر ما فيها من بلاغة وفوائد، وذلك من أجل الاختصار لأنَّ هذا المبحث بحاجة إلى رسالة ماجستير كاملة ليستوفي حقه، ومقصدنا في هذا الباب توضيحها كوسيلة من وسائل الظالمين.

المطلب الأول

الاستهزاء بالرسل

لمَّا كان الرسل عليهم السلام هم رأس الأمر في الدعوات، وهم من يقوم دين الله في الأرض على أكتافهم، وهم القدوة لكل الناس من بعدهم، بث المشركون سمومهم بالاستهزاء بالرسل عليهم السلام، قاصدين بذلك تنفير الناس عن الركوب في مركبهم، أو السير على خطاهم، وهذه مجموعة من الآيات تبين ذلك:

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	نوعها
١-	﴿... وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ...﴾	النساء	٤٦	مدنية
٢-	﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ...﴾	الأنعام	١٠	مدنية
٣-	﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾	التوبة	٦٥	مدنية
٤-	﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ...﴾	هود	٣٨	مكية

٥-	﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ...﴾	الرعد	٣٢	مدنية
٦-	﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	الحجر	١١	مكية
٧-	﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ..﴾	الأنبياء	٣٦	مكية
٨-	﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ...﴾	الأنبياء	٤١	مكية
٩-	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾	المؤمنون	٢٥	مكية
١٠-	﴿يَا حَسْرَةً عَلَى العِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	يس	٣٠	مكية
١١-	﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾	الصافات	٣٦	مكية
١٢-	﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾	الزخرف	٤٧	مكية
١٣-	﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ...﴾	الزخرف	٤٩	مكية
١٤-	﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾	الزخرف	٥٢	مكية
١٥-	﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾	الدخان	١٤	مكية
١٦-	﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ...﴾	الأحقاف	٢٢	مكية
١٧-	﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾	الذاريات	٣٩	مكية
١٨-	﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾	الذاريات	٥٢	مكية
١٩-	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾	القمر	٩	مكية
٢٠-	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾	النازعات	٤٢	مكية

أولاً: المعنى الإجمالي لبعض الآيات:

لقد أخبر الله ﷻ نبيه الكريم وأمته المرحومة، بحال المجرمين في كل الأزمان، أنَّهم يستهزئون بأنبيائهم وبما جاؤوا به من آيات بينات واضحات دالة على صدق نبوتهم، ويسخرون بالمصلحين من مجتمعاتهم كما هو واضح في الآيات السبعة الأولى في الجدول، بل إنَّهم يصفون الأنبياء بما لا يليق من الأوصاف القبيحة قاصدين بذلك تنفير الناس عن دعوتهم، وتشويه الحق في نفوسهم، فقوم نوح يصفون نبيهم عليه السلام بالجنون، وكذا فرعون يتكبر ويصف موسى عليه السلام بالسحر والجنون، وتخبرنا الآيات أنهَّ ما من نبيٍ إلا وقد اتهمه قومه بالسحر والجنون، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾، يقول سيد قطب في ذلك: "فهي جبلة واحدة وطبيعة واحدة للمكذبين وهو استقبال واحد للحق وللرسل يستقبلهم به المنحرفون.. كما يقول هؤلاء المشركون، كأنما تواصوا بهذا الاستقبال على مدار القرون، وما تواصوا بشيء إنما هي طبيعة الطغيان وتجاوز الحق والقصد تجمع بين الغابرين واللاحقين"(١). وعلى الطريقة نفسها سار المشركون فاتهموا رسول الله ﷺ بأنَّه مُعلَّمٌ مجنون، قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود:٣٨]. "ومن سخريتهم بالأنبياء ما حدث مع نوح عليه السلام حيث سخروا منه لصنعه السفينة، ظانين أنَّه من العبث أن يصنع سفينة لا لزوم لها في بيئتهم، وكذا فرعون في مراوغته مع موسى عليه السلام قال على لسان القرآن الكريم ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزُّخرف:٥٢] قاله افتراءً عليه وتنقيصاً لقدره في أعين الناس، وسار قومه على نفس الدرب حيث هزؤا بنبوته فنسبوها إلى السحر وكانوا قد هزؤا بمعجزاته" (٢)، وفي سورة النساء مع نبينا ﷺ فنَّاً آخر من السخرية وهو التلاعب بالألفاظ، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا ...﴾ [النساء:٤٦] "فكلمةَ راعِنا أصلها: راقبنا وانظرنا نكلمك، والمراد بها أنها كلمة سب بلغتهم وهي «راعينا» أو من الرعونة والطيش، وقد نهي عن خطابه بها لَيَّا تحريفا بألسنتهم وطعنا وفتلا بها" (٣).

ثانياً: فوائد وعظات من الآيات:

* نلاحظ كثرة الآيات التي تحدثت عن معاناة الأنبياء السابقين، فلا تكاد تخلو سورةٌ ممن ذكرت قصص الأنبياء إلا وترسم صورةً من المكر والخداع والاستهزاء بالأنبياء، والغاية الأسمى من

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب، ج٦، ص٣٣٨٦.

(٢) السخرية البيانية في القرآن، ص٨٣، رسالة ماجستير، الباحث: محمد عدنان الخطيب، معهد الدعوة، بيروت.

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة الزحيلي، ج٥، ص٩٥، الناشر: دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية.

ذلك تسلية لرسول الله ﷺ، ولكل من رفع راية الإسلام على مدار الأزمان، لأنه لا تمكين قبل الابتلاء، ولا منحة قبل المحنة، ولكنَّ العاقبة دائماً ستكون للحق، والباطل مهما انتفش فهو زاهق، ومهما لمَّع من سوئه فهو واضح، يقول ابن كثير: "فيها تسلية لرسوله محمد ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه، ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة"(١).

ويقول الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مسلياً عنه بوعيده المستهزئين به عقوبة ما يلقى منهم من أذى الاستهزاء به، والاستخفاف في ذات الله: هون عليك، يا محمد، ما أنت لاق من هؤلاء المستهزئين بك، المستخفين بحقك في وفي طاعتي، وامض لما أمرتك به من الدعاء إلى توحيدي والإقرار بي والإذعان لطاعتي، فإنهم إن تمادوا في غيهم، وأصروا على المقام على كفرهم، نسلك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم من غيرهم، من تعجيل النقمة (٢).

ويقول صاحب الظلال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام:١٠] "إنَّ هذه الآية لترمي إلى غرضين ظاهرين:

الأول: تسلية لرسول الله ﷺ والتسرية عنه، مما يلقاه من عناد المعرضين، وعنت المكذبين وتطمين قلبه ﷺ إلى سنة الله سبحانه في أخذ المكذبين المستهزئين بالرسل وتأسيته كذلك بأن هذا الإعراض والتكذيب ليس بدعا في تاريخ الدعوة إلى الحق، فقد لقي مثله الرسل قبله وقد لقي المستهزئون جزاءهم الحق.

والثاني: لمس قلوب المكذبين المستهزئين من العرب بمصارع أسلافهم من المكذبين المستهزئين وتذكيرهم بهذه المصارع التي تنتظرهم إن هم لجوا في الاستهزاء والسخرية والتكذيب" (٣).

* واضح من خلال الآيات أنَّ الظالمين على اختلاف مسمَّياتهم يحاولون تشويه الدين من خلال القائد الأعلى لهذه الرسالة، لأنَّهم بذلك يهدمون الدين من أساسه، متهمين الأنبياء أنَّهم ما جاءوا بهذا الدين الجديد إلا ليُفضلُوا على قومهم.

المطلب الثاني

الاستهزاء بالأتباع

إن المشركين والمنافقين يستهزئون بالمؤمنين بكل صورة ووسيلة يقصدون بذلك حرمان غيرهم من السير على مثل ما ساروا عليه، ولذلك يخوفوهم من أن يطالهم استهزاء المنافقين

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٣، ص٢٤٢.

(٢) جامع البيان، للطبري، ج٣، ص٢٤٢.

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ج٢، ص١٠٤٥.

والمشركين بهم، وهذه مجموعة من الآيات تبين ذلك:

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	نوعها
١-	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾	البقرة	١٤	مدنية
٢-	﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾	البقرة	٢١٢	مدنية
٣-	﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ...﴾	الأنعام	٥٣	مدنية
٤-	﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	التوبة	٧٩	مدنية
٥-	﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ...﴾	هود	٢٧	مكية
٦-	﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾	المؤمنون	١١٠	مكية
٧-	﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾	المطففين	٢٩، ٣٠	مكية

أولاً: المعنى الإجمالي لبعض الآيات:

تذكر لنا هذه المجموعة من الآيات الحالة الدائمة من الصراع بين الحق والباطل، فتبين لنا أنَّ أهل الباطل دائماً يستكبرون، وينظرون إلى المؤمنين نظرة استهزاءٍ وازدراء، "ومن المؤكد أنَّ سخرية الكفار من المؤمنين سواء بلفظها المباشر أو غير المباشر دائماً تقصد لإسقاطهم وإقصائهم عن التأثير، والتقليل من شأنهم ما أمكن" (١)، وتطالعنا سورة البقرة في بدايتها بذكر المنافقين بآياتٍ

(١) السخرية البيانية في القرآن الكريم، للخطيب، ص٨٣.

عديدة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:١٤] إن هذه الآية توضح سخرية المنافقين من المؤمنين، "فقد أجمع أهل التأويل جميعا لا خلاف بينهم على أن معنى قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾: إنما نحن ساخرون. فمعنى الكلام إذاً: وإذا انصرف المنافقون خالين إلى مردتهم من المنافقين والمشركين قالوا: إنا معكم على ما أنتم عليه من التكذيب بمحمد ﷺ وبما جاء به، ومعاداته ومعاداة أتباعه، إنما نحن ساخرون بأصحاب محمد ﷺ، بقولنا لهم إذا لقيناهم: آمنا بالله وباليوم الآخر، وعن ابن عباس ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾، ساخرون بأصحاب محمد ﷺ" (١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة:٢١٢] هذه الآية تبين لنا سخرية الكافرين من المؤمنين بلفظها الصريح، لأنَّ المؤمنين خسروا مكاسب الدنيا التي تزينت في أعينهم، فقد "كان الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم" (٢)، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطَّففين:٢٩] يذكر لنا ربنا "بعض سيئات الفجار لأنهم فجار، فالذين أجرموا واعتادوا فعل الشنيع من الأعمال كانوا يضحكون من الذين آمنوا، ويستهزئون بهم، وإذا مروا بهم يتغامزون، ويشيرون إليهم استهزاء بهم، وإذا انقلبوا إلى أهلهم بعد هذا انقلبوا فكهين مسرورين، لأنهم آذوا المسلمين واستهزئوا بهم" (٣)، وفي قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون:١١٠] تبين الآية "أنَّ هذه السخرية جعلتهم لَا يلتفتون إلى معاني الذكر الحكيم، ولا يتدبرون آياته، ولا يعتبرون بعبره، وإنه بسبب هذا كله ينسون ذكر الله تعالى فلا تمتلئ قلوبهم به، ولا يخشونه، ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾، أي كنتم أيها المشركون الساكنون في جهنم تضحكون منهم، والضحك يميت القلب، ولا تكون معه عبرة ولا استبصار" (٤). وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٧٩] تبين لنا أنَّ المنافقين يهزئون من المؤمنين على كل الأحوال فقد جاء في سبب نزولها "أنَّ عبد الرحمن ابن عوف تصدق بشطر ماله ، وكان ماله ثمانية آلاف دينار فتصدق بأربعة آلاف ، فقال ناس من المنافقين: إن عبد الرحمن لعظيم الرياء، وكان لرجل من الأنصار صاعان

(١) جامع البيان، للطبري، ج١، ص٣٠٠.

(٢) الكشاف للزمخشري، ج١، ص٢٥٤.

(٣) التفسير الواضح لحجازي، ج٣، ص٨٤١، الناشر: دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة العاشرة.

(٤) زهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة، ج١٠، ص٥١٢٤، دار النشر: دار الفكر العربي.

من تمر ، فجاء بأحدهما، فقال ناس من المنافقين: إن الله لغني عن صاع هذا ، وكان المنافقون يطعنون عليهم، ويسخرون منهم" (١).

ثانياً: العبر والعظات من الآيات:

* على المؤمن أن يوطن نفسه على أنه سيواجه منافقين يريدون أن يردوه عن الإيمان، وسيجد أناسا يسخرون منه ويتغامزون عليه، فالمنافق أو الكافر قد يقول لأهله: لقد رأيت اليوم شيخا أو رجل دين أو متدينا فسخرت منه وأهنته (٢).

* ويستفاد من الآيات: التحذير من السخرية والاستهزاء بالضعفاء والمساكين والاحتقار لهم، والإزراء عليهم والاشتغال بهم فيما لا يغني، وأن ذلك مبعد من الله ﷻ (٣).

المطلب الثالث

الاستهزاء بالمنهج

إن من أسباب الثبات على دين الله ﷻ، ومن أسباب الاستمرار على الطاعات، وأن يعتقد المسلم اعتقاداً جازماً لا يخالطه شك بصحة المنهج الذي يسير عليه، لأنه تنزيل من حكيم حميد، وهذا الاعتقاد يجعله دائماً مستمسكاً بدينه، قابضاً على شرائعه، لا يتنازل عنها مهما كان الثمن، ولذلك يسعى الظالمون لتشويه هذا المنهج والاستهزاء به، والسخرية بشعائره، يهدفون من ذلك بأن يهدموا هذا الدين في قلوب أصحابه، وهذه مجموعة من الآيات تبين ذلك:

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	نوعها
١-	﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ...﴾	المائدة	٥٨	مدنية
٢-	﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾	الأعراف	٨٢	مكية
٣-	﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ...﴾	الأنفال	٣٥	مدنية

(١) تفسير عبد الرزاق، لأبو بكر عبد الرزاق، ج٢ ص١٥٩، تحقيق: محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

(٢) تفسير الشعراوي، ج٣، ص١٨٩٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج١٢، ص١٥٥، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية.

٤-	﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ... ﴾	هود	٨٧	مكية
٥-	﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾	الإسراء	٤٩	مكية
٦-	﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾	الأنبياء	٢	مكية
٧-	﴿ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾	المؤمنون	٨٢	مكية
٨-	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾	النمل	٦٧	مكية
٩-	﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾	الروم	١٠	مكية
١٠-	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ... ﴾	لقمان	٦	مكية
١١-	﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾	يس	٧٨	مكية
١٢-	﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾	الصافات	١٤	مكية
١٣-	﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ... ﴾	الجاثية	٩	مكية

أولاً: المعنى الإجمالي للآيات:

تبين لنا هذه الآيات أنَّ الظالمين يستهزئون بكل ما له علاقةٌ بالدين، فنراهم يسخرون من عقائد المسلمين، ويستهزئون بشعائر الدين وعباداته، وينكرون الأخلاق الفاضلة ويتهمون أصحابها بالرجعية والتخلف، ولنا في هذا المطلب ثلاثة مسائل.

المسألة الأولى: الاستهزاء بعقيدة البعث:

وهذا ما نراه في الآيات من سورة الإسراء والمؤمنون والنمل ويس، حيث ينكرون عقيدة البعث بعد الموت، ولا يكتفون بذلك بل يستهزئون ممن يؤمن بها "فقد كانت قضية البعث مثار جدل طويل بين الرسول ﷺ والمشركين، واشتمل القرآن الكريم على الكثير من هذا الجدل، مع

بساطة هذه القضية ووضوحها عند من يتصور طبيعة الحياة والموت[1].

وفي آية يس نجد الأمر بوضوح "فعن بن عباس رضي الله عنهما قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففته فقال يا محمد أيبعث الله هذا بعد ما أرم؟ قال: "نعم. يبعث الله هذا يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم" قال: فنزلت الآيات: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ إلى آخر السورة" [2].

المسألة الثانية: الاستهزاء بشعائر الدين:

يظهر لنا من آية سورة المائدة "ما كان عليه المشركون والكفار المخالفون للمسلمين، من قدحهم في دين المسلمين، واتخاذهم إياه هزوًا ولعبًا، واحتقاره واستصغاره، خصوصًا الصلاة التي هي أظهر شعائر المسلمين، وأجلُّ عباداتهم، إنهم إذا نادوا إليها اتخذوها هزوًا ولعبًا، وذلك لعدم عقلهم ولجهلهم العظيم، وإلا فلو كان لهم عقول لخضعوا لها، ولعلموا أنها أكبر من جميع الفضائل التي تتصف بها النفوس" [3]، وفي آية هود نجد الظالمون يهزؤون بصلاة شعيب عليه السلام وعقله، وفي الأنفال نجد أنهم يسخرون من عبادة المسلمين بالتصفيق والتصفير، شأن من لا حيلة له ولا قوة إلا الشغب [4].

المسألة الثالثة: الاستهزاء بالأخلاق الفاضلة:

وهذا ما تبينه آية سورة الأعراف، حيث يسخر قوم لوطٍ عليه السلام، بعفاف وطهارة الصالحين، يقول الألوسي: ففي قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ تعليل للأمر بالإخراج، ومقصود الأشقياء بهذا الوصف السخرية بلوط ومن معه وبتطهرهم من الفواحش وتباعدهم عنها وتنزههم عما عليه قومهم من الفحشاء، فهم يفتخرون بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أخرجوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد [5].

وما زال الاستهزاء بشعائر الدين وأخلاقه الفاضلة مستمرٌ إلى اليوم، فما زال الجاهليون في القرن الواحد والعشرون ينظرون إلى الحجاب أنهَّ رجعية، وينظرون إلى اللحية أنَّها تنافي التقدم،

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ج٤، ص٢٢٣٣.

(٢) موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، لحكمت بن بشير بن ياسين، ج٤، ص١٩٢. الناشر: دار المآثر للنشر، الطبعة الأولى، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، وابن كثير، وصححه الذهبي، وقال المؤلف: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ج١، ص٢٣٧.

(٤) انظر: السخرية البيانية في القرآن، للخطيب، ص٨٤.

(٥) انظر: روح المعاني للألوسي، ج٤، ص٤٠٨.

وينظرون إلى تعدد الزوجات أنَّه ظلمٌ للمرأة، فالظالمون يسعون من وراء الاستهزاء بشعائر الدين إلى نحر الفضيلة، وخلع ثوب الحياء، ونزع الأخلاق من المجتمعات، حتى يصبحوا كالبهائم بل أضلُّ سبيلا، والناظر إلى الدول الأوروبية ليرى حجم الفساد الأخلاقي المنتشر عندهم، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

وفي ختام هذا المبحث والذي أوضح فيه الباحث السخرية كوسيلة للصد عن سبيل الله عند الظالمين، لماذا يلجأُ الظالمون إلى السخرية؟

يأتي الجواب على شقين:

الأول: أنَّ الإيمان قد انطفأ في قلوبهم، فأصبحت مظلمة، ليس للإيمان إليها مسلك، فانتكست فطرتهم، فأصبحت ترى الحق باطلاً والباطل حقاً، وما دام هذا حالهم فسيعادون كل من يخالف باطلهم، قاصدين بذلك قلب الحقائق، فتراهم يهمزون ويلمزون بالمؤمنين وشعائرهم، وقد أوضحت لنا هذا المعنى سورة المطففين ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آَيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ تبين الآية أنَّ الكافر إذا تليت عليه آيات القرآن، الناطقة بحصول البعث والجزاء، قال عنها: هذه حكايات وخرافات الأوائل، سطروها وزخرفوها في كتبهم، فكان الرد القرآني عليه أنَّ الأمر ليس كما تقول وإنما ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، بل غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب، فطمس بصائرهم فصاروا لا يعرفون الرشد من الغي قال المفسرون: الران هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب(١).

الثاني: "إنَّ ما يتعرض له الكفار من اهتزاز بكيانهم، وتسفيهاً لأحلامهم، ونقضاً لآلهتهم المزعومة، مع سطوع الحق وبرهانه، فهم لا يجدون في أنفسهم القدرة على المواجهة، وصدح الحجة بالحجة، فيلجؤون إلى السخرية طريقاً للدفاع عن أنفسهم وليوازنوا مقابل المعادلة الخاسرة التي يتعرضون لها في الواقع الجدي مع الحق.

إذاً فلقد كانت السخرية تفكهاً ولعباً واستكباراً على المؤمنين، وجعلوها سلاحاً نفسياً رهيباً يريدون به أن يحطوا من عزم المسلمين، ويزعزعوا به ثقتهم وكيانهم وعقيدتهم" (٢).

وبعد هذه الجولة في هذه الوسيلة للظالمين من خلال الآيات القرآنية، يرى الباحث أنَّها وسيلة كانت منذ القدم وما زالت إلى اليوم، فليستيقظ العلماء والدعاة إلى الله من هؤلاء الظالمين الذين يسعون لتشويه الدين، وليكشفوا اللثام عن كل من أراد أن يهزأ بدين الله في الأرض، ويصفه

---

(١) انظر: صفوة التفاسير، للصابوني، ج٣، ص٥٠٧، الناشر: دار الصابوني، الطبعة الأولى.

(٢) السخرية البيانية في القرآن، للخطيب، ص٨٥، ٨٦.

بما لا يليق، خاصةً ونحن في هذا العصر من التطور وسرعة نشر المعلومات، فبعض الأفلام يكون الهدف الرئيسي منها تشويه صورة المسلمين والاستهزاء بهم وكأنَّهم سخريةً للناس، ومن ذلك الصور الكاريكاتيرية المسيئة لشخص رسول الله ﷺ، وغيرها التي تشوه الحجاب، وهذا كله امتدادٌ لمنهج فرعون وقومه وقوم نوح عليه السلام ومشركين العرب فملة الكفر واحدة.

المبحث الثالث

طلب المعجزات

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نزول الملائكة.

المطلب الثاني: أن يكون عند الرسول كنوز وجنان.

المطلب الثالث: طلب الكفار المعجزات مثل الأمم السابقة.

المبحث الثالث

طلب المعجزات

إن أهل الباطل يسعون بكل ما أوتوا من قوة، ويسخرون ما لديهم من إمكانات، ليوقفوا مسيرة الإسلام من التمام، ومن وسائل مكرهم أنهم يطلبون المعجزات من أنبيائهم عليهم السلام، فتارة يقولون: أرنا الله جهرة، وتارة يطلبون نزول الملائكة، وأحياناً يطلبون بأن يكون الرسول من الملائكة، وأحياناً يقولون: لو كان عند الرسول كنوز وجنان، بل إنهم يستعجلون العقاب الذي يتوعدهم به الأنبياء عليهم السلام إذا لم يؤمنوا، وإنما مقصدهم من كل هذا هو صد الناس عن دين الله ﷻ.

المطلب الأول

نزول الملائكة

إنَّ الإيمان بالملائكة هو من الإيمان بالغيب الذي لا يصح إيمان العبد إلا به، ولمَّا كانت الملائكة محجوبةٌ عن البشر، وكان الرسل عليهم السلام قد حدثوا أقوامهم عن الملائكة، أصبح الظالمون يطلبون من الأنبياء عليهم السلام أن يأتوهم بالملائكة، وما قالو ذلك إلا عناداً واستكباراً.

وقد وردت العديد من الآيات تبين هذا المطلب للظالمين وهي:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ [الأنعام:٨] .

﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الحجر:٧] .

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:٧] .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ...﴾ [الفرقان:٢١] .

أولاً: المعنى الإجمالي لبعض الآيات:

"هذا إخبار من الله لرسوله عن شدة عناد الكافرين، وأنه ليس تكذيبهم لقصور فيما جئتهم به، ولا لجهل منهم بذلك، وإنما ذلك ظلم وبغي، ﴿وَقَالُوا﴾ تعنتا مبنيا على الجهل، وعدم العلم بالمعقول، ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ أي: هلا أنزل مع محمد ملك، يعاونه ويساعده على ما هو عليه بزعمهم أنه بشر، وأن رسالة الله، لا تكون إلا على أيدي الملائكة" (١). إذاً فهذه "من شبه منكري

(١) تيسير الكريم الرحمن،ج١، ص٢٥١.

النبوات فإنهم يقولون: لو بعث الله إلى الخلق رسولًا لوجب أن يكون ذلك الرسول واحداً من الملائكة، فإنهم إذا كانوا من زمرة الملائكة كانت علومهم أكثر، وقدرتهم أشد، ومهابتهم أعظم، وامتيازهم عن الخلق أكمل، والشبهات والشكوك في نبوتهم ورسالتهم أقل" (١).

ويقول صاحب الظلال:" إنَّ هذا الاقتراح الذي كان المشركون يقترحونه والذي اقترحه من قبلهم أقوام كثيرون على رسلهم كما يحكي القرآن الكريم في قصصهم، يثيران جملة حقائق ومنها:

الحقيقة الأولى: أنَّ أولئك المشركين من العرب لم يكونوا يجحدون الله ولكنهم كانوا يريدون برهاناً على أن الرسول ﷺ مرسل من عنده، وأن هذا الكتاب الذي يتلوه عليهم منزل من عند الله حقاً. ويقترحون برهاناً معيناً: هو أن ينزل الله عليه ملكاً يصاحبه في الدعوة ويصدق دعواه.

الحقيقة الثانية: أن العرب كانوا يعرفون الملائكة وكانوا يطلبون أن ينزل الله على رسوله ملكاً يدعو معه ويصدقه، ولكنهم لم يكونوا يعرفون طبيعتهم التي لا يعلمها إلا الله وكانوا يتخبطون في التيه بلا دليل في تصور هذا الخلق، وفي نوع علاقته بربه ونوع علاقته بالأرض وأهلها (٢).

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ "العرب تضع موضع (لو ما) لولا (وموضع) لولا (لو ما)" (٣) وهي هنا بمعنى "هلا التحضيضية، أي هلا تأتينا بالملائكة نراهم عياناً يشهدون لك بأنك رسول الله" (٤).

ثالثاً: فوائد من الآيات:

* "من مثل هذه الاقتراحات يتبين التعنت كما تتبين الجهالة عند كفار مكة وإلا فقد كان لهم من خلق رسول الله ﷺ الذي يعرفونه جيدا بالخبرة الطويلة ما يدلهم على صدقة وأمانته وهم كانوا يلقبونه الأمين، ويودعون لديه أماناتهم حتى وهم معه على أشد الخلاف" (٥).

---

(١) مفاتيح الغيب، ج١٢، ص٤٨٦.
(٢) انظر: ظلال القرآن، ج٢، ص١٠٤٠، ١٠٤١.
(٣) جامع البيان، ج١٤، ص١٥.
(٤) أيسر التفاسير، ج٣، ص٧٣.
(٥) في ظلال القرآن، ج٢، ص١٠٤٠.

المطلب الثاني

أن يكون عند الرسول كنوز وجنان

لمَّا كانت الدنيا قد غلبت على قلوب الظالمين، فجعلتها سوداءً مظلمة، لا ترى أمامها إلا الدنيا وشهواتها وملذاتها، ظنُّوا أنَّ معيار التفاضل فيما بين الناس هو ما يملكونه من أموال، وما يدخرونه من كنوز، فأنكروا أن يبعث الله رسولاً ليس أكثرهم مالاً وجاهاً، فقال كفار مكة: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزُّخرف:٣١]، وقال فرعون من قبلهم مفتخراً بكثرة ماله ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزُّخرف: ٥١-٥٢].

وهذه مجموعة من الآيات تبين أنَّ المشركين كانوا يطلبون أن يكون للرسولِ كنوزٌ وجنَّات.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾. [الإسراء: ٩٠-٩٣].

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٧-٨].

أولاً: سبب نزول الآيات من سورة الإسراء:

عن ابن عباس أن رؤساء قريش اجتمعوا عند الكعبة فقالوا: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه إنَّ أشراف قومك قد اجتمعوا ليكلموك فجاءهم سريعاً وكان حريصا على رشدهم فقالوا يا محمد: إنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فإن كنت إنما جئت بهذا لتطلب مالاً جعلنا لك من أموالنا ما تكون به أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً – أي تابعاً من الجن – بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك، فقال رسول الله ﷺ: ما بي ما تقولون، ما جئتكم أطلب

أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم، فقالوا يا محمد إن كنت غير قابل منا ما عرضنا فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً، ولا أشد عيشا منا، فسل ربك يسير لنا هذه الجبال، ويجري لنا أنهاراً، ويبعث من مضى من آبائنا حتى نسألهم أحق ما تقول؟ وسله أن يجعل لك جنانا وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة تغنيك عنا فأنزل الله ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾(١).

ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات:

يتبين من الآيات في سورة الإسراء "أنَّ أهل مكة بعد أن أخرستهم الحجة، ولم يجدوا رداً مقنعاً، راوغ رؤساء قريش باقتراح إنزال إحدى ستة أنواع من المعجزات فقالوا:

١- قال زعماء مكة لن نصدق برسالتك حتى تخرج لنا من الأرض ينبوعاً يتدفق، وهو العين الجارية، فإننا في صحراء مجدبة قاحلة من أرض الحجاز، وذلك سهل على الله تعالى يسير.

٢- أو يكون لك بستان من نخيل وأعناب وغيرهما تتدفق فيه الأنهار تدفقاً بقوة، حتى يسقى الزرع والشجر وتخرج الأثمار.

٣- أو تسقط السماء علينا قطعاً قطعاً كما زعمت أن ربك يفعل ذلك إن شاء.

٤- أو تأتي بالله والملائكة معاينة ومواجهة، فيحدثونا بأنك رسول من عند الله.

٥- أو يكون لك بيت من زخرف أو أن يكون لك بيت من ذهب، كما في قراءة ابن مسعود، فإنك يتيم فقير.

٦- أو أن تصعد في السماء على سلم تضعها، ثم ترقى عليه، ونحن ننظر، ثم تأتي بصك معه أربعة ملائكة يشهدون لك أن الأمر كما تقول، أو تأتي بكتاب فيه تصديقك أنك رسول من عند الله، ونقرؤه كعادتنا" (٢).

وعلى مثل ما تقدم يدور معنى الآيات في سورة الفرقان حيث قال المشركون: "ما لهذا الذي يزعم أنه رسول الله (يعنون محمدًا ﷺ) يأكل الطعام مثلنا، ويمشي في الأسواق لطلب الرزق؟ فهلا أرسل الله معه مَلَكًا يشهد على صدقه، أو يهبط عليه من السماء كنز من مال، أو تكون له حديقة عظيمة يأكل من ثمرها، وقال هؤلاء الظالمون المكذبون: ما تتبعون أيها المؤمنون إلا رجلاً

---

(١) انظر: لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص١٢٦، وأخرجه الطبراني في تفسيره، ج١٧، ص ٥٥٥، وابن هشام في السيرة، ج١، ص ٢٩٩، وابن إسحاق في السيرة، ج١، ص ١٩٧.

(٢) التفسير المنير، ج١٥، ص١٦٦.

به سحر غلب على عقله" [1].

ثالثاً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* قوله: "﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ﴾ يعني: أو تصعد في درج إلى السماء، وإنما قيل في السماء، وإنما يرقى إليها لا فيها، لأن القوم قالوا: أو ترقى في سلم إلى السماء، فأدخلت "في" في الكلام ليدل على معنى الكلام" [2].

* قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (لن) تفيد تأبيد النفي في المستقبل، وهذا أمر لا يملكه إلا مالك الأحداث ﷺ، أما صاحب الأغيار فليس له ذلك، والذين آمنوا فيما بعد برسول الله ممن قالوا هذه المقولة نستطيع أن نقول لهم: لقد أوقعتكم (لن) في الكذب؛ لأنكم أبدتم نفي الإيمان، وها أنتم مؤمنون، ولم يفجر لكم النبي ينبوعا من الأرض [3].

* قول الكفار "﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ استفهام يراد به التهكم والتحقير.

* قوله ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ وضع الظاهر وهو كلمة الظالمون موضع الضمير تسجيلاً عليهم ظلم ما قالوه" [4].

رابعاً: فوائد وعظات من الآيات:

* "إنَّ ضعفاء العقول ومحدودي التفكير يظنون أن الإله يفعل لهم ما يريدون، كما يحاول زعماء البشر من استرضاء الأتباع، لتحقيق المصالح المادية وجلب المنافع، وتسيير الأمور"[5]، وهذا ما وقع فيه كفار مكة من طلب إحدى المعجزات الست، ولكن حاش لله فما من أمرٍ إلا له فيه حكمة بالغة، فكم من أمرٍ يراه الإنسان شرٌ له وفي الحقيقة فيه من الخير ما فيه، وكم من أمرٍ يراه الإنسان خيرٌ له وفي الحقيقة فيه من الشر ما فيه، واللبيب من رضي بما قضى الله له.

* "(الأسواق) جمع سوق، وسميت السوق سوقاً لقيام الناس فيها على ساق للبيع والشراء وورد ذكرها في الكتاب والسنة والعمل فيها مباح وكان الرسول يأتيها يدعو أهلها إلى الإسلام وورد

---

(١) التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير، ص٣٦٠، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، الطبعة الثانية.

(٢) جامع البيان، للطبري، ج١٧، ص٥٥٤.

(٣) انظر: تفسير الشعراوي، ج١٤، ص٨٧٤٠.

(٤) التفسير المنير للزحيلي، ج١٩، ص١٩.

(٥) المرجع السابق، ج١٥، ص١٦٦.

أنها شرّ البقاع والمساجد خيرها وهي مقابلة، وورد أنه من قال فيها رافعاً بها صوته" (١) : "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب له ألف ألف حسنة" (٢).

المطلب الثالث

طلب الكفار المعجزات مثل الأمم السابقة

لم يترك المشركون سبيلاً للتشكيك في دعوة النبي ﷺ إلا طرقوه، ومن ذلك أنّهم اعترضوا أنَّ هذا القرآن لم ينزل جملةً واحدة، ككتب الأمم السابقة، وأنَّهم يريدون معجزاتٍ حسية، واتبعوا الأمم السابقة باستعجال العذاب، وما بعد هذا الغي من غي، أن يستعجل الإنسان عقاب الله، وهذا يدل على شدة عنادهم وجحودهم. وقد جعل الباحث هذا المطلب من ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: تمني الكفار نزول القرآن جملةً واحدة:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ...﴾ [الفرقان:٣٢] .

أولاً: المعنى الإجمالي للآية:

"لقد اختلف في قائل هذه العبارة على قولين: **أحدهما:** أنهم كفار قريش، قاله ابن عباس. **والثاني:** أنهم اليهود حين رأوا نزول القرآن مفرقا قالوا: هلا أنزل عليه جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود" (٣) "وهذا أيضاً أحد الأمور التي يتعلقون بها كي لا يؤمنوا، وكيف يطلبون أن ينزل القرآن جملةً واحدة، وهم لا يطيقون منه آية واحدة؟ لكنه الجدل والسفسطة والإفلاس في الحجة" (٤).

ثانياً: الوجوه البلاغية في الآية:

* قالوا ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ﴾ نُزِّل هنا بمعنى أُنْزِلَ، وإلا كان متدافعاً لأن التنزيل يقتضي التدرج بصيغته، وهم إنما اقترحوا الإنزال جملة (٥).

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري، ج٣، ص٦٠٠، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة.

(٢) الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا دخل السوق، رقم الحديث (٣٤٢٨)، قال الألباني: حسن.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج١٣، ص ٢٨.

(٤) تفسير الشعراوي، ج١٧، ص١٠٤٣٤.

(٥) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، ج٤، ص٩٧، المحقق: أحمد عبد الله القرشي.

ثالثاً: فوائد من الآيات:

* في نزول القرآن منجماً اعتناء كبير، لشرف الرسول، صلوات الله وسلامه عليه ، حيث كان يأتيه الوحي من الله بالقرآن صباحًا ومساء، ليلًا ونهارًا، سفرًا وحضرًا، فكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن كإنزال كتاب مما قبله من الكتب المتقدمة، فهذا المقام أعلى وأجل، وأعظم مكانة من سائر إخوانه من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله، ومحمد صلوات الله وسلامه عليه، أعظم نبي أرسله الله (١).

المسألة الثانية: أن تكون لهم معجزاتٌ حسية كالأمم السابقة:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٣٧] .

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٠٩].

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧] .

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد:٢٧].

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾ [القصص:٤٨] .

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [العنكبوت:٥٠] .

أولاً: سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ...﴾ [الأنعام:١٠٩] :

"أنَّ كفار مكة قالوا يا محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة، فأتنا بشيء من الآيات حتى نصدقك، فقال النبي ﷺ: أي شيء تحبون أن آتيكم به؟ قالوا: تجعل لنا الصفا ذهبا. فقال لهم: فإن فعلت تصدقوني؟ قالوا: نعم والله، لئن فعلت لنتبعنَّك أجمعين، فقام رسول الله ﷺ يدعو، فجاءه جبريل عليه السلام فقال له: لك ما شئت، إن شئت أصبح ذهبا، ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك لنعذبنَّهم، وإن شئت فأتركهم حتى يتوب تائبهم. فقال: بل يتوب تائبهم. فأنزل الله تعالى الآية" (٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، ج٦، ص١١٠.

(٢) جامع البيان، ج١٢، ص٣٩.

ثانياً: المعنى الإجمالي لبعض الآيات:

في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ...﴾ [الرعد:٢٧] أنَّ كفار مكة المعاندين يريدون "معجزة كونية كالتي جاء بها موسى من إلقائه العصى فإذا هي حية تسعى، أو كالتي جاء بها عيسى من إبرائه الأكمه والأبرص وإحيائه الموتى بإذن الله، أو كما يقترحون هم من جعل جبل الصفا ذهباً ... لأن القرآن في زعمهم ليس كافيا لكونه معجزة دالة على صدقه ﷺ، أي: ويقول هؤلاء الكافرون الذين عموا وصموا عن الحق واستعجلوا العذاب، هلا أنزل على محمد ﷺ آية أخرى غير القرآن الكريم تدل على صدقه" (١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [الأنعام:١٠٩] "نجد المشركين يحلفون بالله جهد حلفهم، وذلك أوكد ما قدروا عليه من الأيمان وأصعبها وأشدها، أن إذا جاءتنا آية تصدق ما تقول، يا محمد، مثل الذي جاء من قبلنا من الأمم لنصدقن بمجيئها بك، وأنك لله رسول مرسل، وأن ما جئتنا به حق من عند الله" (٢).

ثالثاً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* في الآيات السابقة جميعها تشتمل على لولا إلا آية الأنعام، "و«**لولا**» إن دخلت على جملة اسمية تكون حرف امتناع لوجود؛ مثل قولك «**لولا زيد عندك لزرتك**». وإن دخلت على جملة فعلية، كالتي في الآيات فالناطق بها يحب أن يحدث ما بعدها، مثل قولك «لولا عطفت على فلان». فيصبح المعنى من كلام الكفار في هذه الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها أنهم يطلبون آية لتأييد صدق الرسول ﷺ في البيان الذي يحمله من الحق لهم، وكأنهم بهذا القول ينكرون المعجزة التي جاء بها ﷺ وهي القرآن الكريم" (٣).

رابعاً: فوائد من الآيات:

* رغم أنَّ العرب أمة بلاغة وأدب وبيان، وأداء لغوي رائع، وأقاموا أسواقا للأدب، وخصصوا الجوائز للنبوغ الأدبي، وعلقوا القصائد على جدران الكعبة، وتفاخرت القبائل بمن أنجبتهم من الشعراء ورجال الخطابة، فلمَّا نزل القرآن من جنس نبوغهم وتفوق على بلاغتهم، ولم يستطيعوا أن تأتوا بآية مثل آياته، كيف لم تعتبروه معجزة، وتطالبون بمعجزة أخرى كمعجزة موسى عليه السلام، أو كمعجزة عيسى عليه السلام؟ لقد كان عليكم أن تفخروا بالمعجزة الكاملة التي تحمل المنهج إلى قيام

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن لطنطاوي، ج٧، ص٤٤٩، الناشر: دار نهضة مصر، الطبعة الأولى.

(٢) جامع البيان، ج١٢، ص٣٧، ٣٨.

(٣) تفسير الشعراوي، ج١٢، ص ٧٢٢٣.

الساعة. ولكن الحمق جعلهم يطلبون معجزة غير القرآن" [1].

* في هذه الآيات حكاية لتحدّ وجّهه الكفار إلى النبي ﷺ بالإتيان بالمعجزات والخوارق برهانا على صلته بالله، فأُمر النبي ﷺ بالردّ عليهم بأن المعجزات والخوارق بيد الله وبأنه ليس إلّا نذيراً مبيّنا للناس بأمر الله الطريق التي يجب أن يسيروا فيها" [2].

* آية الأنعام ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ ترجع لتأكد لنا منهج الظالمين بكثرة حلفانهم، بل والحلفان بأشد صيغ الحلفان تأكيداً، وذلك لعلهم أن ينالوا من هذا الحلفان ما يرجونه من خداع المؤمنين.

المسألة الثالثة: استعجال العقاب.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف:٧٠].

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأحقاف:٢٢].

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء:١٨٧].

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت:٢٩].

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص:١٦].

﴿وَإِذْ قَالُوا اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢].

أولاً: سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢].

تعددت الروايات فيمن نزلت هذه الآية على ثلاثة أقوال:

"**أحدها:** أنها نزلت في النضر بن الحارث، رواه جماعة عن ابن عباس، **والثاني:** أنها نزلت في أبي جهل، فهو القائل لهذا قاله أنس بن مالك، **والثالث:** أنها نزلت في قريش، قالوا هذا ثم ندموا فقالوا: غفرانك اللهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ " [3]، ولا تعارض بين هذه الأقوال الثلاثة، فلربما قال هذا القول النضر بن الحارث وأبو جهل، والإثنان من قريش.

---

(١) تفسير الشعراوي، ج١٢، ص ٧٢٢٣.

(٢) التفسير الحديث، لدروزة محمد عزت، ج٥، ص٤٩٥، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ج١، ص٦٢١، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

ثانياً: المعنى الإجمالي لبعض الآيات:

في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آَبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ [الأعراف:٧٠] هذه الآيات تتحدث عن قوم عاد الذين سكنوا في الأحقاف، فأرسل الله ﷻ إليهم هوداً ﷺ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وترك ما يعبدون من دون الله، فأبى أكثرهم عناداً واستكباراً، حتى قالوا لنبيهم "أجئتنا تتوعدنا بالعقاب من الله على ما نحن عليه من الدين، كي نعبد الله وحده، وندين له بالطاعة خالصا، ونهجر عبادة الآلهة والأصنام التي كان آباؤنا يعبدونها، ونتبرأ منها؟ فلسنا فاعلي ذلك، ولا نحن متبعوك على ما تدعونا إليه، فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب على تركنا إخلاص التوحيد لله، وعبادتنا ما نعبد من دونه من الأوثان، إن كنت من أهل الصدق على ما تقول وتعد" [١]. وقوله تعالى: ﴿**فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ [الشعراء:١٨٧] فهي تخص أصحاب الأيكة إذ أرسل الله إليهم شعيباً ﷺ، فطعنوا برسالته قائلين "إنما أنت من المغلوب على عقولهم، المسحور المخبول، فلا يسمع قولك ولا يؤبه لنصحك، ويغلب على الظن أنك تتعمد الكذب، ولست رسولاً من عند الله، وإنما أنت بشر مثلنا لا ميزة لك علينا، ثم استخفوا بالتهديد، مطالبين بقولهم: إن كنت صادقاً في تهديدك ووعيدك لنا بالعذاب، فأنزل علينا قطعاً من السحاب، فيها نوازل العذاب. فأجابهم شعيب ﷺ: ربي أعلم بعملكم، فيجازيكم عليه، إما عاجلاً وإما آجلاً [٢]. وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالُوا اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الأنفال:٣٢] فهذه الآية تتحدث عن مشركي العرب الذين أَبَوْا إلا أن يسيروا على درب من سبقهم من الأمم الكافرة، فرفضوا الإيمان واستعجلوا العقاب وقالوا ربنا سرِّع لنا نصيبنا من العذاب قبل يوم القيامة، بل زادوا في غيِّهم حيث إنَّهم دعوا على أنفسهم إن كان ما يدعوا إليه محمد ﷺ من توحيد الله وعبادته صدق أن يعاجلهم الله بعقابٍ من عنده، وعند البخاري "أنَّ أنس بن مالك ﵁ قال، قال أبو جهل اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فَنَزَلَتْ: ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [الأنفال:٣٣] " [٣].

---

(١) جامع البيان، ج١٢، ص٥٢١، ٥٢٢.

(٢) التفسير الوسيط، للزحيلي، ج٢، ص١٨٥١، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى.

(٣) صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري، ترقيم: محمد عبد الباقي، كتاب التفسير، باب سورة الأنفال، ص ٥٢٢، رقم الحديث (٤٦٤٨)، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى.

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* "حكي عن معاوية ﵁ أنه قال لرجل من سبأ: ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة، فقال الرجل: أجهل من قومي قومك حين قالوا لرسول الله ﷺ حين دعاهم إلى الحق ﴿**اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ ولم يقولوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه، فسكت معاوية ﵁" (١).

* في آية الأنفال "دل سؤالهم العذاب على تصميم عقدهم على تكذيب الرسول ﷺ، واستيقنوا عند أنفسهم بأنه لا يستجاب فيهم ما يدعونه على أنفسهم. وفى هذا أظهر دليل على أن سكون النفس إلى الشيء ليس بعلم لأنه كما يوجد مع العلم يوجد مع الجهل" (٢).

* "في المشار إليه بقوله تعالى: ﴿**إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ**﴾ ثلاثة أقوال: **أحدها:** أنَّه القرآن. **والثاني:** كل ما يقوله رسول الله ﷺ من الأمر بالتوحيد وغيره. **والثالث:** أنه إكرام محمد ﷺ بالنّبوة من بين قريش" (٣)، وهو يحمل الثلاثة معاني لأنَّ المشركين قالوها.

---

(١) صفوة التفاسير، ج١، ص٤٦٨.

(٢) لطائف الإشارات، للقشيري، ج١، ص٦٢١، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ج١، ص٦٢١.

المبحث الرابع

الإشاعة والمجادلة بالباطل والمساومة على العقيدة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإشاعة.

المطلب الثاني: المجادلة بالباطل.

المطلب الثالث: المساومة على العقيدة.

المطلب الأول

الإشـــاعـة

إنَّ أهل الباطل لم يتركوا باباً يمكن من خلاله أن يشككوا المسلمين بدينهم إلا طرقوه، ولا طريقاً إلا سلكوه، وكان من ذلك نشر الأخبار الكاذبة، وترويجها في المجتمع، لتصبح حديث الناس، فينتشر كذبهم بأرخص الأثمان، وتصبح هذه الوسيلة من أنجح الوسائل للظالمين، وأقلها تكلفة. وقبل عرض الآيات في هذا المطلب، سنتعرف على معنى الإشاعة لغةً واصطلاحاً.

الإشاعة لغةً: ورد في المعجم الوسيط تحت مادة "(شاع) الشيء شُيُوعاً وشيعاناً ومشاعاً ظهر وانتشر ويقال شاع بالشيء أذاعه،(الإشاعة) الخبر ينتشر غير متثبت منه، (الشائع) المنتشر" (١).

الإشاعة اصطلاحاً: عرفها أهل الاختصاص بأنَّها: "أخبار مجهولة المصدر غالباً يقوم عليها طرف ما، تعتمد تزييف الحقائق وتشويه الواقع، وتتسم هذه الأخبار بالأهمية، والغموض، وتهدف إلى التأثير على الروح المعنوية والبلبلة والقلق، وزرع بذور الشك في صفوف الخصوم والمناوئين عسكرياً، أو سياسياً، أو اقتصادياً، أو اجتماعياً" (٢).

"ويمكن القول إنَّ الإشاعة كل خبر مجهول المصدر لا يملك دليلاً على صدقه يقصد مُروجه التأثير على الفرد، أو الجماعة والسيطرة على سلوكهم لأغراض مشكوك فيها" (٣).

وقد وردت العديد من الآيات تبين أنَّ الظالمين استخدموا الإشاعة للصد عن سبيل الله ومنها:

﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء:٥].

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدَّثر:١٨-٢٥].

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:٨٦].

﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:٦٠].

---

(١) المعجم الوسيط لمجمع القاهرة، ج١، ص٥٠٣.

(٢) موقف الشريعة الإسلامية من الإشاعة، رسالة ماجستير، الباحث: عبد الله بن متعب الحربي، ص١٤.

(٣) الإشاعة إلى أين، لأبي القرع، ص١٢.

أولاً: سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ...﴾ [المدَّثر:١٨-٢٠]:

"عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قول بعضكم بعضا، فقيل: يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقوم به. فقال: بل أنتم فقولوا وأنا أسمع فقالوا: نقول كاهن. فقال: ما هو بكاهن: رأيت الكهان، فما هو بزمزمة الكهان. فقالوا: نقول مجنون. فقال: ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. فقالوا: نقول شاعر. فقال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر. قالوا: فنقول هو ساحر. قال: ما هو بساحر، قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا بعقده. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجنى (١)، فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لان تقولوا: هذا ساحر، فتقولوا هو ساحر يفرق بين المرء ودينه، وبين المرء وأبيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره. وأنزل الله في الوليد" ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا ممدودا وبنين شُهُودًا" الآيات، وفى أولئك النفر الذين جعلوا القرآن عضين" فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يعْملُونَ". قلت: وفي ذلك قال الله تعالى إخبارا عن جهلهم وقلة عقلهم: "بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ، بَلْ هُوَ شَاعِرٌ، فَلْيَأْتِنَا بِآيَة كَمَا أرسل الأولون" فحاروا ماذا يقولون فيه، فكل شيء يقولونه باطل، لأن من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ" (٢).

ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات:

تظهر لنا هذه الآيات بوضوح أنَّ الظالمين حرصوا كل الحرص على نشر الإشاعات بين الناس، ففي قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء:٥] تبين الآية أنَّ كفار مكة قالوا عن رسول الله ﷺ وعن ما يُوحى إليه" هو أقاويل رؤيا رآها في النوم، وقال بعضهم: هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من قبل نفسه، وقال بعضهم: بل محمد

---

(١) العذق: النخلة، وعذبة الأرض: إذا نبت شجرها (مجمل اللغة، لابن فارس، ج١، ص ٦٥٦). الجنى: جنى جنيت الثمرة وأجنيتها، وثمر جني حين يُجنى (مجملة اللغة، لابن فارس، ج١، ص ١٩٩).

(٢) السيرة النبوية، لابن كثير، ج١، ص٥٠٠، الناشر: دار المعرفة بيروت. وبنحوه في أسباب النزول، للنيسابوري، ج١، ص٤٤٧، ودلائل النبوة، للبيهقي، ج٢، ص ٢٠٠.

شاعر" [1]، وغير ذلك ممَّا قالوه كذباً وافتراءً، ويتضح من سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ...﴾ أنَّ المشركين انتقلوا من مرحلة العشوائية في نشر الإشاعات إلى توحيد إشاعة واحدة ليكون مفعولها أقوى، وتبين لنا الآيات أنَّ الوليد بن المغيرة، فكر تفكيراً عميقاً، ثمَّ رأى أنَّ أفضل إشاعة ستبثها قريش بين القبائل والوفود قولها أنَّه ساحر، ودليل ذلك أنَّه يُفرق به بين المرء وزوجه، وبين الابن وأبيه.

وفي قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:٦٠] ينذر الله ﷻ المنافقين والذين في قلوبهم مرض "والمرجفون: وهم الذين يثيرون الشائعات الكاذبة، ويطلقون الأراجيف المصطنعة، ليشغلوا الناس بها، ويفسدوا عليهم حياتهم ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي لنسلطنك عليهم، فتخرجهم من المدينة على أسوأ حال، كما خرج اليهود من قبلهم" [2]، "وذلك بأن هؤلاء المرجفين كانوا يخبرون عن سرايا المسلمين بأنهم هزموا، وتارة بأنهم قتلوا، وتارة بأنهم غلبوا، ونحو ذلك مما تنكسر له قلوب المسلمين من الأخبار" [3]، وقد استخدم الكفار من الأمم السابقة هذه الوسيلة وهذا ما يظهر لنا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا ...﴾ [الأعراف:٨٦] حيث إنَّ قوم مدين "كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يريد الإيمان بالله وبرسوله شعيب عليه السلام وهو قوله تعالى: ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ يعني وتمنعون من يريد الإيمان بالله وتقولون إن شعيباً كذاب وتخوفونه بالقتل. قال ابن عباس: كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من أتى عليهم أن شعيبا الذي تريدونه كذاب فلا يفتنكم عن دينكم[4].

ثالثاً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* في آية الأنبياء إضراب في قول المشركين "حيث أضربوا عن قولهم: هو سحر، إلى أنه تخاليط أحلام، ثم إلى أنه كلام مفترى، ثم إلى أنه قول شاعر"[5].
* ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ "ومعناه فكر ماذا يقول في القرآن وقدر في نفسه ما يقول وهيأه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره وإصابته فيه المحز [6]، ورميه الغرض

---

(١) جامع البيان، للطبري، ج١٨، ص٤١٢.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب، ج١١، ص٧٥٤، الناشر: دار الفكر العربي.

(٣) فتح القدير، للشوكاني، ج٤، ص٣٥٠.

(٤) جامع البيان، للطبري، ج١٨، ص٤١٢.

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، ج٢، ص٢٢٧، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

(٦) المحز: موضع الحز، ويقال: تكلم فأصاب المحز، أي تكلم فأقنع (المعجم الوسيط، ج١، ص ١٧٠).

الذي كان تنتحيه قريش. أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به، أو هي حكاية لما كرروه من قولهم. قتل كيف قدر تهكما بهم وبإعجابهم بتقديره، واستعظامهم لقوله، ومعنى قول القائل: قتله الله ما أشجعه. وأخزاه الله ما أشعره: الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك" (١).

* "المراد من قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ المبالغة والتأكيد" (٢).

رابعاً: فوائد وعظات من الآيات:

* نرى أهل الباطل متحيرون فيما يريدون أن يصفوا به هذا النبي المرسل فقد "أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام، ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده، ثم إلى أنه قول شاعر، وهكذا الباطل لجلج (٣)، والمبطل متحير رجَّاع غير ثابت على قول واحد" (٤)، وفي هذا الزمان نرى أهل الباطل ينشرون الشائعات المختلفة لصد الناس عن الدين فترةً يتهمونهم بالإرهابين، وتارةً بالرجعيّن وغيرها الكثير، قاصدين بذلك تشويه صورة الإسلام في نفوس المجتمعات.

* "في هذا الاضطراب منهم، والتلون والتردد أعظم دليل على أنهم جاهلون بحقيقة ما جاء به، لا يدرون ما هو ولا يعرفون كنهه؟ أو كانوا قد علموا أنه حق، وأنه من عند الله، ولكن أرادوا أن يدفعوه بالصدر، ويرموه بكل حجر ومدر، وهذا شأن من غلبته الحجة وقهره البرهان" (٥).

* "في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:٦٠] دليل لنفي أهل الشر، الذين يتضرر بإقامتهم بين أظهر المسلمين، فإن ذلك أحسم للشر، وأبعد منه" (٦).

* في ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ...﴾ نرى أنَّ "المال والبنون والجاه من عوامل الطغيان إلا أن يسلم الله عبده من فتنتها، ومن أكفر الناس من يعاند في آيات الله يريد صرف الناس عنها وإبطال هدايتها"(٧).

---

(١) الكشاف للزمخشري، ج٤، ص٦٤٩.

(٢) فتح القدير، للشوكاني، ج٥، ص٣٩٢.

(٣) قوله: (الباطل لجلج) في الصحاح: الحق أبلج والباطل لجلج، أي: يردد من غير أن ينفد. (الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، ج١، ص ٣٣٧).

(٤) الكشاف، ج٣، ص١٠٣

(٥) فتح القدير، ج٣، ص٤٧٠.

(٦) تيسير الكريم الرحمن، ج١، ص٦٧١.

(٧) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج٥، ص٤٦٧.

خامساً: أهداف أهل الباطل من نشر الإشاعات:

لا شك أنَّ أهل الباطل يسعون من خلال نشر الإشاعات إلى ضرب الصف المسلم وإضعافه وتفريقه، ولتحقيق ذلك، يسعون لتحقيق هذه الأهداف:

١- إسقاط رموز الأمة وقياداتها:

"لأنَّ التشكيك في الزعماء، والقادة من أنجح الأساليب في الحروب النفسية، ذلك لأنَّ القائد يعتبر رمزاً للأمة، فالعيون مشدودة إليه، فهو مقياس لقوة الجماعة، وممثل لها، فإذا اهتزت صورة هذا الرمز في عيون الأفراد ضاع حماسهم، وضعف ولاؤهم لقيادتهم، وتزعزع الإيمان بالرسالة التي يضحون من أجل تحقيقها" (١) وهذا ما فعله أهل الكفر في زمان رسول الله ﷺ فقد أشيع عنه بأنه كاذب وأنه شاعر وأنه ساحر. بل وفي أكبر إشاعة سجلها القرآن الكريم من اتهام عائشة (رضي الله عنها) بفعل الفاحشة، ما قصد المنافقون منها إلا النيل من شخص رسول الله ﷺ فنزلت سورة النور، مبينة براءتها ومؤدبة للمؤمنين، ومما ورد فيها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩].

"وهذه الآية الكريمة اشتملت على ثلاثة أمور:

الأمر الأول: تحريم إشاعة الفاحشة بين أهل الإيمان.

والأمر الثاني: بيان عاقبةِ مَن أشاع الفاحشة في الذين آمنوا.

والأمر الثالث: بيان صفةٍ مِن صفات الله تبارك وتعالى وهي صفات العلم" (٢).

وفي غزوة أحد أشيع أن رسول الله ﷺ قد قتل فترك ذلك الخبر الصحابة في حالة نفسية سيئة وكان خبراً كاذباً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤].

وتشويه صورة رموز الأمة وقياداتها هو نهجٌ سار عليه أهل الباطل على مدار الأزمان، وما كان سبب الفتنة ومقتل عثمان ﷺ على أيدي الخوارج، إلا نتيجة لإشاعات نشرها المفسدون وأعداء الدين، وفي زماننا نجد أنَّ قوى الباطل تسخر كل إمكاناتها الإعلامية في تشويه قيادات الجماعات والتنظيمات الإسلامية، ببث السموم والأكاذيب ونشرها وكأنَّها عين الحقيقة، ثمَّ يتلقفها

(١) الإشاعة إلى أين، لأبي القرع، ص٥٤.

(٢) تفسير سورة النور، للشنقيطي، ج٥، ص٢.

كل المنافقين ليذيعوها في كل الوسائل الإعلامية.

٢- إضعاف معنويات الأمة.

وهذا من أهم ما تسعى قوى الباطل إلى تحقيقه من نشر الإشاعات، وغالباً من يقوم بهذا الدور المنافقون، الذين ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا عبيداً للشيطان، وخدماً للطواغيت، ومن صور ذلك ما قام به المنافقون في غزوة الأحزاب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١٢].

"قال رجل يوم الأحزاب لرجل من صحابة النبي ﷺ: يا فلان أرأيت إذ يقول رسول الله ﷺ: "إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله" فأين هذا من هذا، وأحدنا لا يستطيع أن يخرج يبول من الخوف ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾" (١).

المطلب الثاني

المجادلة بالباطل

لقد كثرت الآيات التي تبين أنَّ الظالمين في كل الأزمان جادلوا الأنبياء عليهم السلام والمصلحين، مختلقين أكاذيب وأقاويل ما أنزل الله بها من سلطان، قاصدين بذلك زعزعة الإيمان في نفوس المؤمنين، فما من نبيٍ من الأنبياء إلا وجادله قومه، وطعنوا في رسالته، وشككوا في معجزته واستهزئوا بأتباعه.

فقوم نوح عليه السلام جادلوا نبيهم قائلين له: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود:٢٧].

وقوم عاد جادلوا نبيهم هود قائلين له: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٣-٥٤].

وقوم ثمود جادلوا نبيهم صالح قائلين له: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود:٦٢].

(١) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ: أحلت لكم الغنائم، رقم الحديث (٣١١٠).

وقوم مدين جادلوا نبيهم شعيباً قائلين له: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود:٨٧].

وقوم إبراهيم عليه السلام جادلوا نبيهم قائلين له: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ [الشعراء:٧١].

وجادل فرعونُ موسى عليه السلام قائلاً له: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨-١٩].

وكفار مكة جادلوا رسول الله ﷺ في نبوته قائلين: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزُّخرف:٣١].

وجادلوا في القرآن قائلين: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان:٥].

وجادلوا في المعجزات الأخرى قائلين: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر:٢].

والناظر إلى العالم في هذا الزمان ليجد المئات، لا بل الآلاف ممن يحملون الأسماء العربية، ولكنَّهم يحملون ألسنة حداداً على الإسلام وأهله، فتراهم يجادلون في كل الميادين الإعلامية ضد الحق، ومن رفع راية الحق، مسخرين كل ما أمكنهم من إمكانات إعلامية، لإدحاض الحق، وتلميع الباطل.

وقد وردت العديد من الآيات التي تبين أنَّ الظالمين، استخدموا الجدال للصد عن سبيل الله ومنها:

قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف:٥٦].

قال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٤-٥].

أولاً: المعنى الإجمالي للآيات:

يتبين من قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف:٥٦] أنَّ الكافرين يجادلون أنبياءهم بكل

باطل، "وذلك كقولهم للنبي ﷺ أخبرنا عن حديث فتية ذهبوا في أول الدهر لم يدر ما شأنهم، وعن الرجل الذي بلغ مشارق الأرض مغاربها، وعن الروح، وما أشبه ذلك مما كانوا يخاصمونه به، يبتغون إسقاطه، تعنيتاً له ﷺ" (١)، ويتبين من قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ لنا أنَّ "الكافرين وحدهم من بين هذا الوجود الهائل يشذون وهم وحدهم من بين هذا الخلق العظيم ينحرفون، فهي قصة قديمة من عهد نوح، ومعركة ذات مواقع متشابهة في كل زمان، وهذه الآية تصور هذه القصة، قصة الرسالة والتكذيب والطغيان على مدى القرون والأجيال كما تصور العاقبة في كل حال، رسول يجيء، فيكذبه طغاة قومه، ولا يقفون عند مقارعة الحجة بالحجة، إنما هم يلجؤون إلى منطق الطغيان الغليظ، فيهمون أن يبطشوا بالرسول، ويموهون على الجماهير بالباطل ليغلبوا به الحق" (٢).

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ "اختيار فعل المضارعة للدلالة على تكرر المجادلة، أو لاستحضار صورة المجادلة.

* في قوله تعالى: ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ الإدحاض: الإزلاق، يقال: دحضت القدم، إذا زلت، وهو مجاز في الإزالة، لأن الرجل إذا زلقت (قدمه) زالت عن موضع تخطيها" (٣).

* في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ "تقرير فيه معنى التعجيب" (٤).

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* ما ذكرته الآيات الكريمة هو الجدل المذموم، "وهو جدل الكفار انتصاراً للباطل، ورغبة في القضاء على الحق، ويوجد نوعٌ آخر من الجدل وهو مشروع محمود وهو ما كان بغرض إظهار الحق، وإبطال الشبهات التي يثيرها البعض حوله، ومن ذلك ما وجه الله تعالى إليه رسوله الكريم ﷺ وهو يجادل المشركين في دعوتهم إلى الإيمان بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥] أي بالطريقة التي هي أحسن" (٥).

---

(١) جامع البيان، للطبري، ج١٨، ص٥٠.

(٢) في ظلال القرآن، لقطب، ج٥، ص٣٠٦٩.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج١٥، ص٣٥٣.

(٤) الكشاف، للزمخشري، ج٤، ص١٥١.

(٥) المنهج القويم إلى علوم القرآن الكريم، لسيد جبريل، ج٢، ص١٠، الناشر: منارات للإنتاج الفني والدراسات، الطبعة الأولى.

* "الجدال هو فتل الخصم عما هو عليه بحق أو باطل، وأما المناظرة لا تكون إلا بين محقين، أو بين محق ومبطل، والجدال قد يكون بين المبطلين" (١).

* "في بعض التفاسير: أن أصحاب رسول الله قالوا متوجعين: نحن فقراء، والكفار مياسير ذو أموال، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ " (٢)، "وفي الآية دلالة على أنه ينبغي أن لا يغتروا بإملاء الله تعالى لهم، فالخطاب له والإشارة إلى من يقع منه الإغترار" (٣) وفي ذلك تنبيهٌ أنَّ المسلم هو الأعز، وأنَّه يستمد عزته من إيمانه بالله تعالى، ولا ينبغي له أن ينظر للكافر نظرة توقير لأنَّه ذليل بعصيانه لله تعالى ولو بلغ ماله مال قارون.

* "قال أبو العالية: آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ و﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ " (٤).

المطلب الثالث

المساومة على العقيدة

"ولما يرى المشركون صلابة المسلمين واستعلاءهم بدينهم، ورفعة نفوسهم فوق كل باطل، ولما بدأت خطوط اليأس في نفوسهم من أن المسلمين يستحيل رجوعهم عن دينهم يسلكون مهزلة أخرى من مهازلهم الدالة على طيش أحلامهم، ورعونتهم الحمقاء" (٥)، وهي أن يساومونهم على عقيدتهم لعلهم بذلك يرضون، فيفتحوا أمام الموحدين أبواب الدنيا إن هم لانوا لباطلهم، ويفاوضونهم بترك بعض المعتقدات من دينهم حتى ينتهى الصراع بينهم، ويعرضون عليهم الأموال لإغرائهم بترك الحق. وقد وردت العديد من الآيات تبين أنَّ الظالمين استخدموا المساومة والمفاوضات لصد عن سبيل الله ومنها:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ...﴾ [يونس:١٥].

قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٨-٩].

---

(١) تفسير القرآن، للسمعاني، ج٥، ص٧، الناشر: دار الوطن، السعودية، الطبعة الأولى.

(٢) المرجع السابق، ج٥، ص٦.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ج٤، ص٥٤٧.

(٤) تفسير البغوي، ج٤، ص١٠٤.

(٥) السِّيرةُ النّبوية عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، للصلابي، ج١، ص٢٠٨، الناشر: دار التوزيع والنشر، الطبعة الثانية.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١-٦].

أولاً: سبب نزول سورة الكافرون:

"نزلت في رهط من قريش قالوا: يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يدك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك، فقال: "معاذ الله أن أشرك به غيره"، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ إلى آخر السورة، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش، فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة، فأيسوا منه عند ذلك" (١).

ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات:

من هذه الآيات يتبين أنَّ الظالمين يحاولون أن يقايضوا صاحب الدعوة في دعوته، فهم يعرضون عليه أن يغير بعض الأفكار، أو يستبدلها، أو يزيلها من معتقده، ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ...﴾ كما قال ابن جرير "والتبديل الذي سألوه، فيما ذكر، أن يحوّل آية الوعيد آية وعد، وآية الوعد وعيدًا والحرامَ حلالاً والحلال حرامًا" (٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ "عن ابن عباس: لو ترخص لهم فيرخصون لك. وقال قتادة: لو تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك. وقال الحسن: لو تصانعهم في دينك فيصانعوك في دينهم. وقال زيد بن أسلم: لو تنافق وترائي فينافقونك ويراؤونك. وقال الربيع بن أنس: لو تكذب فيكذبون. وقال أبو جعفر: لو تضعف فيضعفون. وقال الكلبي والفراء: لو تلين فيلينون" (٣). ومن سورة الكافرون يتبين أنَّ المشركين حاولوا أن يوجدوا ما يسمى حلول وسط، ولكن أنَّى لهم ذلك فالحق يبقى حق والباطل يبقى باطل، والحق والباطل ضدان لا يجتمعان، كالليل والنهار لا يلتقيان.

ثالثاً: الوجه البلاغي من الآيات:

* "افتتحت سورة الكافرون بـ (قل) للاهتمام لما بعد القول بأنه كلام يراد إبلاغه إلى الناس، والنداء بوصف الكافرين تحقيراً لهم، وتأييداً لوجه التبرؤ منهم، وإيذاناً بأنه لا يخشاهم، لذا ناداهم بما

(١) أسباب النزول، للنيسابوري، ج١، ص٤٦٧.

(٢) جامع البيان، للطبري، ج١٥، ص٤٠.

(٣) البحر المحيط في التفسير، لابن حيان، ج١٠، ص٢٣٨، الناشر: دار الفكر، بيروت.

يكرهون لما يثير غضبهم؛ لأن الله كفاه إياهم، وعصمه من أذاهم" (١).

رابعاً: فوائد وعظات من الآيات:

* لقد بينت سورة الكافرون إن التوحيد منهج، والشرك منهج آخر لا يلتقيان فالتوحيد منهج يتجه بالإنسان مع الوجود كله إلى الله وحده لا شريك له. فالجاهلية جاهلية، والإسلام إسلام. والفارق بينهما بعيد. والسبيل هو الخروج عن الجاهلية بجملتها إلى الإسلام بجملته. هو الانسلاخ من الجاهلية بكل ما فيها والهجرة إلى الإسلام بكل ما فيه. فلا يصح لا الترقيع، ولا أنصاف حلول، ولا التقاء في منتصف الطريق.. مهما تزيت الجاهلية بزي الإسلام، أو ادعت هذا العنوان! وتميز هذه الصورة في شعور الداعية هو حجر الأساس. شعوره بأنه شيء آخر غير هؤلاء. لهم دينهم وله دينه، لهم طريقهم وله طريقه. لا يملك أن يسايرهم خطوة واحدة في طريقهم. ووظيفته أن يسيرهم في طريقه هو، بلا مداهنة ولا نزول عن قليل من دينه أو كثير! وإلا فهي البراءة الكاملة، والمفاصلة التامة، والحسم الصريح.. «لكم دينكم ولي دين» .. وما أحوج الداعين إلى الإسلام اليوم إلى هذه البراءة وهذه المفاصلة وهذا الحسم.. ما أحوجهم إلى الشعور بأنهم ينشئون الإسلام من جديد في بيئة جاهلية منحرفة (٢).

* "لقد كان وما زال أسلوب المساومة على العقيدة والإغراء قائماً، "وعلى الدعاة اليوم الحذر من مثل هذه العروض، والإغراءات المادية، التي قد لا تعرض بطريق مباشر، فقد تأخذ شكلاً غير مباشر، في شكل وظائف عليا، أو عقود عمل مجزية، أو صفقات تجارية مربحة، وهذا ما تخطط له المؤسسات العالمية المشبوهة لصرف الدعاة عن دعوتهم وبخاصة القيادين منهم، وهناك تعاون تام في تبادل المعلومات بين هذه المؤسسات التي تعمل من مواقع متعددة لتدمير العالم الإسلامي، ولقد جاء في التقرير الذي قدمه (ريتشارد ب. ميشيل) (٣)، جاء في هذا التقرير: وضع تصور لخطة جديدة يمكن من خلالها تصفية الحركات الإسلامية، فكان من بين فقرات هذا التقرير فقرة خاصة بإغراء قيادات الدعوة، فاقترح لتحقيق ذلك الإغراء ما يلي:

أ- تعيين من يمكن إغراؤهم بالوظائف العليا، حيث يتم شغلهم بالمشروعات الإسلامية فارغة المضمون، وغيرها من الأعمال التي تستنفد جهدهم، وذلك مع الإغداق عليهم أدبيًّا وماديًا، وتقديم تسهيلات كبيرة لذويهم، وبذلك يتم استهلاكهم محليًّا، وفصلهم عن قواعدهم الجماهيرية.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٣٠، ص ٥٨١.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لقطب، ج٦، ص ٣٩٩٢.

(٣) أحد كبار العاملين في مجال الشرق الأوسط، لرصد الصحوة الإسلامية، وتقديم النصح بكيفية ضربها

ب- العمل على جذب ذوي الميول التجارية والاقتصادية، إلى المساهمة في المشروعات ذات الأهداف المشبوهة، التي تقام في المنطقة العربية لمصالح أعدائها.

ج- العمل على إيجاد فرص عمل، وعقود مجزية في البلاد العربية الغنية، الأمر الذي يؤدي إلى بُعدهم عن النشاط الإسلامي.

فالمتدبر في النقاط الثلاث السابقة، يلاحظ أنها إغراءات مادية غير مباشرة، وبنظرة فاحصة للعالم الإسلامي اليوم، نلاحظ أن هذه النقاط تنفذ بكل هدوء، فقد أشغلت المناصب العليا بعض الدعاة، واستهلكت بعض الدول العربية الغنية جمًا غفيرًا من الدعاة، وألهت التجارة بعضهم"(١).

وقد استخدم الظالمون هذا الأسلوب على مدار الأزمان، لأنَّ النفوس التي لا تلين بالتعذيب والوعيد، قد تلين بالمفاوضات والمساومات، والإغراءات المالية، فكم من عابدٍ باع دينه بنظرة، وكم من عالمٍ باع علمه برتبة، وكم من مجاهدٍ ترك سلاحه برتبة، وهذا إنَّما يدخل على أصحاب النفوس الضعيفة، والقلوب المريضة، أمَّا من تجذر الإيمان في قلبه، فليس للدنيا سبيلٌ إليه.

وعن ابن عباس، قال: "أسرت الروم عبد الله بن حذافة السهمي، صاحب النبي ﷺ فقال له الطاغية: تنصر وإلا ألقيتك في البقرة، لبقرة من نحاس، قال: ما أفعل، فدعا بالبقرة النحاس فملئت زيتاً وأغليت، ودعا برجل من أسرى المسلمين فعرض عليه النصرانية، فأبى، فألقاه في البقرة، فإذا عظامه تلوح، وقال لعبد الله: تنصر وإلا ألقيتك، قال: ما أفعل، فأمر به أن يلقى في البقرة فبكى، فقالوا: قد جزع، قد بكى، قال: ردوه، قال: لا ترى أني بكيت جزعا مما تريد أن تصنع بي، ولكني بكيت حيث ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله، كنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة في، ثم تسلط علي فتفعل بي هذا، قال: فأعجب منه وأحب أن يطلقه، فقال: قبل رأسي وأطلقك، قال: ما أفعل، قال: تنصر وأزوجك بنتي وأقاسمك ملكي، قال: ما أفعل، قال: قبل رأسي وأطلقك وأطلق معك ثمانين من المسلمين، قال: أما هذه فنعم، فقبل رأسه، وأطلقه، وأطلق مع ثمانين من المسلمين، فلما قدموا على عمر بن الخطاب قام إليه عمر فقبل رأسه، قال: فكان أصحاب رسول الله ﷺ يمازحون عبد الله فيقولون: قبلت رأس علج (٢)، فيقول لهم: أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من المسلمين" (٣).

---

(١) السيرة النبوية، للصلابي، ص ٢١٠.

(٢) علج: العين واللام والجيم أصل صحيح يدل على تمرس ومزاولة، في جفاء وغلظ. من ذلك العلج، وهو حمار الوحش، وبه يشبه الرجل الأعجمي. (مقاييس اللغة، لابن فارس، ج٤، ص١٢٤).

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، ج٣، ص٢١٣، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

ومن الأمثلة على استخدام هذه الوسيلة من الظالمين في زماننا الحاضر، "موقف السلطان عبد الحميد الثاني، فقد ساومه اليهود كثيراً ليأذن لهم باحتلال فلسطين، وجعلها دولة يهودية، فأبى كل الإباء، فعرضوا عليه من المال ما يكفي لإنهاء مشكلات الدولة العثمانية، وسداد ديونها، وتفريج أزمتها، وكان الثمن الذي دفعه السلطان من جراء موقفه هو عزله عن عرشه" (١).

فلقد استغل اليهود وأعوانهم بقيادة هرتزل أن يستغلوا الضائقة المالية الشديدة التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية، لكن السلطان ما هان وما استكان، لهذه المساومات والإغراءات، ورد على رسل هرتزل رداً مشرفاً يشفي صدور قوم مؤمنين، فجزاه الله عن فلسطين خيراً:

"انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع، فلن أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي، لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم، فإذا مزقت إمبراطوريتي، فلعلهم يستطيعون آنذاك بأن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، ولكن يجب أن يبدأ التمزيق أولاً في جثثنا وإنّي لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة" (٢).

---

(١) بشرى المؤمنين بالنصر العظيم، للأشقر، ص٢١، الناشر: دار النفائس، الطبعة الأولى.

(٢) السلطان عبد الحميد وفلسطين، لنتشه، ص١٧٨، الناشر: دار المستقبل، الطبعة الثامنة.

المبحث الخامس

التهجير والتعذيب والسجن والقتل

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التهجير.

المطلب الثاني: التعذيب.

المطلب الثالث: السجن.

المطلب الرابع: القتل.

المبحث الخامس

التهجير والسجن والتعذيب والقتل

وبعد أن يستنفذ أهل الباطل كل الوسائل الإعلامية من استهزاءٍ بالدين وأهله وشعائره، ومن نشرٍ للإشاعات، ومن إطلاق ألسنة الجدال بالباطل لتنهش في جسد الحق الطاهر، ولتشوه صورة الحق الناصعة البيضاء في نفوس أهله، وبعد أن يفشلوا في هذه الوسائل لأنَّ الإيمان إذا خالطة بشاشة القلوب، لا تستطيع أن تزيله قوى الأرض ولو اجتمعت، والناظر في سيرة السلف من الصحابة والتابعين، وما يلقاه أبناء الجماعات الإسلامية على مدار الأزمان يدرك حقيقة ذلك نراهم يلجؤون إلى أساليب أكثر تطرفاً وإجراماً كالتهجير والسجن والتعذيب والقتل، وهم يقصدون بهذه الوسائل لتحقيق هدفين:

الأول: أن يردوا من استطاعوا من الإيمان إلى الكفر، أو من التمسك بالدين الصحيح، إلى الاعوجاج الذي لا يرضاه الله تعالى.

الثاني: ليجعلوا من يُفكر أن ينتقل إلى حظيرة الإيمان أو العمل الإسلامي أن يتراجع عن هذا القرار، لأنَّه يرى ما يلاقيه أصحابه من آلام.

والناظر إلى قصص الأنبياء في القرآن الكريم، ليعلم يقيناً أنَّه ما من نبيٍ إلا وعذبه قومه أو أخرجوه من بلاده، أو قتلوه، لأنَّ هذه سنة الله في أرضه أن يتدافع الناس، وأن يقتتل الحق والباطل، ليمتحن الله عباده المؤمنين، وليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، قال الله تعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾[العنكبوت: ١-٣]، ولقد كان نصيب الأنبياء من هذا الابتلاء أكبر نصيب، فقد جاء في الحديث، قال رسول الله ﷺ: **(إن من أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)** (١).

وقد قال الإمام ابن القيم في هذا المقام: يا ضعيف العزم يا دني الهمَّة، الطريق طويل، ناح فيه نوح، وأُلقي في النار إبراهيم، وأضجع لذبح إسماعيل، وزاد ضرُّ أيوب، وشُجَّ رأس الحبيب، فإذا نام المسافر واستطال الطريق فمتى يصل إلى المقصود، إذاً فالدعوات إنَّما ترتفع يوم أن يضحي من أجلها أصحابها، ويوم أن يجعلوا دماءهم هي الوقود الذي سيُسرج به ضوء الإيمان.

---

(١) مسند الإمام أحمد، ج٤٥، ص١٠، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، وقد ورد الحديث عند النسائي، قال الألباني: صحيح لغيره.

المطلب الأول

التهجيـــــر

لقد كان التهجير وإخراج المؤمنين من ديارهم منهجاً للظالمين على مدار الأزمان، فهم يحاولون بذلك أن يبعدوا المصلحين عن ساحات التأثير، وهذه مجموعة من الآيات تبين التهجير كوسيلة من وسائل الظالمين.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف:٨٢].

قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف:٨٨].

قال تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء:١٠٣].

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم:١٣].

أولاً: المعنى الإجمالي لبعض الآيات:

إنَّ هذه الآيات تنطق بروح معانيها عن وسيلةٍ قبيحةٍ من وسائل الظالمين، وهي الإخراج من الديار من غير ذنبٍ ولا خطيئةٍ، وإنَّما لأنَّهم أرادو لمجتمعاتهم الصلاح والرشاد، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف:٨٢] فقوم لوط عليه السلام بعد ما يسأموا من سماع النصائح، قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف:٨٨] التي تدعوهم إلى الإيمان والعفاف، يقرروا أن يخرجوا لوطاً عليه السلام من قريتهم ليريحوا أنفسهم من سماع النصائح، وعلى نفس الطريقة سار قوم مدين فخيروا نبيهم شعيباً عليه السلام بالرجوع إلى أهوائهم الفاسدة أو الإخراج من الديار، بل ويتضح من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم:١٣]فإنَّ هذا نهج كل الكافرين مع رسلهم، قال الصابوني: "هذا إخبار منه تعالى على ما قالت الأمم الكافرة لرسلها: قالوا موعدين مهددين بالنفي والإبعاد من البلاد لكل من يرغب عن دينهم ويعبد غير آلهتهم" (١).

---

(١) أيسر التفاسير، ج٣، ص٤٧.

وممَّا يوضح أنَّ هذا نهجٌ للظالمين ما رواه الشيخان في حديث بدأ الوحي، "عن عروة بن الزبير أن عائشة ، زوج النبي ﷺ أخبرته أنها قالت : كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه، وهو التعبد، الليالي أولات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: إقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: إقرأ، قال: قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: إقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥] .

فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة: أي خديجة، ما لي وأخبرها الخبر، قال: لقد خشيت على نفسي، قالت له خديجة: كلا أبشر، فوالله، لا يخزيك الله أبداً، والله، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرءاً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: أي عم، اسمع من ابن أخيك. قال ورقة بن نوفل: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رآه، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى ﷺ، يا ليتني فيها جذعاً، يا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك، قال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً" (١).

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ "اللام لام قسم، أي والله لنخرجنكم. ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ أي حتى تعودوا، أو إلا أن تعودوا، أو أنَّها على بابها من التخيير، خير الكفار الرسل بين أن يعودوا في ملتهم أو يخرجوهم من أرضهم، وهذه سيرة الله تعالى في رسله

(١) صحيح البخاري، كتاب بدأ الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم الحديث ٣، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدأ الوحي، رقم الحديث ٢٥٢، الناشر: ألفا، الطبعة الأولى،.

وعباده"[1] وفي الآية أيضاً مؤكد ثاني وهو " نون التوكيد الثقيلة" [2].

* في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ "التعبير بـ ﴿لَتَعُودُنَّ﴾ يوحي إلى أنهم كانوا في ملتهم، وخرجوا منها وطلبوا أن يعودوا إليها، والرسل لم يكونوا في ملتهم أبدا، فما كان الرسل ليشركوا بالله ويعبدوا الأوثان، والجواب عن ذلك من وجوه **أولها:** أن عاد بمعنى صار وهي كثيرة الاستعمال في اللسان العربي كذلك، **وثانيها:** أن ذلك ينطبق على أتباع الرسل، **وثالثها:** أن حال الرسل قبل الرسالة تكون صمتا عن الشرك لا يعتقدونه ولا يقومون بالدعوة ضده، فيحسبهم الجاهلون من أهل الشرك أنهم معهم، فإذا جاءوا بعد البعث يدعونهم حسبوا ذلك جديداً على الرسل كما هو جديد عليهم، فطالبوهم بأن يعودوا إلى ما كانوا عليه" [3].

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* في العادة " لا يلجأ أحد إلى القوة إلا إذا كَلَّ به الدليل، وأحس بأن ما يسوقه من قول يحسبه حجة انهيار أمام قوة الحق؛ ولأن أتباع الرسل دائما يكونون قلة وأكثرهم ضعفاء يستهين بهم المشركون؛ لأنهم أعز نفرا، وأشد بأسا، وأكثر تعنتا"[4] فيهددونهم بإخراجهم من مسقط رؤوسهم.

* في قصة لوط عليه السلام نجد أنَّ قومه سيخرجونه لأنَّه أراد لهم الطهر والعفاف "والمثال على ذلك حين نجد شابا يريد أن ينضم إلى صداقة جماعة في مثل عمره، لكنه وجدهم يشربون الخمور، فنصحهم بالابتعاد عنه، ووجدهم يغازلون النساء فحذرهم من مغبة الخوض في أعراض الناس، لكن جماعة الأصدقاء كرهت وجوده بينهم لأنه لم يألف الفساد فيقولون: لنبتعد عن هذا المستقيم المتزهد المتقشف، وكأن هذه الصفات صارت سبة في نظر أصحاب المزاج المنحرف، مثلهم مثل الحيوان الذي يحيا في القذارة، وإن خرج إلى النظافة يموت" [5].

* "إنَّ طبيعة التصور الاعتقادي، ونظام الحياة الذي يقوم عليه، ذو أثر حاسم في سير المجتمعات فهذه هي الجاهلية الحديثة في أوربا وفي أمريكا ينتشر فيها الانحراف الجنسي الشاذ انتشارا ذريعا، بغير ما مبرر إلا الانحراف عن الاعتقاد الصحيح، وعن منهج الحياة الذي يقوم عليه.... بل وما زالت الجاهلية الحديثة، تطارد الذين يتطهرون، فلا ينغمسون في الوحل الذي تنغمس فيه مجتمعات الجاهلية وتسميه تقديمة وتحطيما للأغلال عن المرأة وغير المرأة أليست

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج٩، ص٣٤٨.

(٢) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، ج٨، ص٤٠٠٥.

(٣) المرجع السابق ، ج٨، ص٤٠٠٦.

(٤) المرجع السابق، ج٨، ص٤٠٠٥.

(٥) تفسير الشعراوي، ج٧، ص٤٢٢٩.

تطاردهم في أرزاقهم وأنفسهم وأموالهم وأفكارهم وتصوراتهم كذلك ولا تطيق أن تراهم يتطهرون لأنها لا تتسع ولا ترحب إلا بالملوثين الدنسين القذرين، إنه منطق الجاهلية في كل حين!!" (١).

* نرى من خلال الآيات أنَّ الظالمين نسبوا الأرض إلى أنفسهم متوعدين الرسل ومن آمن معهم "بالإخراج من ديارهم ونسبوها إلى أنفسهم وزعموا أن الرسل لا حق لهم فيها، وهذا من أعظم الظلم، فإن الله أخرج عباده إلى الأرض، وأمرهم بعبادته، وسخر لهم الأرض وما عليها يستعينون بها على عبادته، فمن استعان بذلك على عبادة الله حل له ذلك وخرج من التبعة، ومن استعان بذلك على الكفر وأنواع المعاصي، لم يكن ذلك خالصا له، ولم يحل له، فعلم أن أعداء الرسل في الحقيقة ليس لهم شيء من الأرض التي توعدوا الرسل بإخراجهم منها. وإن رجعنا إلى مجرد العادة فإن الرسل من جملة أهل بلادهم، وأفراد منهم، فلأي شيء يمنعونهم حقا لهم صريحا واضحا؟! هل هذا إلا من عدم الدين والمروءة بالكلية؟" (٢).

المطلب الثاني

التعذيـــــب

لقد استخدم الظالمون التعذيب للصدِّ عن سبيل الله، مستغلين بذلك قلة المؤمنين وضعفهم، مسخرين كل فنون التعذيب النفسية والجسدية، فما من نبيٍ إلا وقد ناله من قومه التعذيب، وأمَّا أتباع الرسل عليهم السلام فقد صبروا على التعذيب صبر الجبال الراسيات. وهذه مجموعة من الآيات تبين التعذيب كوسيلة من وسائل الظالمين.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ * مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدُخان: ٣٠-٣١].

قال تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه:٧١].

أولاً: المعنى الإجمالي للآيتين:

لقد برع فرعون بفنون التعذيب ضد المؤمنين من بني إسرائيل، ففي آية سورة الدخان "يمتن الله تعالى عليهم بذلك، حيث أنقذهم مما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله لهم، وتسخيره إياهم في الأعمال المهينة الشاقة"(٣). وفي آية سورة طه حينما آمن السحرة لمَّا رأوا صدق معجزة

---

(١) في ظلال القرآن، لقطب، ج٣، ص١٣١٥، ١٣١٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ج١، ص٤٢٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٧، ص٢٥٥.

موسى عليه السلام نرى فرعون ينتقل إلى "التهديد الغليظ بالعذاب الغليظ الذي يعتمد عليه الطغاة ويسلطونه على الجسوم والأبدان حين يعجزون عن قهر القلوب والأرواح، ثم الاستعلاء بالقوة الغاشمة، قوة الوحوش في الغابة، القوة التي تمزق الأحشاء والأوصال، ولا تفرق بين إنسان يقرع بالحجة وحيوان يقرع بالناب" (١).

والناظر إلى سيرة المصطفى ﷺ، يرى أنَّ أصحابه قد نالهم من التعذيب الشيء الكثير في العهد المكي، حتى شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، "عن خباب، قال: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فشكونا إليه فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ فجلس محمرا وجهه فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، ثم يؤتى بالمنشار فيجعل على رأسه، فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء وحضرموت ما يخاف إلا الله تعالى، والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون»"(٢).

وقد نال الصحابة قسطاً كبيراً من التعذيب جاء في السيرة: ثم إنهم عدوا على من أسلم، واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم، يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يصلب لهم، ويعصمه الله منهم. ومنهم بلال بن رباح وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: (لا والله) لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد. وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر، وبأبيه وأمه، وكانوا أهل بيت إسلام، إذا حميت الظهيرة، يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول، فيما بلغني: صبرا آل ياسر، موعدكم الجنة. فأما أمه فقتلوها، وهي تأبى إلا الإسلام. وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش، إذا سمع بالرجل قد أسلم، له شرف ومنعة، أنبه وأخزاه، وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ولنفيلن رأيك، أي نخطئنه، ولنضعن شرفك، وإن

---

(١) في ظلال القرآن، لقطب، ج٤، ص٢٣٤٣.

(٢) سنن أبي داوود، كتاب الجهاد، باب في الأسير يكره على الكفر، رقم الحديث ٢٦٤٩، قال الألباني: صحيح، الناشر: دار بن الجوزي، الطبعة الأولى. وقد رواه النسائي وأحمد والبخاري.

كان تاجراً قال: والله لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به [(١)]، وهذا غيض من فيض ممَّا نال أصحاب النبي ﷺ من التعذيب.

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ * مِنْ فِرْعَوْنَ ...﴾ جاءت فرعون "بدل من العذاب على حذف المضاف، والتقدير: من عذاب فرعون، أو على المبالغة كأن فرعون نفس العذاب، لإفراطه في تعذيبهم وإهانتهم" [(٢)].

* في قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ جاء التعبير في جذوع وليس على جذوع حيث " شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه" [(٣)].

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ "المقصود من ذكر هذا الإشارة إلى أن الله تعالى ينجي الذين آمنوا بمحمد ﷺ من عذاب أهل الشرك بمكة، كما نجى الذين اتبعوا موسى من عذاب فرعون" [(٤)].

المطلب الثالث

السجن

فالسجن من أكثر الوسائل التي يستخدمها الظالمون، قاصدين بذلك تعذيب الموحدين وإرهابهم وإبعادهم عن التأثير على الناس، وفي زماننا هذا كثرة السجون، لا بل وأصبحت لها محاكم تقضي على المتهمين، غير أنَّ هؤلاء المتهمين ليس لهم تهم إلا أنَّهم يريدون نصرة الإسلام، لقد امتلأت سجون الظالمين بالإسلاميين، ففي كل دولةٍ فيها نظام حكم ظالم فاسد نجد آلاف المعتقلين الذين يذوقون أشد أنواع التعذيب لأنَّهم رفضوا أن يداهنوا الظالم بظلمه.

وقد وردت العديد من الآيات التي تبين السجن كوسيلة للصدِّ عن سبيل الله.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف:٣٢] .

---

(١) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، ج١، ص٣١٧.

(٢) التفسير الوسيط، للزحيلي، ج١٣، ص١٢٩.

(٣) الكشاف، للزمخشري، ج٣، ص٧٦.

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٢٥، ص٣٠٤.

قال تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء:٢٩].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ...﴾ [الأنفال:٣٠].

أولاً: المعنى الإجمالي للآيات:

في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف:٣٢] نجد امرأة العزيز تساوم يوسف عليه السلام بين المعصية وبين السجن حيث "تقول: ولئن لم يطاوعني على ما أدعوه إليه من حاجتي إليه ليحبسن وليكوناً من أهل الصغار والذلة بالحبس والسجن" [١] فيختار يوسف عليه السلام العفاف والطهر ليكون الثمن أن يمكث في السجن بضع سنين. وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء:٢٩] نجد أنَّ فرعون بعد "ما لم يجد لحجاجه نجاحاً ورأى شدة شكيمة موسى في الحق عدل عن الحجاج إلى التخويف ليقطع دعوة موسى من أصلها. وهذا شأن من قهرته الحجة، وفيه كبرياء أن ينصرف عن الجدل إلى التهديد" [٢] حيث ساوم موسى عليه السلام بين الكفر وبين السجن. وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ...﴾ [الأنفال:٣٠] فقد يخص نبينا صلوات الله وسلامه عليه، وتبين لنا شدة المكر الذي كان كفار مكة يتربصون به النبي ﷺ، حيث فكروا ملياً بين أن يحبسوه أو يقتلوه أو يخرجوه، ولكنَّ الله سلم نبيه من مكرهم.

وفي زماننا نجد أنَّ الظالمين أيضاً يساومون الناس بين الطاعة العمياء لحكامهم وبين السجن الذي لا يعرف نهايته، فكم من عالمٍ سجنه حاكم، لأنَّه لم يعطي الدنية في دينه، وقال الحق عند سلطانٍ جائر، وكم من عالمٍ باع علمه بدراهم معدودة، وزلت قدماه في الطين.

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* "قوله: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ إنما عدل عن لأسجننَّك وهو أخص منه؛ لأن فيه مبالغة ليست في ذاك، أو معناه: لأجعلنك ممن عرفت حاله في سجوني" [٣]، وذلك يُوحي أن فرعون اشتهر بسجن من يُعارضه، وهذا يُمثل النظام السياسي الفاسد والمستبد، والواقع ينطق بذلك.

---

(١) جامع البيان للطبري، ج١٦، ص٨٦.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج١٩، ص١٢١.

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، الناشر: دار القلم، ج٨، ص٥١٩.

* "اللام في قوله: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي﴾ موطئة للقسم. والمعنى أن فرعون أكد وعيده بما يساوي اليمين المجملة التي تؤذن بها اللام الموطئة في اللغة العربية كأن يكون فرعون قال: علي يمين، أو بالأيمان، أو أقسم" (١).

* في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ "الإتيان بالمضارع في موضع الماضي الذي هو الغالب مع إذ استحضار للحالة التي دبروا فيها المكر" (٢).

ثالثاً: العبر والعظات من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠] والتي هي سورة مدنية جاء "التذكير بما كان في مكة، قبل تغير الحال، وتبدل الموقف. وإنه ليوحي بالثقة واليقين في المستقبل كما ينبه إلى تدبير قدر الله وحكمته فيما يقضي به ويأمر.. ولقد كان المسلمون الذين يخاطبون بهذا القرآن أول مرة، يعرفون الحالين معرفة الذي عاش ورأى وذاق. وكان يكفي أن يذكروا بهذا الماضي القريب، وما كان فيه من خوف وقلق في مواجهة الحاضر الواقع وما فيه من أمن وطمأنينة" (٣).

* "التذكير بنعم الله تعالى على العبد ليجد العبد في نفسه داعية الشكر فيشكر"(٤). فليحرص المسلم دائماً بتذكر نعم الله عليه وأعلاها نعمة الإسلام، والكثير الكثير من النعم الظاهرة والباطنة، فهذا مدعاةٌ لأن يدوم الإنسان على شكر ربه. وفيها دلالةً على أنَّ حياة المجاهد بين الأسر والتهجير والقتل، فالأعداء يتربصون به في كل حال.

* يتبين من خلال الآيات أنَّ أهل الباطل يحاولون إغراء أهل الحق، ويساومونهم على دينهم، ويجادلونهم أشد الجدال، وبعد ما ييأسوا من ضمهم إلى صفهم يهددونهم بالسجن والتعذيب، "ويعتبر السجن من أول الوسائل القهرية التي يلوح بها الطغاة في وجه معارضيهم، لذلك نجد أن من أهم معالم البلاد التي يحكمها الطغاة كثرة السجون" (٥).

---

(١) التحرير والتنوير، ج١٩، ص١٢٢.

(٢) المرجع السابق، ج٩، ص٣٢٧.

(٣) في ظلال القرآن، ج٣، ص١٥٠١.

(٤) أيسر التفاسير، للجزائري، ج٢، ص٣٠٢.

(٥) طغيان الحكام وخفة الشعوب للباحث/ عاطف اللحام، ص٢١٧، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية.

المطلب الرابع

القتـــل

وبعد أن يستنفذ أهل الباطل كل ما في جعبتهم من وسائل لصد النَّاس عن دينهم، من استهزاء وطلب للمعجزات ونشرٍ للإشاعات ومجادلةٍ بالباطل وتهجير وسجن وتعذيب، يلجئون لقتلهم والتخلص منهم. وهذه مجموعة من الآيات تبين القتل كوسيلة من وسائل الظالمين.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء:١١٦] .

قال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يس:١٨] .

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٢٠] .

قال تعالى: ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصَّفات:٩٧] .

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ...﴾ [غافر:٢٦] .

قال تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ [البروج: ٤-٦] .

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ...﴾ [الأنفال:٣٠] .

أولاً: المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ...﴾ [الأنفال:٣٠] .

أي واذكر أيها الرسول، ما منّ الله به عليك حين تشاور المشركون في دار الندوة فيما يصنعون بالنبي ﷺ، ثم استقر رأيهم بأن يقتلوه، بأن يأخذوا من كل قبيلة فتى، ويعطوه سيفاً صارماً، ويقتله الجميع قتلة رجل واحد، ليتفرق دمه بين القبائل، لكن الله ﷻ أنجاه من مكرهم، فسبحان اللطيف بعباده الذي لا يغالبه مغالب (١).

عن ابن عباس: أن نفراً من قريش من أشراف كل قبيلة، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال شيخ من نجد، سمعت أنكم اجتمعتم، فأردت أن أحضركم، ولن يعدمكم مني رأي ونصح. قالوا: أجل، ادخل! فدخل معهم،

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ج١، ص ٣١٩.

فقال: انظروا إلى شأن هذا الرجل، والله ليوشكن أن يواثبكم في أموركم بأمره. قال: فقال قائل: احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به ريب المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء، زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم! قال: فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال: والله، ما هذا لكم برأي! والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم! قالوا: فانظروا في غير هذا. قال: فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع، إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم، وكان أمره في غيركم. فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله، وطلاقة لسانه، وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم، ثم استعرض العرب، لتجتمعن عليكم، ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم! قالوا: صدق والله! فانظروا رأيا غير هذا! قال: فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد، ما أرى غيره! قالوا: وما هو؟ قال: نأخذ من كل قبيلة غلاما وسيطا شابا نهدا، ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما، ثم يضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلها، فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل، واسترحنا وقطعنا عنا أذاه. فقال الشيخ النجدي: هذا والله الرأي، القول ما قال الفتى، لا أرى غيره! قال: فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له، قال: فأتى جبريل النبي ﷺ فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك بالخروج [(١)].

ثانياً: فوائد وعظات من الآيات:

* عند النظر في تهديد الظالمين للمرسلين وأتباعهم بالقتل، نجد أنهم يستخدمون أبشع أنواع القتل، وفي هذا إشارة إلى حجم الحقد الذي يحمله الظالمون في قلوبهم على المؤمنين. فمع نوح عليه السلام وأصحاب القرية والفتية نجد الظالمين يهددونهم بالقتل رجماً، ويشهد لذلك طريقة الإعدام التي أرادها قوم إبراهيم بنبيهم، فالنص الكريم يصور هذه الطريقة المخيفة والبشعة، والتي إن دلت إنَّما تدل على حجم ما يحمله الظالمون من حقد للمؤمنين.

* إنَّ ما فعله الذين قتلوا أصحاب الأخدود "من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها، ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقائهم فيها، والحال أنهم ما نقموا من المؤمنين إلا خصلة يمدحون عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد أي: الذي له العزة

---

(١) جامع البيان، للطبري، ج١٣، ص٤٩٥، وقد ورد هذا الأثر في سيرة ابن هشام، ج١، ص ٤٨١، ورواه ابن إسحاق عن ابن عباس في غير هذا اللفظ.

التي قهر بها كل شيء، وهو حميد في أقواله وأوصافه وأفعاله" [١].

* لقد اشتملت آية ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٢٠] على جملةٍ من الفوائد ينبغي الاهتمام بها والعمل بمضمونها "ومنها: الحث على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين.

ومنها: شدة رغبة هؤلاء الفتية في الدين، وفرارهم من كل فتنة، في دينهم وتركهم أوطانهم في الله. ومنها: ذكر ما اشتمل عليه الشر من المضار والمفاسد، الداعية لبغضه، وتركه، وأن هذه الطريقة، هي طريقة المؤمنين المتقدمين، والمتأخرين لقولهم: ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ " [٢].

خلاصة الفصل الأول:

لقد تعرفنا من خلال الفصل الأول على وسائل الظالمين في صد النَّاس عن دينهم، وذلك من خلال آيات القرآن الكريم، فوجدنا أنَّ الظالمين لم يتركوا أي وسيلة من الوسائل إلا واستعملوها وحاولوا أن يُسخِّروها في الصد عن سبيل الله، وإطفاء نور الله في الأرض، لذا فقد وجب علينا أن نعرف كل إمكانات أعدائنا ونبينها للناس حتى لا يغتروا بها، وهذا من باب معرفة شر الآخرين لتجنب ضرره، فعن "أبو إدريس الخولاني [٣]، أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني" [٤]، "وبهذا الحرص أتقن حذيفة علم الشر، وأحاط خُبراً بما سيكون من فتن وسوء ونفاق، حتى احتاج إلى علمه كبار الصحابة، وطفق مثل عمر يسأله ويستشيره" [٥].

"عرفتُ الشر لا للشرِّ لكن لتوقِّيـــــــه
ومن لا يعرف الشرَّ من الخير يقع فيه" [٦]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ج١، ص٩١٨.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٤٧٢.

(٣) هو عائذ الله بن عبد الله قاضي دمشق وعالمها وواعظها، ولد عام الفتح، وحدث عن أبي ذر وأبي الدرداء وأبي هريرة، وكان من فقهاء أهل الشام، وعن مكحول قال: ما رأيت مثل أبي إدريس الخولاني (سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج٥، ص ١٥٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، رقم الحديث: ٧٠٨٤.

(٥) العوائق للراشد، الناشر: دار المنطلق، الطبعة الأولى، ص١٣٤.

(٦) بصائر في الفتن، الناشر: دار بن الجوزي، الطبعة الأولى، ص١٢.

والذي يراه الباحث أنَّ الظالمين بالأمس هم ظالمون اليوم، وأهل الباطل بالأمس هم أهل الباطل اليوم، فمنذ بعثة النبي العدنان ﷺ، أعلن لواء الحق الذي ليس معه حقٌ غيره، وبوفاته ﷺ، اكتمل الدين الذي ارتضاه الله سبحانه لعباده. ومن تلك اللحظة أعلن أهل الباطل على اختلاف مسمياتهم من يهودٍ ونصارى ومشركين ومنافقين العداء للإسلام وأهله، مستخدمين في كل عصرٍ أحدث ما لديهم من قدرات، وأوسع ما يملكون من إمكانات قاصدين بذلك إطفاء نور الله في الأرض، وخنق روح الإسلام في أهله، وطمس التوحيد الذي يعبد به الله سبحانه، فوحدهم العداء للإسلام، وجمعهم الكفر بالواحد الديان، مسخرين كل الوسائل الإعلامية متمثلةً بالأمس في الشعراء، واليوم بالوسائل الإعلامية الحديثة، للاستهزاء بالإسلام وأهله، وبث الإشاعات الزائفة، وتسخير آلاف الألسنة للمجادلة بالباطل، ولمَّا لم تفلح هذه الوسائل ينتقلون إلى التعذيب الجسدي والسجن والتهجير والقتل، وفي زماننا هذا وبعد أن أصبح العالم كالقرية الصغيرة، قد أجمعت كل دول الكفر، وكل الأنظمة الظالمة على اعتبار الإسلام عدوها الأول، لذا وجب علينا التعرف على وسائلهم ومكرهم وخداعهم حتى لا ينطلي علينا باطلهم، ولا يتسرب إلينا زيفهم بمسمياتٍ لامعة، كالذي يضع السم بالعسل، مستعينين قبل وبعد ذلك بالله ﷻ، فهو نعم المولى ونعم النصير.

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في الفصل الأول ووسائل الظالمين لصد الناس عن الدين:

* أهل الباطل حريصون كل الحرص على نصرة باطلهم، وعلى نشره بين الناس، مستخدمين لذلك كل إمكاناتهم، وكل قدراتهم.

* إذا كان الحق ضعيفاً، بعيداً عن قيادة الشعوب، فالحال سيكون تقاتل أهل الباطل وتخاصمهم، ولكن إذا ما جاء الحق، فالحال سيكون أن تجتمع ملل الباطل ضد الحق الذي بدأ يظهر ويقوى.

* من أهل الباطل، من هو مستعدٌ ليضحي بماله وبجهده وبنفسه، ولا أن يرى رايةً للحق خفاقة، ولا أن يرى الفضيلة قد انتشرت، لأنَّه يحمل قلباً فاسداً، فلا يسره أن ترى عيناه شيئاً صالحاً.

* لقد ضمّ التّكتل المعادي للمسلمين في صدر الإسلام فئات ثلاثا: هم المشركون الوثنيون، والمنافقون واليهود، وإلى اليوم ما زال هذا التحالف قائماً، وإن تغيرت الدول والمسميات.

* يُمثل المنافقون اليد الخفية التي تضرب الصف المسلم من داخله، والتي يُحركها قوى الشر.

* السخرية والاستهزاء تعتبر من أكثر الوسائل التي يستخدمها الظالمون في صد الناس عن دينهم، فهم يستهزئون من كل شيءٍ له علاقة بالدين، قاصدين بذلك تنفير الناس عن فطرتهم.

* على المؤمن أن يوطن نفسه على أنه سيواجه منافقين يريدون أن يردوه عن الإيمان، وسيجد أناسا يسخرون منه ويتغامزون عليه، فهذه طريق الدعوات في كل الأزمان.

* لم يترك المشركون سبيلاً للتشكيك في دعوة النبي ﷺ إلا طرقوه، ومن ذلك طلب المعجزات، كنزول الملائكة، ومعجزات كالأمم السابقة وغيرها.

* لقد استخدم الظالمون الإشاعة بشكل كبير، حيث نشر الأخبار الكاذبة، وترويجها في المجتمع، لتصبح حديث الناس، فينتشر كذبهم بأرخص الأثمان، وتصبح هذه الوسيلة من أنجح الوسائل.

* من وسائل الظالمين في كل الأزمان المجادلة بالباطل، مختلقين أكاذيب وأقاويل ما أنزل الله بها من سلطان، قاصدين بذلك زعزعة الإيمان في نفوس المؤمنين.

* من وسائل الظالمين مساومة المؤمنين على عقيدتهم لعلهم بذلك يرضون، فيفتحوا أمام الموحدين أبواب الدنيا إن هم لانوا لباطلهم، ويفاوضونهم بترك بعض المعتقدات من دينهم حتى ينتهى الصراع بينهم، ويعرضون عليهم الأموال لإغرائهم بترك الحق.

* التهجير وإخراج المؤمنين من ديارهم منهجاً للظالمين على مدار الأزمان، فهم يحاولون بذلك أن يبعدوا المصلحين عن ساحات التأثير، ويُخيفوا بذلك من أراد أن يُسلم.

* يستخدم الظالمون التعذيب للصد عن سبيل الله، مسخرين كل فنون التعذيب النفسية والجسدية.

* السجن من أكثر الوسائل التي يستخدمها الظالمون، قاصدين بذلك تعذيب الموحدين وإرهابهم وإبعادهم عن التأثير على الناس، وفي زماننا هذا كثرة السجون، حتى أصبحت سمة للظلم.

* منتهى المطاف في وسائل الظالمين في صد الناس عن دينهم هو التخلص منهم بالقتل.

الفصل الثاني

منهج القرآن في تثبيت المؤمنين في وجه الظالمين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترسيخ العقيدة في نفوس المؤمنين.

المبحث الثاني: دحض وسائل الظالمين.

المبحث الأول

ترسيخ العقيدة في نفوس المؤمنين

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: تدبر القرآن الكريم والعمل به.

المطلب الثاني: دراسة قصص الأنبياء وتدبرها.

المطلب الثالث: طاعة الله واجتناب نواهيه.

المطلب الرابع: ذكر الله ﷻ.

المطلب الخامس: الدعاء.

المطلب السادس: الصبر.

المطلب السابع: معرفة عقاب المستكبرين عن الإيمان.

المطلب الثامن: التوكل على الله تعالى مع الأخذ بأسباب الثبات.

المطلب التاسع: المؤيدات الربانية.

المطلب العاشر: زاد الثابتين على الحق.

المبحث الأول

ترسيخ العقيدة في نفوس المؤمنين

ممَّا لا شك فيه أنَّ العقيدة الإسلامية والتي هي منسجمةٌ مع فطرة الإنسان التي فطرهُ الله عليها إذا ما رسخت في نفس المؤمن، والتصقت في عقله، وتربعت في قلبه، فإنَّها ستؤثر على كل عضوٍ من أعضاء جسمه، فقلبه لن يقبل إلا الصواب، وعينه لن تنظر إلى حرام، وأُذنه لن تسمع الحرام، ولسانه لن ينطق بالحرام، ويده لن تُمد إلى حرام، وقدمه لن تمشي إلى حرام، فحياته للواحد الديان، ليس فيها نصيبٌ لنزوات الشيطان، إلا زلاتٍ لا يخلوا منها كل إنسان، وإنَّ هذه العقيدة إذا ما رسخت في القلب، فلن يستطيع أحدٌ أن يزيلها مهما كان وبأي أُسلوبٍ كان، لأنَّ المؤمن أن تنزع روحه من جسده، أحب إليه من أن ينزع الإيمان من قلبه.

لذا قد حرص القرآن الكريم على ترسيخ هذه العقيدة السليمة في نفس المؤمن ترسيخاً متيناً لا يخالطه شكٍ ولا ريب. ولقد ذكر لنا القرآن الكريم كل ما من شأنه أن يزيد هذه العقيدة رسوخاً، وأوضح لنا كل ما يمكن أن يصيب المسلم ممَّا قد تراوده نفسه به ممَّا قد يضعف هذه العقيدة. فكانت هذه الوسائل: القرآن الكريم تلاوةً وحفظاً وتدبراً وعملاً، والمؤيدات الربانية التي يعين الله سبحانه وتعالى بها عباده للثبات ضد الظلم، وذكر قصص السابقين من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ومن الصالحين على مدار الأزمان، وما في قصصهم من عبرةً لتثبيت أُولي الأفهام، وطاعة الله سبحانه وتعالى واجتناب نواهيه، وترطيب اللسان بذكره، وكثرة الدعاء إليه، والصبر والتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب المعينة على الثبات، ومعرفة عقاب المنتكسين، وأمورٌ أخرى هي زادٌ للثابتين: كمعرفة حقيقة الدنيا، وتذكر الآخرة، ورقابة الله، والخوف من الاستبدال، واستشعار ثواب الثابتين ضد الظالمين.

وبهذه الأمور كلها ترسخ العقيدة في القلب، فلا يكن للنفاق إليها مسلك، ولا للباطل إليها مدخل، ولا للشيطان عليها من سبيل، ولا لأهل الباطل طمعٌ في إغوائه عن الصراط المستقيم. وهذه كلمات شيخ الإسلام ابن تيمية والذي لاقى من صنوف التعذيب ما لاقى من الظالمين، ضريبة ثباته على الحق ضد الظالمين، حينما قال: افعلوا ما شئتم فإنَّ قتلي شهادة، ونفيي من بلدي سياحة، وسجني خلوة، وقد نظمها الشاعر عبد العزيز الشهري في بيتين من الشعر:

"إن آثروا سجني فسجني خَلوةٌ ... وسياحتي في النفي والإبعادِ

أوْ سرّهُم قتلي فلستُ بجازعٍ ... فالموت غايةُ مطلبي ومُرادي" (١)

(١) مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد: ٧٩، ص ٤٣.

المطلب الأول

تدبر القرآن الكريم والعمل به

إنَّ القرآن العظيم هو وسيلة الثبات الأولى، فهو حبل الله المتين، ونوره المبين، ومعجزته للعالمين، من استمسك به فقد اهتدى ومن أعرض عنه فقد غوى، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، عجائبه لا تنقضي، وكنوزه لا تفنى، فيه العلاج من كل داء، وفيه الشفاء من كل إعياء، ما ظمئ من نهل منه، ولا استلذ من ارتوى بغيره، لذا فإنَّ القرآن هو المصدر الأول للثبات "لأنَّه يزرع الإيمان ويزكي النفس بالصلة بالله، لأنَّ تلك الآيات تتنزل برداً وسلاماً على قلب المؤمن فلا تعصف به رياح الفتنة، ويطمئن قلبه بذكر الله، ولأنَّه يزود المسلم بالتصورات والقيم الصحيحة التي يستطيع من خلالها أن يُقوِّم الأوضاع من حوله، ولأنَّه يرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين" (١). بل إنَّ باقي الوسائل جميعها مستوحاةٌ من القرآن.

وقد جعل الباحث هذا المطلب في فرعين:

الفرع الأول: تدبر الآيات القرآنية وأثرها على ثبات المؤمن:

إنَّ تلاوة القرآن العظيم تلاوةً صحيحةً أمرٌ لا بد منه لكل مسلم يبغي الثبات على دين الله، لكنَّ هذه التلاوة لا بدَّ أن تكون تلاوةً مصحوبةً بالتدبر، مقرونةً بالخشوع والتفكر، حتى ينتج عنها زيادة الإيمان في القلب، ورسوخ العقائد في العقل، وتأثر الجوارح بالعمل، وهذا هو المقصد. قال الإمام النووي (رحمه الله) "ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع، والتدبر، والخضوع، فهذا هو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب، ودلائله أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تُذكر، وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم الآية واحدة ليلة كاملة، أو معظم ليلة يتدبرها عند القراءة" (٢).

معنى التدبر لغةً واصطلاحاً:

المسألة الأولى: معنى التدبر لغةً:

قال ابن فارس: "**التدبير**: أن يدبر الإنسان أمره، كأنه ينظر إلى ما تصير إليه عاقبته" (٣) وقال الراغب "**التدبير**: النظر في دُبُر الأمور وتأملها، وقد يقال ذلك في تأمل الشيء بعد حصوله

---

(١) من روائع المنجد، ص٦، الناشر: دار بن الجوزي، الطبعة الأولى.

(٢) الأذكار المنتخبة، للنووي، ص١٤٠.

(٣) مجمل اللغة، لابن فارس، ج١، ص٣٤٥.

ومعرفة خيره من شره، وصلاحه من فساده، كقولك: تدبرت ما فعل فلان فوجدته سديدًا"[١]. وقال ابن منظور: "**التدبير في الأمر:** أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، والتدبر: التفكر فيه، والتدبير: أن يتدبر الرجل أمره ويدبره أي ينظر في عواقبه" [٢]. "**وتدبر الكلام:** النظر في اوله وآخره ثم يعيد نظره مره بعد مرة ولهذا جاء على بناء التَّفعل كالتَّجرع والتَّفهم والتَّبين" [٣].

ويرى الباحث أنَّ **التدبر في اللغة:** هو أن يتدبر الإنسان الشيء للوصول إلى معرفة عاقبته.

المسألة الثانية: معنى التدبر في الاصطلاح:

قال الجرجاني "**التدبر:** عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر؛ إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب" [٤].

"**تدبر القرآن:** هو تفهم معاني ألفاظه والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقةً، وما دخل في ضمنها، وما لا تتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات وانتفاع القلب بذلك بخشوعه عند مواعظه وخضوعه لأوامره وأخذ العبرة منه" [٥].

"هو التفكر والتأمل لآيات القرآن من أجل فهمه وإدراك معانيه وحكمه والمراد منه" [٦].

ويرى الباحث أنَّ معنى تدبر القرآن: هو فهم معانيه، والتفكر في مدلولاته، والنظر في عواقب أوامره، والعمل بكل ما أمر، والابتعاد عن كل ما نهى.

وقد وردت العديد من الآيات التي تحث على تدبر القرآن ومنها:

قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء:٨٢].

قال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آَيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [ص:٢٩].

قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد:٢٤].

---

(١) تفسير الراغب، الأصفهاني، ج٣، ص١٣٤٨.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ج٤، ص٢٧٣.

(٣) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ج١، ص١٨٣، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

(٤) كتاب التعريفات، للجرجاني، ج١، ص٥٤. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

(٥) تدبر القرآن، للسندي، ص١١، الناشر: مكتبة الملك فهد، الطبعة الثالثة.

(٦) مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، ص١٤، الناشر: مكتبة الملك فهد، الطبعة الأولى.

ولقد جاءت العديد من الآيات فيها دلالة على التدبر، وهي موضحة في الجدول التالي مع ذكر الدلالة من الآية [1]:

الآية	الدلالة
﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩]	الهدف من نزوله هو أن يتدبر الناس فيه.
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]	وفي سبيل الوصول إلى هذه الغاية جعل الله القرآن كتاباً ميسراً للفهم.
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]	القرآن ليس فقط يدعو الناس إلى التدبر في آياته، وإنما يطلب منهم أن يمارسوا التدبر العميق.
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤]	الأصل أن القلوب مهيأة للتدبر لولا الأقفال والأغلال التي يصنعها الإنسان لنفسه بالمعصية والتلهي عن القرآن أو ضعف وجمود وتخلف العقل عن أدوات ومناهج التفكير.
﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤]	أي بالوقوف على أحكامه ودلالته.

أولاً: المعنى الإجمالي للآيات:

في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩] يمدح الله ﷻ كتابه بأنَّه ﴿مُبَارَكٌ﴾ أي "فيه خير كثير، وعلم غزير، فيه كل هدى من ضلالة، وشفاء من داء، ونور يستضاء به في الظلمات، وكل حكم يحتاج إليه المكلفون، وفيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب، ما كان به أجل كتاب طرق العالم منذ أنشأه الله، ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها [2]، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي: أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله

(١) البرنامج العملي لبناء المسلم القرآني، ص٢٦٩، الناشر: المجموعة العربية للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى.
(٢) الأذكار المختارة، للنووي، ص١٤٠.

يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب" [1]. وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢] "يقول تعالى آمرًا عباده بتدبر القرآن، وناهيا لهم عن الإعراض عنه، وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة، ومخبرا لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ولا تضاد ولا تعارض؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، فهو حق من حق" [2] أم أنَّ قلوبهم قد أقفلتها الذنوب والمعاصي فلم تعد تتفكر وتتدبر آيات القرآن.

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ "تنكير كتاب للتعظيم، لأن الكتاب معلوم فما كان تنكيره إلا لتعظيم شأنه" [3].
* في قوله تعالى: ﴿ ... لِيَدَّبَّرُوا ...﴾ "اللام لام التعليل ويدبروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل"[4]، وفي هذا أوضح دلالةً على أنَّ المقصود الأسمى من هذا الكتاب المبارك هو تدبر آياته.
* في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ...﴾ "استفهام بمعنى التعجب من سوء حالهم وقبح تمردهم وشناعة جبنهم فقد تراكم الصّدأ على أفئدتهم وران عليها سوء فعلهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ والقفل مثل لكل مانع للإنسان من تعاطي الطّاعات كما أن قفل الدّار مانع من دخولها، وهذا من التكليف الذي لا يطاق، لأن المحل المغلق لا يمكن دخوله، والإيمان محله القلب فإذا ختم عليه وأغلق فمن أين يدخله؟" [5].
* في قوله تعالى: ﴿ ... أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ " القفل مثل لكل مانع للإنسان من تعاطي الطّاعات كما أن قفل الدّار مانع من دخولها، وهذا من التكليف الذي لا يطاق، لأن المحل المغلق لا يمكن دخوله، والإيمان محله القلب فإذا ختم عليه وأغلق فمن أين يدخله؟...وأم هنا بمعنى بل، والهمزة للتقرير، وهو إعلام بأن قلوبهم مسكرة لا يصل إليها ذكر الله، وتنكير القلوب للدلالة على أنها قاسية لا تتأثر بالوعظ والزجر والمراد بها قلوب المنافقين، لأنها على هذه الصّفة"[6].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ج١، ص٧١٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٢، ص٣٦٤.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٢٣، ص٢٥١.

(٤) إعراب القرآن وبيانه، للدرويش، ج٨، ص٣٥٥.

(٥) بيان المعاني، للعاني، ج٦، ص٢٩. الناشر: مطبعة الترقي، دمشق، الطبعة الأولى.

(٦) بيان المعاني، للعاني، ج٦، ص٤٣٧.

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آَيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩] "دليل على أن الله سبحانه إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر" (١).

* "بركة القرآن لا تفارقه أبداً وما طلبها أحد إلا وجدها، (وهي) تتجلى في صرفها النفس عن السوء ودفعها إلى الخير وذلك لمن يقرأ القرآن موقناً به متدبراً له فإن له في كل حرف عشر حسنات مع ما يفيضه على روحه من نور المعرفة وحب الآخرة، وفضيلة العقول لمن استعملها في التدبر والتذكر" (٢).

* كما أنَّ لكل بابٍ أقفال تمنع من الدخول إليه، فكذا فإنَّ للقلب أقفال تمنع من دخول الرحمات والبركات إليه، وهي الذنوب والمعاصي التي إذا تراكمت على القلب أغلقته فلم يعد للإيمان إليها من مسلك، ولا للتفكر إليها من طريق، والسعيد من رزق قلباً سليماً.

* "إن الله تعالى خلق القلوب وأقفل عليها بأقفال، وجعل مفاتيحها حقائق الإيمان، فلم يفتح بتلك المفاتيح على التحقيق إلا قلوب أوليائه والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين والصديقين وسائر الناس يخرجون من الدنيا، ولم تفتح أقفال قلوبهم، والزهاد والعباد والعلماء خرجوا منها وقلوبهم مقفلة، لأنهم طلبوا مفاتيحها في العقل، فضلوا الطريق، ولو طلبوه من جهة التوفيق والفضل لأدركوه، والمفتاح أن تعلم أن الله قائم عليك، رقيب على جوارحك، وتعلم أن العمل لا يكمل إلا بالإخلاص مع المراقبة" (٣).

رابعاً: أقوال السلف في تدبر القرآن:

لقد كان سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ﷺ حريصين كل الحرص على ما فيه صلاح دينهم، لذا فقد كانت تلاوتهم للقرآن تلاوةً مدبرة، مقرونةً بالفهم للآيات، مصحوبةً بالخشوع والبكاء، وقد جاءت نصائحهم لمن بعدهم في هذا الباب كالبلسم الشافي، من عمل بها داوى قلبه من العلل، وعالج نفسه من الأمراض، وسلك بها إلى بر الأمان.

"عن أبي حمزة، قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاث فقال: لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ كما تقول. وقد سئل زيد بن ثابت عن قراءة القرآن في سبع، فقال: حسن، ولأن أقرأه في عشرين أو في النصف أحب إلي من

---

(١) فتح القدير، للشوكاني، ج٤، ص٤٩٤.

(٢) أيسر التفاسير، للجزائري، ج٤، ص٤٤٧.

(٣) تفسير التستري، ج١، ص١٤٦. الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

أن أقرأه في سبع، وسلني عن ذلك، أردده، وأقف عليه. وقد سئل مجاهد [١] عن رجل قرأ البقرة وآل عمران، ورجل قرأ البقرة؛ قيامهما واحد، وركوعهما واحد، وسجودهما واحد، وجلوسهما واحد، أيهما أفضل؟ فقال: الذي قرأ البقرة، ثم قرأ:﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء:١٠٦]"[٢].

مما سبق يظهر جلياً من هذه الآثار أنَّ علماء الأمَّة الأوائل كابن عباس ترجمان القرآن، وزيد بن ثابت الذي كتب القرآن، ومجاهد تلميذ بن عباس، ينصحون طلابهم وسائليهم بالاعتناء بتدبر الآيات، والتفكر بمعانيها، وأنَّ ذلك مقدمٌ على الإكثار من القراءة، وهذا ليس بدعاً من القول، بل هذا ما تعلموه من رسول الله ﷺ فعن أبي سعيد الخدري، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية...)** [٣]، قال الإمام النووي (رحمه الله): " معناه أن قوما ليس حظهم من القرآن إلا مروره على اللسان فلا يجاوز تراقيهم ليصل قلوبهم وليس ذلك هو المطلوب، بل المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب" [٤].

بل إنَّنا نجد أنَّهم ينكرون بقلوبهم المبصرة أشد الإنكار على الذين يقرؤون القرآن من غير تدبر، فعن الحسن[٥]، قال: "إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله...... وما تدبر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفا، وقد والله أسقطه كله، ما يرى له القرآن في خلق، ولا عمل، حتى إن

---

(١) هو مجاهد بن جبر، تابعي، مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ وتنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة. وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها، أما كتابه في "التفسير" فيتقيه المفسرون، وسئل الأعمش عن ذلك، فقال: كانوا يرون أنه يَسأل أهل الكتاب، ويقال: أنه مات وهو ساجد. (الأعلام، للزركلي، ج٥، ص٢٧٨).

(٢) فضائل القرآن، لابن سلام، ص٧٤، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن، رقم الحديث: ٥٠٥٧.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم، للنووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ج٦، ص١٠٥.

(٥) هو أبو سعيد الحسن البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ، وربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة، رضي الله عنها ثديها، قال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن البصري، ومولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ﷺ بالمدينة، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة، وقال رجل قبل موت الحسن لابن سيرين: رأيت كأن طائراً أخذ أحسن حصاة بالمسجد، فقال: إن صدقت رؤياك مات الحسن، فلم يكن إلا قليلاً حتى مات الحسن. (وفيات الأعيان، لابن خلكان، ج٢، ص٧٢).

أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفس، والله ما هؤلاء بالقراء، ولا العلماء، ولا الحكماء، ولا الورعة، متى كانت القراء مثل هذا؟ لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء" (١).

خامساً: الطريق إلى تحصيل التدبر:

لمَّا كان تدبر الآيات هو المقصود الأسمى من تلاوتها، ولمَّا كانت القلوب تميل ذات اليمين وذات الشمال، كان لا بد من طريقٍ يسلك بصاحبه إلى تدبر الآيات، وسيذكر الباحث هنا ملخص ما قاله الإمام أبو حامد الغزالي (رحمه الله) في طريقة تحصيل التدبر في كتابه إحياء علوم الدين، حيث لحصول التدبر أربعة شروط.

الشرط الأول: أعمال قلبية لا بد منها قبل التدبر:

لا بد لقارئ القرآن الذي يبغي تدبر آياته، وتفهم معانيه، والتفكر في عظمته، من أعمال قلبية تسبق التدبر وهي: فهم أصل الكلام، ثم التعظيم، ثم حضور القلب.

أولاً: فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه، فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه.

ثانياً: التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله ﷻ غاية الخطر فإنه تعالى قال: ﴿**لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾ [الواقعة:٧٩]، فكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب، فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله.

ثالثاً: حضور القلب وترك حديث النفس، يقول الإمام بن القيم (رحمه الله) وهذه (قاعدة جليلة إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه فانه خطاب منه لك على لسان رسوله) (٢).

الشرط الثاني: التخلي عن موانع الفهم:

فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن، وحجب الفهم أربعة:

---

(١) الزهد، لابن المبارك، ص٢٧٤.

(٢) الفوائد، لابن القيم الجوزية، ص٥، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى.

الأول: أن يكون الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله ﷻ، فهذا يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأنى تنكشف له المعاني، وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لهذا التلبيس.

الثاني: أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له، فهذا شخص قيده معتقده فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفاً على مسموعه.

الثالث: أن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه، وهو أعظم حجاب للقلب، وبه حجب الأكثرون، وكلما كانت الشهوات أشد تراكماً كما كانت معاني الكلام أشد احتجاباً.

الرابع: أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي المذموم، فهذا من الحجب العظيمة.

الشرط الثالث: استشعار أنَّك المخاطب في الآيات:

وهذا ما أسماه الغزالي التخصيص، وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن فإن سمع أمراً أو نهياً قدر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعداً أو وعيداً فتمثل ذلك، ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا ﷻ بعهوده نتدبرها في الصلوات، ونقف عليها في الخلوات، وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات، وكان مالك بن دينار [(١)] يقول: ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن، إن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض.

الشرط الرابع: التأثر بالآيات:

هو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال يتصف به قلبه من الخوف والرجاء، فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح، وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله واستشعاراً لعظمته[(٢)].

---

(١) هو أبو يحيى البصري الزاهد، من التابعين روي عن أنس بن مالك، وكان ثقة قليل الحديث، وكان يكتب المصاحف، مات قبل الطاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة، وكان يقول لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعواناً لفرقتهم ينادون في سائر الدنيا كلها: يا أيها الناس، النار، النار. وقال: إن القلب إذا لم يحزن خرب، كما أن البيت إذا لم يسكن خرب. (مختصر تاريخ دمشق، لابن عساكر ج٢٤، ص٣٠).

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي، ج١، ص ٢٨٠-٢٨٦، بتصرف كبير، الناشر: دار المعرفة، الطبعة الأولى.

الفرع الثاني: اتباع القرآن الكريم والعمل به

إنَّ الغاية الأسمى من تلاوة القرآن الكريم تلاوةً صحيحةً مقرونةً بالتدبر، مصحوبةً بالخشوع، هي اتباع آيات القرآن، بتنفيذ ما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، فالقرآن الكريم هو دستور هذه الأمة، ومنه تستمد منهاج حياتها، ومن الآيات التي أمرت باتباع القرآن والعمل به:

قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥].

قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً ...﴾ [الزُّمر:٥٥].

قال تعالى: ﴿... فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الزُّمر: ١٧-١٨].

أولاً: المعنى الإجمالي للآيات:

إنَّ هذه الآيات تظهر بوضوح الأمر باتباع القرآن، ففي قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥] قال بن جرير **(فَاتَّبِعُوهُ)** أي "فاجعلوه إمامًا تتّبعونه وتعملون بما فيه أيها الناس **(وَاتَّقُوا)** واحذروا الله في أنفسكم، أن تضيعوا العمل بما فيه، وتتعدّوا حدودَه، وتستحلُّوا محارمه" (١)، وهذه الآية جعلت النتيجة من تباع القرآن الرحمة التي ستنال العامل به في الدنيا والآخرة، وقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣] تأمر باقتفاء "آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه، ولا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره" (٢).

وبعد هذا الترغيب ينذر ﷻ بالعذاب الشديد لمن لا يتبع هذا القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزُّمر:٥٥] ويبشر ﷻ من يتبع هذا القرآن بأنَّه قد فاز بهداية الله، وتمدحه بأنَّه من أصحاب العقول النَّيرة،

---

(١) جامع البيان، للطبري، ج١٢، ص٢٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٣، ص٣٨٧.

قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الزُّمر: ١٧-١٨].

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا ...﴾ المقصود من هذا النهي تأكيد مقتضى الأمر باتباع ما أنزل إليهم اهتماماً بهذا الجانب مما أنزل إليهم، وتسجيلاً على المشركين، وقطعاً لمعاذيرهم أن يقولوا إننا اتبعنا ما أنزل إلينا، وما نرى أولياءنا إلا شفعاء لنا عند الله فما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فإنهم كانوا يموهون بمثل ذلك، فموقع قوله: اتبعوا ما أنزل إليكم موقع الفصل الجامع من الحد، وموقع ولا تتبعوا موقع الفصل المانع في الحد" (١).

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ "أثنى الله سبحانه على هؤلاء المذكورين فقال: أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب أي هم الذين أوصلهم الله إلى الحق وهم أصحاب العقول الصحيحة، لأنهم الذين انتفعوا بعقولهم، ولم ينتفع من عداهم بعقولهم"(٢)، فهذه منَّةٌ من الله ﷻ، فكم من إنسانٍ بلغ في العلم الدنيوي شأناً عريضاً، ولكنه لم يهتدي إلى نور الإيمان الساطع كالشمس، فلك يا رب الحمد والنعمة على نعمة الإيمان.
* في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ يظهر "فضيلة أهل التمييز والوعي والإدراك الذين يميزون بين ما يسمعون فيتبعون الأحسن ويتركون ما دونه من الحسن والسيء"(٣)، وفي ذلك حث المؤمنين ليقتدوا بهم.
* إنَّ أهل الغفلة عن منهج القرآن، يُحذرهم الله سبحانه بأن يأتيهم العذاب بغتة.

رابعاً: أقوال السلف في اتباع القرآن:

لقد كثُرت عبارات سلفنا الصالح ﷺ بضرورة اتباع القرآن، والعمل به، وتحكيمه في كل صغيرةٍ وكبيرة، وأنَّ هذا هو المقصود الأكبر من تنزيله، "فعن عكرمة، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة:١٢١]: يتبعونه حق اتباعه. وقال

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٨، ص١٦.

(٢) فتح القدير، للشوكاني، ج٤، ص٥٢٤.

(٣) أيسر التفاسير، للجزائري، ج٤، ص٤٧٧.

عكرمة[(١)]: ألا ترى أنك تقول: فلان يتلو فلاناً، أي يتبعه ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس: ١-٢]، أي تبعها" [(٢)]، ويرى الباحث أنَّ معنى الآية يشمل إقامة الحروف، وتطبيق الحدود.

"وعن الشعبي [(٣)] في قوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران:١٨٧]، قال: أما إنه كان بين أيديهم، ولكن نبذوا العمل به، فهذا يبين لك أن من نبذ شيئاً فقد تركه وراء ظهره" [(٤)]. وكل من لا يعمل بالقرآن، ولا يجعله أمامه في كل أعماله، فقد شابه أهل الكتاب بنبذ كلام الله وراء ظهره، والتعبير بهذه الصورة لدلالة على شناعة هذه الفعلة. وقد ذهب الصحابة ﷺ إلى أنَّ أولى النَّاس بكرامات القرآن يوم القيامة، هم العاملون به، فقد ذكر بن سلام "أن رجلاً أتى أبا الدرداء بابنه، فقال: يا أبا الدرداء إن ابني هذا قد جمع القرآن. فقال: اللهم غفرا، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاعه وعن الحسن قال: إن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه وإن لم يكن يقرئه" [(٥)].

خامساً: الصحابة والعمل بالقرآن:

"لقد اتخذ الصحابة ﷺ القرآن منهجا لحياتهم، منه يستمدون، وإليه يرجعون، وعليه يعتمدون، وكلما نزل شيء منه سارعوا إلى تنفيذه والعمل به، دون إبطاء أو تلكؤ أو تردد وكان هذا مما يميز هذا الجيل الأول، جيل الصحابة، الجيل القرآني الفريد، كما قال الشهيد سيد قطب (رحمه الله) فلم يكونوا يقرءون القرآن بقصد الثقافة والاطلاع، ولا بقصد التذوق والمتاع، بل يتلقى أحدهم القرآن ليعمل به فور سماعه، وهذا ما شهدت به وقائع شتى" [(٦)].

والنماذج في سرعة الاستجابة والعمل بالقرآن عند الصحابة ﷺ كثيرة جداً، لا يسعها المقام، سنذكر طرفاً منها:

قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٩٢]، قال ابن كثير: "عن أنس بن مالك يقول: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء (اسم حديقة له) وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال

---

(١) أبو عبد الله المدني، مولى بن عباس، روى عن الصحابة، عالماً بالتفسير.(تهذيب التهذيب، ج٧، ص٢٦٦).

(٢) فضائل القرآن، لابن سلام، ص٦١.

(٣) هو عامر بن شراحيل الشعبي، راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه، ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة، وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز، وكان فقيها. (الأعلام، للزركلي، ج٣، ص٢٥٠).

(٤) فضائل القرآن، لابن سلام، ص٦٢.

(٥) المرجع السابق، ص٦٣.

(٦) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، للقرضاوي، ص٤١٢.

أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله تعالى، فقال النبي ﷺ: "بخ، ذاك مال رابح، ذاك مال رابح، وقد سمعت، وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين". فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه" (١).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

ذكر ابن جرير "عن ابن بريدة (٢)، عن أبيه قال: بينما نحن قعود على شرابٍ لنا، ونحن على رَمْلة، ونحن ثلاثة أو أربعة، وعندنا باطِيةٌ (ناجود الخمر) لنا، ونحن نشرب الخمر حِلا إذ قمت حتى آتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه، وقد نزل تحريم الخمر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، إلى آخر الآيتين، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾، فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ ؟ قال: وبعض القوم شربته في يده، قد شرب بعضًا وبقي بعضٌ في الإناء، فقال بالإناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجّام، ثم صبوا ما في باطيتهم، فقالوا: انتهينا ربّنا! انتهينا ربَّنا!" (٣).

قال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٤١].

ذكر الإمام القرطبي عن ابن عباس عن أبي طلحة في قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ قال شباناً وكهولاً، ما سمع الله عذر أحد، فخرج إلى الشام فجاهد حتى مات رضي الله عنه. وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه. فقيل له: إنك عليل. فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع. وروي أن بعض الناس رأى في غزوات الشام رجلاً قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، فقال له: يا عم إن الله قد عذرك

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٢، ص٧٣، صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب استعذاب الماء، رقم الحديث (٥٦١١).

(٢) بريدة بن الحصيب الأسلمي: من أكابر الصحابة، أسلم قبل بدر، ولم يشهدها. وشهد خيبر وفتح مكة، واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه، وسكن المدينة، وله ١٦٧ حديثاً. (الأعلام، ج٢، ص٥٠).

(٣) جامع البيان، للطبري، ج١٠، ص٥٧٢، هذا الأثر رواه الإمام الطبراني عن شيخه محمد بن خلف العسقلاني، وهو ثقة، روى عنه البخاري ومسلم.

فقال: يا ابن أخي، قد أمرنا بالنفر خفافاً وثقالاً، ولقد قال ابن أم مكتوم ﷺ في أحد: أنا رجل أعمى، فسلموا لي اللواء، فإنه إذا انهزم حامل اللواء انهزم الجيش، وأنا ما أدري من يقصدني بسيفه فما أبرح فأخذ اللواء يومئذ مصعب ابن عمير [١].

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ...﴾ [النور:٣١].

ذكر بن أبي حاتم: "عن صفية بنت شيبة قالت: بينما نحن عند عائشة قالت: وذكرت نساء قريش وفضلهن، فقالت عائشة: إن لنساء قريش لفضلاً، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً بكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور وليضربن بخمرهن على جيوبهن انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل إليهن فيها، ويتلوا الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابته، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحّل [٢] فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن يصلين وراء رسول الله ﷺ الصبح معتجرات كأن على رؤسهن الغربان" [٣].

فلقد كان هذا حال المجتمع الإسلامي في عصر الصحابة (رضي الله عنهم) رجالاً ونساءً، حيث سرعة الاستجابة لأوامر الله ﷻ في القرآن، من دون تردد ولا جدال ولا أي اعتبار للعادات الجاهلية التي ربوا عليها منذ صغرهم، فلقد كان كل واحدٍ منهم يمثل قرآناً يمشي على الأرض، وما أحوج الأمة اليوم إلى أن تعود إلى كتاب ربها قراءةً وعلماً وعملاً، ليكون القرآن دستورها، ومنهاج حياتها، ولتجعله أمامها ليقودها إلى العزة، وليضعها في مكانها الصحيح بين الأمم حيث السيادة والريادة لها، وليخلصها من جاهلية القرن الواحد والعشرين، فما أشبه اليوم بالأمس، فعلى قدر قرب الأمة من كتاب الله ﷻ، يكون قربها من النصر على أعدائها، وكلما ابتعدت الأمة عن القرآن، ابتعدت عن ما فيه عزتها وكرامتها ونصرها على أعدائها.

وبعد هذا المطلب والذي تحدث فيه الباحث عن القرآن الكريم كأول وأهم وسيلة لترسيخ العقيدة في النفس، وتثبيتها في القلب، ينصح الباحث بما يلي:

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج٨، ص١٤٩.

(٢) المرط المرحّل: الثوب المزخرف الذي فيه تصاوير، كيف نتعامل مع القرآن، ص٤١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، ج٢، ص٢٥٧٢، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، الطبعة الثالثة، الحديث رواه أبو داود، كتاب اللباس، باب يدنين عليهن من جلابيبهن، رقم الحديث (٤١٠١)، قال الألباني: صحيح.

* أن يزيد كل مسلمٍ من علاقته مع كتاب الله ﷻ، وليعطي القرآن من وقته أنفسه، بحيث لا يمر عليه يومٌ إلا ويقرأ ورده، فهذا دأب سلفنا الصالح ﷺ أجمعين.

* أن يحرص كل قارئٍ للقرآن على تدبر آياته، والتفكر في معانيه، والغوص في أعماق عجائبه، فهذا القرآن كالبحر، كلما تعمَّقت فيه أكثر، كلما وهبك من كنوزه ونفائسه أكثر، وليتدرج القارئ بنفسه رويداً رويداً، بالخطوات التي أوضحناها من كلام الغزالي (رحمه الله).

* أن يجعل كل مسلمٍ القرآن هو الدستور في حياته، يأتمر بأمره، وينتهي بنهيه، لا يتجاوزه إلى غيره، ولا يعدل به سواه، وليُعمله في كل من له سلطةٌ عليه.

* أن يحرص حفَّاظ القرآن خاصةً على العمل بالقرآن، وألا يكون همهم منصباً فقط على إقامة الحروف فهذا شيخ الإسلام بن تيمية يقول: " والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه، والعمل به، فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين" (١).

المطلب الثاني

دراسة قصص الأنبياء وتدبرها

إنَّ الله ﷻ ذكر لنا في القرآن الكريم، قصص أنبيائه (عليهم السلام)، ودعوتهم أقوامهم إلى الإيمان، وما لاقوه منهم من ظلمٍ واضطهاد، وذكر لنا مآل الصالحين، ومصير الكافرين والجاحدين، وذكر لنا تثبيت الله لرسله وأوليائه بأساليب متعددة، فمن بركات قراءة القرآن تدبر قصص الأنبياء، ودراستها للتأسي والعمل، وما نزلت قصص الأنبياء(عليهم السلام) على رسول الله ﷺ للتلهي والتسلية، وإنَّما لغرض عظيم وهو تثبيت فؤاد النبي ﷺ المؤمنين معه. والدليل على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠].

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ ...﴾ [يوسف:٣].

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:١١١].

---

(١) فتوي شيخ الإسلام، ابن تيمية، ج٢٣ ص٥٥، الناشر: دار عالم الكتب، الطبعة الأولى.

أولاً: سبب نزول سورة يوسف:

"عن سعد بن أبي وقاص قال أنزل على النبي ﷺ القرآن فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فنزل: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ ...﴾ الآية، وعن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فنزل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ﴾ " (١).

ثانياً: المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠].

إنَّ هذه الآية تشير وبوضوح أنَّ الهدف من ذكر أخبار الرسل (عليهم السلام) هو تثبيت قلب النبي ﷺ وقلوب المؤمنين إلى يوم القيامة، قال السعدي (رحمه الله) في تفسيرها ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي "قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به. ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ السورة ﴿الحَقُّ﴾ اليقين، فلا شك فيه بوجه من الوجوه، فالعلم بذلك من العلم بالحق الذي هو أكبر فضائل النفوس ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يتعظون به، فيرتدعون عن الأمور المكروهة، ويتذكرون الأمور المحبوبة لله فيفعلونها. وأما من ليس من أهل الإيمان، فلا تنفعهم المواعظ، وأنواع التذكير" (٢).

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* "إن قيل: قد كان فؤاده ﷺ ثابتاً فماذا معنى قوله تعالى: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ ؟ قلنا معناه: لتزداد ثباتاً، وهذا مثل قوله تعالى في قصة إبراهيم: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾. وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ﴾ الأكثرون أن معناه: وجاءك في هذه السورة الحق، وقال بعضهم: وجاءك في هذه الدنيا الحق.

* فإن قيل: أي فائدة في تخصيص هذه السورة وقد جاءه الحق في كل سورة؟ قلنا: فائدته: تشريف السورة، وتشريفها بالتخصيص لا يدل على أنه لم يأته الحق في غيرها، ألا ترى أن الإنسان يقول: فلان في الحق إذا حضره الموت، وإن كان في الحق قبله وبعده" (٣).

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ج١، ص١١٦، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ج١، ص ٣٩٢.

(٣) تفسير القرآن، للسمعاني، ج٢، ص٤٦٩. الناشر: دار الوطن السعودية، الطبعة الأولى.

"ووجه تخصيص هذه السورة بوصفها بالْحَقُّ- والقرآن كله حق- أن ذلك يتضمن معنى الوعيد للكفرة والتنبيه للناظر، أي جاءك في هذه السورة الحق الذي أصاب الأمم الظالمة، وهذا كما يقال عند الشدائد: جاء الحق وإن كان الحق يأتي في غير شديدة وغير ما وجه، ولا يستعمل في ذلك: جاء الحق، ثم وصف أيضا أن ما تضمنته السورة هي مَوْعِظَةٌ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ، فهذا يؤيد أن لفظة الْحَقُّ إنما تختص بما تضمنت من وعيد للكفرة" (١).

* في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ "افتتاح الجملة بضمير العظمة للتنويه بالخبر، كما يقول كتاب «الديوان»: أمير المؤمنين يأمر بكذا. وتقديم الضمير على الخبر الفعلي يفيد الاختصاص، أي نحن نقص لا غيرنا، ردا على من يطعن من المشركين في القرآن بقولهم: إنما يعلمه بشر، وقولهم: أساطير الأولين اكتتبها" (٢).

* قال ابن الجوزي (رحمه الله) "قال العلماء: وإنما سميت قصة يوسف أحسن القصص؛ لأنها جمعت ذكر الأنبياء، والصالحين، والملائكة، والشياطين، والأنعام، وسير الملوك، والمماليك، والتجار، والعلماء، والرجال، والنساء، وحيلهن، وذكر التوحيد، والفقه، والسرّ، وتعبير الرؤيا، والسياسة، والمعاشرة، وتدبير المعاش، والصبر على الأذى، والحلم والعزّ، والحكم، إلى غير ذلك من العجائب" (٣).

رابعاً: الأنبياء الذين ذكروا في القرآن:

لقد كثُرت الآيات القرآنية التي تحدثت عن قصص الأنبياء (عليهم السلام)، وعن ذكر دعوتهم لأقوامهم، وما لاقوه من ظلم الظالمين، وعن تمكينهم في نهاية المطاف، وإهلاك المجرمين، ولقد ذُكر في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبياً رسولاً، في عدة مواضعٍ من القرآن، ورد منهم ثمانية عشر في سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦]. فهؤلاء ثمانية عشر، يزاد عليهم آدم وهود وصالح وشعيب وإدريس وذو الكفل ونبينا محمد ﷺ، بل وقد جاءت بعض السور بأسماء الأنبياء (٤).

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية، ج٣، ص٢١٦.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج١٢، ص٢٠٢.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ج٢، ص٤١٣.

(٤) وهي ستة سور: سورة يونس، وسورة هود، وسورة يوسف، وسورة إبراهيم، وسورة محمد، وسورة نوح.

وتكمن أهمية قصص الأنبياء (عليهم السلام) في أنَّ "تاريخ النبوة حلقات متصلة لا بد من اكتمالها ومن وضوح صورتها في الأذهان لتتقرر الحقيقة الإنسانية والتاريخية ولتتجلى الحكمة التي قصد إليها القرآن الكريم من اهتمامه بإيراد هذا القصص في موضع بارز يهدف إلى وضوح العبرة وضرب المثل وإيجاز حركة التاريخ الإنساني وبيان سنته من خلال عرضه لقصص الأنبياء" (١).

ولمَّا كانت الدعوة في مكة ناشئتاً، كان لا بد من إزالة رواسب الجاهلية من نفوس المؤمنين الأوائل، وترسيخ العقائد الجديدة في نفوسهم، لذا فقد اهتم القرآن المكي بالجانب العقائدي، فكان الغالب من القرآن المكي، يتكلم عن الأنبياء السابقين (عليهم السلام) وما لاقوه من أقوامهم من صنوف الصدود والعذاب، وبيان الصراع الطويل على مدار الأزمان بين الحق والباطل، وبيان عاقبة الأمم الكافرة، وبيان أعمالهم القبيحة والتي استحقوا عليها عذاب الله سبحانه وتعالى، وهذا من أعظم ما جعل الإيمان يستقر في نفوس الأوائل، رُغم ما لاقوه من أشد أنواع التعذيب، ولأهمية قصص السابقين في ترسيخ العقيدة كان النبي ﷺ يذكر لأصحابه ما لقاه المؤمنون السابقون من تعذيب واضطهاد فصبروا، "فعن خباب، قال: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فشكونا إليه فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ فجلس محمراً وجهه فقال: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، ثم يؤتى بالمنشار فيجعل على رأسه، فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء وحضرموت ما يخاف إلا الله تعالى، والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون**»" (٢) ومن ذلك قصة الراهب والغلام، وقصة جريج، وماشطة بنت فرعون.

خامساً: العبر والعظات من الآيات:

"إن القرآن الكريم اصطفى من الأحداث التاريخية الهامة في حياة المخلوقات ما يخدم الدعوة الإسلامية ويرسخ عقيدتها ويوجه المسلم توجيهاً صحيحاً ويفتح للناس طرقاً للعبرة والعظة منها كما أنه تخير من هذه الأحداث ما رآه صالحاً لبناء الصورة المحققة لهذه الغاية" (٣) ومن أعظم هذه الأحداث وأجلها قصص الأنبياء السابقين (عليهم السلام)، وهي مليئةٌ بالعبر والعظات التي تنفع المسلم، وتنير له الطريق في سيره إلى الله ﷻ، فكل قصةٍ من قصص الأنبياء (عليهم السلام) تمثل مدرسةً كاملةً من مدارس الإصلاح الشامل للإنسانية، فكيف ستكون الفائدة حين نقتدي بها

---

(١) قصص الأنبياء، لابن كثير، ج١ ص٢، الناشر: مطبعة دار التأليف، مصر، الطبعة الأولى.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب الأسير يكره على الكفر، رقم الحديث (٢٦٤٩)، قال الألباني: حديث صحيح.

(٣) التوجيهات الإلهية للفرد المسلم من خلال القصص القرآني في سورة القصص، لليوسف، ص٤.

جميعها؟ وحينما نستخلص العبر منها جميعها؟ إنَّها كنوزٌ ثمينة فكان حقاً علينا أن نعمل بها، لأنَّها تسقي شجرة الإيمان في القلب، وتزيده رسوخاً وثباتاً.

وعلى الرغم من أنَّ كل نبي من الأنبياء (عليهم السلام) كان منهجاً كاملاً من الدروس والعبر، إلا أنَّ في كل قصة نبي نجد أمراً لامعاً يميز رحلته في الدعوة إلى الله، وسيقوم الباحث بأخذ أهم كل درس من كل قصةٍ من قصص الأنبياء (عليهم السلام) التي ذكرت في القرآن:

* من قصة آدم عليه السلام بيان منزلة الإنسان وأفضليته في الكون من حيث إنَّ الله تعالى أسجد لآدم ملائكته، وسخر للإنسان الكائنات ليعمر الأرض بالخيرات، والتحذير من اتباع الشيطان.

* من قصة نوح عليه السلام الصبر الطويل في دعوة قومه، وهذا الدرس يعطي دفعاً قوياً للدعاة بأنهم مهما امتد بهم زمن الصبر، فإنَّ لهم في نبي الله نوح قدوة حسنة.

* من قصة هود عليه السلام أنَّ القوة التي يعطيها الله للإنسان ينبغي أن تسخر في خدمة الحق وأن شكر الله على نعمه طريق إلى زيادتها.

* من قصة صالح عليه السلام أنَّ الفساد يصدع أركان الحضارة، وأن على المسلم أن يحذر من المفسدين الذين يخربون باسم البناء.

* من قصة إبراهيم عليه السلام التلطف مع الآباء، وتربية الأبناء على القيم النبيلة، والتبرؤ من عقيدة الآباء إذا كانت فاسدة، واعتماد منطق العلم في الدعوة.

* من قصة لوط عليه السلام إقامة العلاقات الجنسية السليمة الطاهرة القائمة على الزواج الشرعي الذي سنه الله لعباده، وأنَّ الخروج عن هذه السنة يُدمر المجتمع.

* من قصة يوسف عليه السلام على الآباء أن يوازنوا في معاملة أولادهم بالتساوي حتى لا يزرعوا الحسد بين الأولاد، والثبات على العفة والطهارة، وضرورة الالتجاء إلى الله في الظروف الصعبة، والعفو عند المقدرة.

* من قصة شعيب عليه السلام أنَّ الإصلاح يبدأ بالقدوة الحسنة، وترغيب المدعوين باستثارة جانب الخير في نفوس المدعوين، وإقامة العلاقات الاقتصادية وفق شرع الله.

* من قصة يونس عليه السلام الصبر في الدعوة ومحاربة اليأس مهما كانت مواقف الناس من الداعية، والخروج من الظلمات مرتبط بحسن الارتباط بالله.

* من قصة أيوب عليه السلام الصبر على البلاء، والأخذ بالأسباب والتداوي من الأمراض.

* من قصة موسى عليه السلام تسخير القوة في حراسة الحق، والتوجه إلى الله بالدعاء قبل الدخول على المدعوين، ومجابهة الطغيان بالحوار باللين، وأنَّ السحر لا يستطيع الثبات أمام الحق، وأنَّ

الإيمان الراسخ لا تزلزله الشدائد، وأنَّ النصر للأعلى لا لمن استعلى.

* من قصة داوود عليه السلام الأمة على قدرات أبنائها في تحصين دفاعاتها وصناعاتها العسكرية، وأن القضاء العادل يحتاج إلى استماع من كل الأطراف.

* من قصة سليمان عليه السلام تفقد الراعي لرعايا مملكته، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وأنَّ الجن لا يعلمون الغيب.

* من قصة زكريا عليه السلام أنَّ الذرية الطيبة هي من صنع الأبوين، بتعهد الأولاد بالتربية.

* من قصة عيسى عليه السلام التبرؤ من مغالاة الأتباع، وإبطال ألوهية عيسى ومريم.

* قد جمع سبحانه في سيدنا محمد ﷺ كمالات الأنبياء جميعاً إذ ختم به الرسالات، والمتتبع لسيرته يرى ذلك في سلوكه وأقواله وتوجيهاته وسياسته (١).

وبعد هذا المطلب والذي تحدث فيه الباحث عن قصص السابقين كوسيلة لترسيخ العقيدة في النفس، وتثبيتها في القلب، **ينصح الباحث بما يلي:**

* أن يقرأ كل مسلمٍ قصص الأنبياء السابقين، قراءةً متدبرةً متأنية، ويطالع تفسيرها، ويقف على معانيها النفيسة، فإنَّها من أعظم ما يرسخ العقيدة في النفس.

* "المعهود في حياة الطفولة أن يميل الطفل إلى سماع الحكاية، ويصغي إلى رواية القصة، وتعي ذاكرته ما يُروى له، فيحاكيه ويقصه" (٢)، لذا فليجعل كل والدٍ لأبنائه نصيباً كبيراً من تدريسهم وتعليمهم قصص الأنبياء.

* الاستفادة من القصص القرآني من الناحية التطبيقية العملية، حيث استخلاص سنن الله سبحانه في ارتقاء الأمم وهبوطها، وعوامل النصر، وأسباب هلاك المجتمعات.

* أخذ العبر والعظات من قصص الأنبياء (عليهم السلام) والاستفادة ممَّا فيها من دروس وفوائد.

المطلب الثالث

طاعة الله تعالى واجتناب نواهيه

إنَّ طاعة الله ﷻ باتباع ما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، من أعظم ما يرسخ العقيدة في القلب، فمن المعلوم أنَّ المخرجات هي نتيجة المدخلات، فإذا كان المدخل على القلب طاعة الله ﷻ، فستكون النتيجة رسوخ العقائد وتمكنها في القلب. ومن الآيات التي تبين هذا المعنى:

---

(١) انظر: مدرسة الأنبياء عبر وأضواء، للزين، ص٣٣٩ ، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى.

(٢) مباحث في علوم القرآن، للقطاني، ص٣٢١، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثالثة.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:٦٦] .

قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم:٧٦] .

أولاً: المعنى الإجمالي للآيات:

يظهر لنا من مضمون هاتين الآيتين أنَّ طاعة الله ﷻ في السراء والضراء، وفي اليسر والعسر، يُثمر للإنسان كل خير، ويصرف عنه كل شر، ويزيده إيماناً إلى إيمانه، فالمعنى في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:٦٦] أن الله سبحانه لو كتب القتل والخروج من الديار على هؤلاء الموجودين من اليهود ما فعله إلا القليل منهم، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع الشرع والانقياد لرسول الله ﷺ لكان ذلك خيراً لهم في الدنيا والآخرة، وأشد تثبيتا لأقدامهم على الحق فلا يضطربون [١]، وفي قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم:٧٦] بيان لما يلقى المؤمنون المهتدون من إحسان الله سبحانه إليهم، وألطافه بهم، إنه سيمدهم في الدنيا بالهدى، ويزيدهم فلاحا إلى فلاح، وإيمانا مع إيمان، على حين يخذل الله سبحانه المشركين، ويمدّ لهم في الغى والضلال[٢].

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿... وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ...﴾ "سمي التكليف وعظاً لاقترانه بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب" [٣].

* في قوله تعالى: ﴿... وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ "تكرير (الخير) لمزيد الاعتناء ببيانه" [٤].

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني، ج١، ص٥٦٠.

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب، ج٨، ص٧٦٥.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، ج٢، ص٤٤١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

(٤) محاسن التأويل، للقاسمي، ج٧، ص١١١.

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* "عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:٦٦] على رسول الله ﷺ، قال أناس من أصحاب النبي ﷺ: لو فعل ربنا لفعلنا، فبلغ النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: الإيمان أثبت في قلوب أهله من الجبال الرواسي.

وعن عبد الله بن الزبير قال: لما نزلت ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم قال أبو بكر: يا رسول الله، والله لو أمرتني أن أقتل نفسي لفعلت. قال: صدقت يا أبا بكر [(١)].

يتبين لنا من هذه الروايات شدة إيمان الصحابة ﷺ ورسوخ العقيدة في قلوبهم، فلا مجال عندهم للعصيان، وليس من خياراتهم عدم الطاعة، حتى لو كان الأمر قتل النفس، فليقتدي بمثل هؤلاء المقتدون، فلن يصلح هذا الزمان إلا بما صلح به أوله، وقد صلُح الزمان الأول بمثل هذه الطاعة لله ﷻ، فلنسر على خطاهم حتى يُمكن الإيمان في قلوبنا، ويُمكن لنا من النصر على أعدائنا.

* في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:٦٦] "يخبر تعالى أنه لو كتب على عباده الأوامر الشاقة على النفوس من قتل النفوس والخروج من الديار لم يفعله إلا القليل منهم والنادر، فليحمدوا ربهم وليشكروه على تيسير ما أمرهم به من الأوامر التي تسهل على كل أحد، ولا يشق فعلها، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات، لتخف عليه العبادات، ويزداد حمدًا وشكرًا لربه"[(٢)].

* **إنَّ للهداية معنيين:** هداية بمعنى الدلالة على الخير وبيان طريقه، وهداية المعونة والتوفيق للإيمان، فمن صدق في الأولى أعانه الله على الأخرى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧] والباقيات الصالحات: هي الأعمال الصالحة التي كانت منك خالصة لوجه الله: ﴿...خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم:٧٦] هذه هي الغاية التي ننتظرها ونسعى إليها، فساعة أن تقارن السبل الشاقة فاقرنها بالغاية المسعدة، فيهون عليك عناء العبادة ومشقة التكليف [(٣)]، وهذا من أعظم ما يجعل العبد يستقيم على طاعة الله ﷻ.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ج٣، ص٩٩٦. وانظر: جامع البيان للطبري، ج٨، ص٥٢٦، تفسير القرآن للنيسابوري، ج٢، ص٧٧٩، الإبانة الكبرى لابن بطة، ج٩، ص ٤٩٤، رقم الحديث (١١٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ج١، ص١٨٥.

(٣) انظر: تفسير الشعراوي، ج١٥، ص٩١٧٣.

المطلب الرابع

ذكر الله ﷻ

وممَّا يرسخ العقيدة في القلب دوام ذكر الله ﷻ، فالإيمان شجرةٌ مزروعةٌ في القلب والذكر هو الماء الذي يسقيها، فكلما كان ذكر العبد أكثر كانت جذور هذه الشجرة أرسخ في القلب وأكثر تجذراً في نفسه، فلا تهوي بها عواصف الفتن، ولا مساومات الظالمين، قال ابن القيم في مدارج السالكين واصفاً منزلة الذكر: "هي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون وفيها يتجرون، وإليها دائما يترددون، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات وتهون عليهم به المصيبات، فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها، فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها" (١).

لذا فمن أعظم أسباب الثبات دوام ذكر الله ﷻ، ودلالة ذلك من كتاب الله ﷻ: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال:٤٥] .

أولاً: المعنى الإجمالي للآية:

لقد قرن الله ﷻ بين الثبات في الحرب وبين الذكر، فجعله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد، "وفي الآية إرشاد إلى سبيل النصر في مبارزة الأعداء، أي إذا لقيتم جماعة من الكفرة فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا، وأكثروا من ذكر الله بألسنتكم لتستمطروا نصره وعونه وتفوزوا بالظفر عليهم" (٢) ، فهذه الآية من أعظم النصائح الحربية فهي تبين أنَّ "الثبات فضيلة، والفرار كبيرة يعاقب الدين عليها وعليكم بذكر الله في السراء والضراء وحين البأس، فبذكره تطمئن القلوب، وبدعائه تفكّ الكروب، فهو القريب المجيب دعوة الداعي، لا سيما إذا كان دعاء بالنصر على عدو الله، اثبتوا عند اللقاء، واذكروا الله كثيرا، رجاء أن تفوزوا بالأجر والثواب، والنصرة على الأعداء"(٣).

ثانياً: الذكر في القرآن الكريم:

قال الإمام بن القيم (رحمه الله) جاء الذكر في القرآن الكريم على عشرة أوجه:

---

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ص٣٩٥، الناشر: مؤسسة اقرأ، الطبعة الأولى.

(٢) صفوة التفاسير للصابوني، ج١، ص ٤٧١.

(٣) التفسير الواضح، لمحمود حجازي، ج١، ص٨٣٣.

الأول: الأمر به مطلقاً ومقيداً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٤١].

الثاني: النهي عن ضده من الغفلة والنسيان ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر:١٩].

الثالث: تعليق الفلاح باستدامته وكثرته ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠].

الرابع: الثناء على أهله والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

الخامس: الإخبار عن خسران من لها عنه بغيره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩].

السادس: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢].

السابع: الإخبار أنه أكبر من كل شيء ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥].

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة:٢٠٠].

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته وأنهم أولو الألباب دون غيرهم. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ(١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[آل عمران: ١٩٠-١٩١].

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها، فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح. فإنَّه سبحانه قرنه بالصلاة كقوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه:١٤]، وقرنه بالجهاد وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران ومكافحة الأعداء فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥] [(١)].

ونلاحظ من الآيات اهتمام القرآن الكريم بالذكر والأمر به في مواضع كثيرة والثناء على أهله وأنَّهم من ينتفعون بالآيات، والنهي عن الغفلة وبيان خسران الغافلين، وقد جاءت لفظة الذكر

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم، ص٣٩٦.

في القرآن على سبعة عشر معنى، وبهذا القدر الكبير من الآيات يتبين أهمية الذكر في ترسيخ العقيدة.

ثالثاً: رسول الله ﷺ والذكر:

"كان النبي ﷺ أكمل الناس ذكراً لله ﷻ، بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاه، وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكرا منه لله، وإخباره عن أسماء الرب وصفاته، وأحكامه وأفعاله، ووعده ووعيده ذكرا منه له، وثناؤه عليه بآلائه وتمجيده وتسبيحه وتحميده ذكراً منه له، وسكوته ذكراً منه له بقلبه، فكان ذاكراً لله في كل أحيانه، وكان ذكره لله يجري مع أنفاسه قائماً وقاعداً، وعلى جنبه، وفي مشيه، وركوبه، وسيره، ونزوله، وظعنه، وإقامته" (١).

وقد رغب النبي ﷺ في الإكثار من ذكر الله ﷻ "فعن عبد الله بن بسر أن أعرابياً قال لرسول ﷺ إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، فأنبئني منها بشيء أتشبث به؟ قال: "لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله ﷻ" (٢) "والمراد من رطوبة اللسان: المداومة عليه والإكثار منه ليجري بسهولة على لسانه" (٣) ومن أكثر الأحاديث التي تبين فضل الذكر "عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: "**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها، عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم**" قالوا: وذلك ما هو يا رسول الله؟ قال: **(ذكر الله ﷻ)**" (٤).

وقد كان سلفنا الصالح يتلذذون بذكر الله ﷻ، لأنَّهم يعلمون أنَّ "المحب اسم محبوبه لا يغيب عن قلبه، فلو كلف أن ينسى تذكره لما قدر، ولو كلف أن يكف عن ذكره بلسانه لما صبر. كان بلال كلما عذبه المشركون في الرمضاء على التوحيد يقول: أحد أحد، فإذا قالوا له: قل: واللات والعزى، قال: لا أحسنه. وكلما قويت المعرفة، صار الذكر يجري على لسان الذاكر من غير كلفة" (٥).

وقد أُثر عن رسول الله ﷺ الكثير من الأذكار والتي يتحصل المداوم عليها على أُجورٍ كثيرة جداً، كأذكار الصباح والمساء، وأذكار العبادات المشروعة، وهذه الأذكار من أعظم ما يجعل المؤمن دائم الذكر لله ﷻ في كل أحواله، وهذا يزيد من رسوخ الإيمان في القلب، كما أنَّها تُحصن

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، ج٢، ص ١٧٧، الناشر: دار بن الجوزي، الطبعة الأولى.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الذكر، رقم الحديث: ٣٧٩٣. قال الألباني: صحيح.

(٣) شرح رياض الصالحين للمباركفوري، ص٥٦٨، الناشر: دار الأشراف، الطبعة الأولى.

(٤) مسند الإمام أحمد، ج٣٦، ص٣٤، رقم الحديث: ٢١٧٠٢، وأخرجه ابن ماجه (٣٧٩٠)، والترمذي (٣٣٧٧)، وقال الألباني: صحيح.

(٥) مختصر جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص١٨٩، الناشر: مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولى.

المسلم من شر الإنس والجن، وتدفع عنه البلايا والمصائب، ذكر الإمام بن القيم (رحمه الله) في الذكر أكثر من مائة فائدة، نذكر منها:

* أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره. * أنه يرضي الرحمن ﷻ.
* أنه يزيل الهم والغم عن القلب. * أنه يجلب للقلب الفرح والسرور.
* أنه يقوى القلب والبدن. * أنه ينور الوجه والقلب.
* أنه يجلب الرزق. * أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة.
* يورث المحبة التي هي روح الإسلام. * يورث المراقبة حتى يدخله في الإحسان (١).

المطلب الخامس

الدعـــــاء

وممَّا يزيد نور الإيمان في القلب، ويجعله دائماً في يقظة، ويزيده رسوخاً إلى رسوخه، الدعاء وهو السلاح الأمضى، والعامل الأقوى، وله فعله في النفوس، يثبتها ويقويها، وحسبك أنَّ النبي ﷺ كان يكثر من الدعاء بالثبات ويعلمه أمته" (٢)، ومن صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم، لأنَّه من أعظم وسائل تثبيت الإيمان في القلب بحيث يحافظ الإنسان على وِرد ثابت من الدعاء يخلو فيه بربه، ويكثر من دعاء الله ﷻ، خاصة الأدعية التي فيها سؤال التثبيت على الدين، فالدعاء من أنفع الأسباب في حصول هذه الثمرات. ومن الآيات التي تبين طلب الثبات من الله ﷻ:

قال تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:٦].

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٥٠].

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨].

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٧].

---

(١) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم، ص٤٨، الناشر: دار ابن الهيثم، الطبعة الأولى.
(٢) الثبات، للشريف، ص٣٨.

أولاً: المعنى الإجمالي لبعض الآيات:

تُبين لنا هذه المجموعة من الآيات أنَّ طلب الثبات من الله ﷻ هو من صفات المؤمنين في اليسر والعسر، بل إنَّ المسلم يطلب من الله ﷻ الثبات على الإسلام في كل يومٍ سبعة عشر مرة في صلاة الفريضة، قال أبو جعفر: "ومعنى قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في هذا الموضع عندنا: وَفِّقْنا للثبات عليه، كما رُوي ذلك عن ابن عباس، وقد أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن "**الصراط المستقيم**"، هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه" (١)، وفي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨] ترشد الآية إلى الاقتداء بأهل العلم حيث أنَّهم " الراسخين في العلم يطلبون إلى الله أن يحفظهم من الزيغ بعد الهداية، ويهبهم الثبات على معرفة الحقيقة والاستقامة على الطريقة فهم يعرفون ضعف البشر، وكونهم عرضة للتقلب والنسيان والذهول، فيخافون أن يقعوا في الخطأ، والخطأ قرين الخطر" (٢).

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ " استعارة تصريحية فقد شبه الدين الحق بالصراط المستقيم الذي ليس به أدق انحراف قد يخرجه عن حدود الاستقامة؛ لأن الخط المستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين، ووجه الشبه بينهما أن الله سبحانه وإن كان متعالياً عن الأمكنة، لكن العبد الطالب الوصول لا بد له من قطع المسافات، ومس الآفات، ليكرم الوصول والموافاة" (٣).

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ "فمن رحمة الله تبارك وتعالى أنه علمنا ما نطلب، وهذا يستوجب الحمد لله، وأول ما يطلب المؤمن هو الهداية والصراط المستقيم، والهداية نوعان: هداية دلالة، وهداية معونة. هداية الدلالة هي للناس جميعاً، وهداية المعونة هي للمؤمنين فقط المتبعين لمنهج الله، والله ﷻ هدى كل عباده هداية دلالة، أي دلهم على طريق الخير وبينه لهم، فمن أراد أن يتبع طريق الخير اتبعه، ومن أراد ألا يتبعه تركه الله لما أراد" (٤).

* نقرأ الفاتحة أكثر من سبعة عشرة مرة في اليوم والليلة، نطلب بها من الله ﷻ الثبات على الصراط المستقيم، ونستعيذ من طريق اليهود والنصارى، ثمَّ نرى كثيراً من المسلمين يشابهونهم

---

(١) جامع البيان، للطبري، ج١، ص١٦٦.

(٢) تفسير المراغي، ج٣، ص١٠٢.

(٣) إعراب القرآن وبيانه، للدرويش، ج١، ص١٩.

(٤) تفسير الشعراوي، ج١، ص٨٤.

في أفعالهم، يتعلمون ولا يعملون كاليهود، أو يتركون التعلم فيعملون عن جهل كالنصارى، والنَّجاة أن نتعلم الصواب ونعمل به.

* في قوله تعالى: ﴿... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ...﴾ "الدعاء بالاستغفار مقدّماً على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدوّ، ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع، وأقرب إلى الاستجابة" (١).

* إنَّ المؤمنين الصادقين يعرفون بوحي إيمانهم أنهم لا يقدرون على شيء إلا بفضل الله ورحمته، وأنهم لا يملكون قلوبهم فهي في يد الله، فيتجهون إليه بالدعاء أن يمدهم بالعون والنجاة، وينادون رحمة الله التي أدركتهم مرة بالهدى بعد الضلال، ووهبتهم هذا العطاء الذي لا يعدله عطاء، ومتى استشعر القلب المؤمن أنَّ هدايته من توفيق الله لم يكن أمامه إلا أن يلتصق بركن الله في حرارة، وأن يتشبث بحماه في إصرار، وأن يتجه إليه يناشده رحمته وفضله، لاستبقاء الكنز الذي وهبه، والعطاء الذي أولاه (٢).

رابعاً: رسول الله ﷺ والدعاء بالثبات:

إنَّ رسول الله ﷺ سيد ولد آدم، وأكرم مخلوقٍ على الله، ومن بيده لواء الحمد يوم القيامة، ومن غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كان أكثر دعاءٍ يدعوه طلب الثبات من الله ﷻ عن "شهر بن حوشب، قال: قلت لأم سلمة: يا أم المؤمنين ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه: "**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**" قالت: فقلت: يا رسول الله ما لأكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؟ قال: **(يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ)**" (٣)، وهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، وأبو الأنبياء (عليهم السلام) يحكي لنا القرآن الكريم أنَّه كان من دعائه طلب الثبات من الله ﷻ له ولذريته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥].

وقد كان رسول الله ﷺ يوصي أصحابه دائماً، والمؤمنين من بعده، بطلب الثبات من الله ﷻ، وأن لا تُشغلهم الدنيا الفانية، عن طاعة الله ورسوله، فالدنيا وما فيها لا تساوي ركعة يصليها العبد في جوف الليل، فعن شداد بن أوس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إذا كنز الناس الذهب**

---

(١) الكشاف، للزمخشري، ج١، ص٤٢٤.

(٢) في ظلال القرآن، ج٣، ص٣٧١.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ٩٣، رقم الحديث: ٣٥٢٢. قال الألباني: صحيح.

والفضة، فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، وأسألك لساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب" (١).

وقد فقه أصحاب رسول الله ﷺ هذا الحديث جيداً، فكان دأبهم وأكثر دعائهم طلب الثبات من الله ﷻ، فهذا أبو هريرة ؓ كان يقول في دعائه: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك أن أرتكب كبيرةً في الإسلام، فيعجب منه التابعين، فيقول لهم: كيف آمن من الفتنة وإبليس حي، وكان يقول ؓ: **" تكون فتنة لا يُنجي منها إلا دعاء كدعاء الغريق"** (٢).

فليحرص كل مسلمٍ يبغي الثبات على دين الله ﷻ بالإكثار من الدعاء بطلب الثبات، فهذه سنة الأنبياء (عليهم السلام) ودأب الصالحين على مدار الأزمان، فاللهم إنَّا نسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المطلب السادس

الصبـــر

"إن الله سبحانه جعل الصبر جواداً لا يكبو وصارماً لا ينبو وجندا لا يهزم وحصناً حصيناً لا يهدم ولا يثلم، فهو والنصر أخوان شقيقان، فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، والعسر مع اليسر، وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد، ومحله من الظفر كمحل الرأس من الجسد، فمن اعتاد الصبر هابه عدوه، ومن عز عليه الصبر طمع فيه عدوه، وأوشك أن ينال منه غرضه" (٣)، ومن الآيات التي قرنت بين الأمر باتباع الحق والثبات عليه وبين الصبر: قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٩].

أولاً: المعنى الإجمالي للآية:

"قال الطبري: يقول تعالى ذكره: واتبع، يا محمد وحي الله الذي يوحيه إليك، وتنزيله الذي ينزله عليك، فاعمل به، واصبر على ما أصابك في الله من مشركي قومك من الأذى والمكاره، وعلى ما نالك منهم، حتى يقضي الله فيهم وفيك أمره بفعلٍ فاصلٍ وهو خير القاضين وأعدل

(١) مسند الإمام أحمد، ج٢٨، ص٣٣٨، رقم الحديث: ١٧١١٤. قال شعيب الأرنؤوط حديث حسن بطرقه، وأخرجه ابن أبي شيبة ٢٧١/١٠، والخرائطي في "فضيلة الشكر لله"، وأبو نعيم في "الحلية" ٢٦٦/١، وابن حبان (٩٣٥) ، والطبراني (٧١٥٧)، قال الألباني: صحيح (السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٣٢٢٨).

(٢) مصنف بن أبي شيبة، ج٧، ص٥٣١، رقم الحديث: ٣٧٧٤٩، الناشر: مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى.

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم، ص٦، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى.

الفاصلين، فحكم جل ثناؤه بينه وبينهم يوم بَدْرٍ، وقتلهم بالسيف" (١).

وعند ابن كثير "أي: تمسك بما أنزل الله عليك وأوحاه واصبر على مخالفة من خالفك من الناس، حتى يفتح بينك وبينهم، وهو خير الفاتحين بعدل وحكمته" (٢). إذاً فالآية أمرٌ من الله تعالى للنبي ﷺ ولكل الأمة من بعده، "بالصبر على اتباع الوحي والثبات على الدعوة، وتحمل الأذى من المشركين إلى غاية أن يحكم الله فيهم" (٣).

ثانياً: فوائد وعظات من الآية:

* "مجيء الأمر بالصبر دليل على أن هناك عقبات كثيرة، وعليك أن تصبر وتعطي النموذج لغيرك، والثقة في أنه لو لم يكن هناك خير في اتباع المنهج لما صبرت عليه، فعليك أن تكون الأسوة، فحين تتَّبع ما يُوحَى إليك؛ ستجد عقبات ممن يعيشون على الفساد، ولا يرضيهم أن يوجد الإصلاح، فَوطِّن العزم على أن تتبع ما يوحى إليك، وأن تصبر" (٤)، فعلى الدعاة إلى الله ﷻ أن يوطنوا أنفسهم على هذه العقبات، فإصلاح المجتمعات يحتاج إلى صبرٍ جميل، وجهدٍ كبير، فستجد من النَّاس من يؤذي الدعاة بلسانه أو أفعاله.

ثالثاً: العلاقة بين الصبر والثبات:

توجد علاقة وثيقة جداً بين الصبر والثبات، فابن القيم جعل الثبات أصل الصبر، فقال: أصل الصبر قوة الثبات فمتى أيد العبد بعزيمة وثبات فقد أيد بالمعونة والتوفيق، وبعضهم جعل الصبر والثبات بمعنى واحد، "يقول عمرو بن عثمان (٥) عن الصبر: هو الثبات مع الله وتلقي بلائه بالرحب والدعة، ويقول الخواص(٦): الصبر هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة" (٧)، ويقول القرضاوي: "الصبر في القرآن يعني حبس النفس على ما تكره، ابتغاء مرضات الله" (٨) والصبر هو إلجام النفس على اتباع الحق وترك الباطل، وتمحل الأذى والبلاء في سبيل الله، ومن حقق هذه الأمور ستكون النتيجة رسوخ العقيدة في القلب، والثبات على طريق الحق.

---

(١) جامع البيان، للطبري، ج١٥، ص٢٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٤، ص٣٠١.

(٣) أيسر التفاسير، للجزائري، ج٢، ص٥١٧.

(٤) تفسير الشعراوي، ج١٠، ص٦٢٦٢.

(٥) هو أبو حفص عمرو بن عثمان بن عمر التيمي، (الأسامي والكنى، للحاكم، ج٣، ص٢٥٥).

(٦) هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، أبو إسحاق الخواص: صوفي، كان أوحد المشايخ في وقته، من أقران الجنيد، له كتب مصنفة، والخواص: بائع الخوص. (الأعلام، للزركلي، ج١، ص٢٨).

(٧) مدارج السالكين، لابن القيم، ص٣٠٧.

(٨) الصبر في القرآن، للقرضاوي، ص٨، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة.

رابعاً: الصبر في القرآن الكريم:

ذكر الإمام ابن القيم (رحمه الله) عن الإمام أحمد (رحمه الله): ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعاً، وجاءت هذه الآيات في اثنين وعشرين نوعاً، منها: الأمر به كقوله: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ** ...﴾ [النحل:١٢٧] .

الثاني: النهى عما يضاده كقوله: ﴿**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ** ...﴾ [القلم:٤٨] .

الثالث: تعليق الفلاح به كقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران:٢٠٠] .

الرابع: الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره كقوله: ﴿... **يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزُّمر:١٠] .

الخامس: ظفرهم بمعية الله سبحانه لهم، قال تعالى: ﴿... **وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال:٤٦][(١)].

وقد كان رسول الله ﷺ دائماً يصبر أصحابه، ويوصيهم بالصبر، ولمَّا كان يمر على آل ياسر وهم يعذبون كان يقول لهم: "**صبراً آل ياسر إنَّ موعدكم الجنَّة**"، بل إنَّه أوصانا وصيةً غاليةً فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر**" [(٢)].

المطلب السابع

معرفة عقاب المنتكسين عن الإيمان

إنَّ المسلم في طريق سيره إلى الله ﷻ يحتاج إلى الترغيب الذي يدفعه لمواصلة المسير، ويحتاج إلى الترهيب بمعرفة ما وصف الله به الناكصين من أشنع الأوصاف، ومعرفة ما أعد الله للناكصين من أليم العقاب، وشديد العذاب، فيتكون لديه رادعٌ يجعله يبتعد عن كل ما يسبب ضعف الإيمان، ويجعله يستزيد دائماً مما يرسخ العقيدة في القلب.

وفي هذا المطلب مسألتان:

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم، ص٦١.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، رقم الحديث: ١٤٦٩، صحيح مسلم، رقم الحديث: ١٠٥٣.

المسألة الأولى: وصف الناكصين عن الإيمان بوصفين رادعين (الكلب، الحمار):

لقد كرم الله الإنسان، وفضله على جميع المخلوقات، وميزه بالعقل عن الحيوانات، فمن اتبع الحق وجعله أمامه فقد حفظ هذه الكرامة، ومن اتبع هواه، وساقته نفسه الأمَّارة بالسوء، فقد باع نفسه للشيطان، وقد وصف الله الناكصين عن الإيمان بأشنع الأوصاف فشبههم بأخس الحيوانات وهي الكلب والحمار، ومن الآيات الدالة على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:٥].

أولاً: المعنى الإجمالي للآيات:

إنَّ هاتين الآيتين كالصواعق المرسلة على الناكصين عن الإيمان، كيف لا وهي تنزلهم من الإنسانية والتكريم، إلى منزلة البهائم والأنعام، ففي قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦] تحكي لنا قصة من آتاه الله آياته فانسلخ منها كما تنسلخ الشاة عن جلدها، فلم يبق له بها اتصال فأتبعه الشيطان عند انسلاخه عن الآيات، ولو شئنا رفعه بما آتيناه من الآيات لرفعناه بسببها، ولكن لم نشأ ذلك لانسلاخه عنها وتركه للعمل بها، ولأنَّه مال إلى الدنيا ورغب فيها، وآثرها على الآخرة واتبع هواه، أي: اتبع ما يهواه وترك العمل بما يقتضيه العلم الذي علمه الله، وهو حطام الدنيا، فصار مشابهاً لأخس الحيوانات في الدناءة، مماثلاً له في أقبح أوصافه، وهذا المنتكص إن وعظته ضل، وإن تركته ضل، فهو كالكلب إن تركته لهث، وإن طردته لهث [1]، وفي قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:٥] "شُبه اليهود الذين كلفوا العمل بالتوراة ثم لم يعملوا بها، كشبه الحمار الذي يحمل كتباً لا يدري ما فيها، قبح مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، ولم ينتفعوا بها" [2].

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني، ج٢، ص٣٠٢.

(٢) التفسير الميسر، ص ٥٥٣.

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ إلى آخر الآية، "تشبيه تمثيلي فقد شبه حال من أعطي شيئاً فلم يقبله بالكلب الذي إن حملت عليه نبح وولى ذاهباً، وإن تركته شد عليك ونبح، فإن الكلب يعطي الجد والجهد من نفسه في كل حالة من الحالات" (١).

* في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ما يسميه علماء البلاغة المذهب الكلامي، وهو: "إيراد الحجج والتماس العلل، بأن يأتي البليغ على صحة دعواه بحجة قاطعة أياً كان نوعها" (٢)، أو هو "احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند، وتفل سلاح المكابر المتعنت، على طريقة علماء الكلام، ومنه منطقي تستنتج فيه النتائج من المقدمات الصادقة، وترتيب المقدمتين في هذه الكلمات والنتيجة أنا نقول: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن" (٣).

* في قوله تعالى: ﴿... كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ...﴾ "شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقرّاؤها وحفاظ ما فيها، ثم إنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها، وذلك أنّ فيها نعت رسول الله ﷺ والبشارة به، ولم يؤمنوا به بالحمار حمل أسفاراً، أي كتباً كباراً من كتب العلم، فهو يمشى بها ولا يدرى منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب، وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله"(٤).

* في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ ...﴾ إن قلت: كيف علق رفعه بمشيئة الله تعالى ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع؟ قلت: المعنى: ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها، وذلك أن مشيئة الله تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة، كأنه قيل: ولو لزمها لرفعناه بها، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾ فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله، ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال: ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ (٥).

* في الآية "جريان السنة القرآنيةِ على إسناد الخيرِ إليه تعالى وإضافةِ الشرّ إلى الغير كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠] "(٦).

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، للدرويش، ج٢، ص٤٩٧.

(٢) علم البديع لعتيق، ص١٣٢، الناشر: دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى.

(٣) إعراب القرآن وبيانه، ج٢، ص ٤٩٦.

(٤) الكشاف، للزمخشري، ج٤، ص٥٣٠.

(٥) المرجع السابق، ج٢، ص١٧٨.

(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ج٣، ص٢٣٩.

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* "شبه المتهالك على الدنيا في قلقه واضطرابه على تحصيلها ولزومه ذلك بالكلب في حالته هذه التي هي ملازمة له حالة تهييجه وتركه، وهي كونه لا يزال لاهثاً، وهي أخس أحواله وأرذلها، كما أن المتهالك على الدنيا لا يزال تعباً قلقاً في تحصيلها. قال الحسن: هو مثل المنافق لا ينيب إلى الحق دعي أو لم يدع أعطي أو لم يعط كالكلب يلهث طرداً وتركاً انتهى، وفي كتاب الحيوان دلت الآية على أن الكلب أخس الحيوان وأذله لضرب الخسة في المثل به في أخس أحواله، ولو كان في جنس الحيوان ما هو أخس من الكلب ما ضرب المثل إلا به" (١).

* شبه سبحانه من آتاه كتابه، وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به واتبع هواه، وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق، بالكلب الذي هو من أخس الحيوانات، وأوضعها قدراً، وأخسها نفساً، وهمته لا تتعدى بطنه، ولا يزال يشم دبره دون سائر أجزاء جسمه وإذا رميت إليه بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمته، وهو من أمهن الحيوانات وأحملها للهوان، وأرضاها بالدنايا والجيف القذرة المروحة أحب إليه من اللحم، والعذرة أحب إليه من الحلوى، وإذا ظفر بميتة تكفي مائة كلب لم يدع كلبا يتناول معه منها شيئا إلّا هرّ عليه وقهره، لحرصه وبخله، وفي تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة مع وفور علمه، بالكلب في حال لهثه، سر بديع، فهذا يلهث على الدنيا من قلة صبره عنها، وهذا يلهث من قلة صبره عن الماء (٢).

* في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:٥] "قاس من حمله سبحانه كتابه ليؤمن به، ويعمل به، ويدعو إليه. ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقرأه بغير تدبر، ولا تفهم، ولا اتباع له، ولا تحكيم له، ولا عمل بموجبه: كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، فحظه منها: حملها على ظهره ليس إلا. فحظ هذا من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره. فهذا المثل، وإن كان قد ضرب لليهود، فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، ولم يؤد حقه، ولم يرعه حق رعايته" (٣).

* على المسلم أن يحرص كل الحرص على التمسك بدين الله ﷻ، وعلى العمل بكتاب الله سبحانه، ولا يُفرط في آيةٍ واحدةٍ من أحكامه، ليحافظ بذلك على منزلته عند الله سبحانه، ولا يكن كأهل

---

(١) البحر المحيط، لأبي حيان، ج٥، ص٢٢٤.

(٢) انظر: تفسير القرآن الكريم، لابن القيم، ج١، ص٢٩١، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى.

(٣) المرجع السابق، ج١، ص٥٤٣.

الكتاب الذين ضيعوا ما أمرهم الله به، فكانت قيمتهم كالكلب والحمار.

المسألة الثانية: الوعيد الشديد لمن لا يثبتون على الطريق المستقيم.

فكما أنَّ للثابتين على دينهم، القابضين على هديّ حبيبهم ﷺ، المحافظين على طاعة ربهم، عظيم الأجر والثواب، فإنَّ الوعيد الشديد، والعذاب الأليم، للذين يتركون ساحة الإيمان، وهدي القرآن، إلى اتباع الشيطان، وطاعة عدو الرحمن، ومن الآيات الدالة على ذلك:

قال تعالى: ﴿... وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١٦-١٧].

أولاً: المعنى الإجمالي للآيات:

في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧] تبين أنَّ من يرجع عن دينه دين الإسلام، فيمت قبل أن يتوب من كفره، تبطل أعماله ويذهب ثوابها، وبطول الأجر عليها والجزاء في دار الدنيا والآخرة، وهم أهل النار المخلدون فيها، وإنما جعلهم أهلها لأنهم لا يخرجون منها، فهم سكانها المقيمون فيها، من غير أمد ولا نهاية (١)، وفي قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١٦-١٧] تحذر من طاعة الشيطان، وتذكر مثلاً لغوايته للإنسان حيث إنَّه بعد أن زين له الكفر وحسنه ودعاه إليه، فلما اغتر به وكفر، وحصل له الشقاء، لم ينفعه الشيطان، الذي تولاه ودعاه إلى ما دعاه إليه، بل تبرأ منه، لتكون نهاية الذين اشتركوا في الظلم والكفر هي النار، وإن اختلفوا في شدة العذاب وقوته، وهذا دأب الشيطان مع كل أوليائه، فإنه يدعوهم ويدليهم إلى ما يضرهم بغرور، حتى إذا وقعوا في الشباك، وحاقت بهم أسباب الهلاك، تبرأ منهم وتخلى عنهم، واللوم كل اللوم على من أطاعه، فإن الله قد حذر منه وأنذر، وأخبر بمقاصده وغايته ونهايته، فالمقدم على طاعته، عاص على بصيرة لا عذر له (٢).

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ج٤، ص٣١٧.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ج١، ص٨٥٣.

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿... فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ...﴾ [البقرة:٢١٧] "والحبوط مأخوذ من حبطت الناقة إذا رعت مرعى خبيثاً فانتفخت ثم نفقت.. والقرآن يعبر بهذا عن حبوط العمل، فيتطابق المدلول الحسي والمدلول المعنوي.. يتطابق تضخم العمل الباطل وانتفاخ مظهره، وهلاكه في النهاية وبواره.. مع تضخم حجم الناقة وانتفاخها ثم هلاكها في النهاية بهذا الانتفاخ! ومن يرتدد عن الإسلام وقد ذاقه وغرفه تحت مطارق الأذى والفتنة – مهما بلغت – هذا مصيره الذي قرره الله له.. حبوط العمل في الدنيا والآخرة. ثم ملازمة العذاب في النار خلوداً" (١).

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* من المعاصي ما يكون أشد من غيره وأصعب في المعنى، فسوء الأدب على الباب لا يوجب ما يوجبه على البساط، وأثر الغفلة على القلوب أعظم من ضرر الزلة على النفوس، فإن النفس عن الحظ تبقى، والقلب عن الحق يبقى قوله جل ذكره: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الإشارة من هذا أن أهل الغفلة إذا راودوك أرادوا صرفك إلى ما هم عليه من الغفلة، فلا يرضون إلا بأن تفسخ عقد إرادتك بما تعود إليه من سابق حالتك، ومن فسخ مع الله عهده مسخ قلبه (٢)، ومصداق ذلك من كتاب الله ﷻ: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ...﴾ [البقرة:١٢٠].

* في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧] تقرير صادق من العليم الخبير يكشف عن الإصرار الخبيث على الشر، وعلى فتنة المسلمين عن دينهم بوصفها الهدف الثابت المستقر لأعدائهم، وهو الهدف الذي لا يتغير لأعداء الجماعة المسلمة في كل أرض وفي كل جيل، ومن ثم يرصدون لأهله ليفتنوهم عنه، ويردوهم كفاراً في صورة من صور الكفر الكثيرة، ذلك أنهم لا يأمنون على باطلهم وبغيهم وفسادهم، وفي الأرض جماعة مسلمة تؤمن بهذا الدين، وتتنوع وسائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته، وكلما انكسر في يدهم سلاح انتضوا سلاحاً غيره، والخبر الصادق من العليم الخبير قائم يحذر الجماعة المسلمة من الاستسلام، وينبهها إلى الخطر ويدعوها إلى الصبر على الكيد، والصبر على الحرب، وإلا فهي خسارة الدنيا والآخرة

---

(١) في ظلال القرآن، ج١، ص٢٢٨.

(٢) لطائف الإشارات، للقشيري، ج١، ص١٧٦.

والعذاب الذي لا يدفعه عذر ولا مبرر(١).

* إنَّ هاتين الآيتين تحكي لنا قصة أُناس عرفوا طريق الحق، وأبصروا سبل الهداية، وعاشوا في بساتين الإيمان، ثمَّ أصابهم السهم القاتل، الذي نحر الإيمان في قلوبهم، واستبدله بالكفر والعصيان وطاعة الشيطان، وكان العدو في الآية الأولى الذين كفرو وفي الآية الثانية الشيطان، فآية سورة البقرة تكشف لنا الغاية العليا للمشركين وهي زعزعة الإيمان في نفوس المؤمنين، وردهم إلى ظلمات الكفر مسخرين لذلك كل ما أمكنهم من وسائل، وآية سورة الحشر تكشف لنا عن عدوٍ آخر وهو الشيطان الذي أقسم فقال: ﴿... فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٢]، فقد جعل كل همه أن يرد المؤمنين إلى الكفر، لتكون نتيجة من يستجيب لهؤلاء الأعداء حبوط الأعمال، والخلود في النيران، فليحذر المسلم كل الحذر، والله المستعان، وعليه التكلان(٢).

المطلب الثامن

التوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب

لمَّا كان الإنسان ضعيفاً، يعتريه النقص في أغلب أحواله، يصارع الشهوات في كل أوقاته، ولمَّا كان الثبات على الدين والالتزام أُمنية كل الصادقين، وغاية كل المخلصين، كان لا بدَّ من حسن التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه، قال الإمام ابن القيم (رحمه الله): ومنزلة التوكل أوسع المنازل وأجمعها، فلا تزال معمورة بالنازلين، لسعة متعلق التوكل، وكثرة حوائج العالمين، فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في الإيمان، ونصرة دينه، وإعلاء كلمته، وجهاد أعدائه، وفي محابه، وتنفيذ أوامره، ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله، ثم الناس بعد في التوكل على حسب هممهم ومقاصدهم، فمن متوكل على الله في حصول الملك، ومن متوكل في حصول رغيف(٣)، ومن الآيات الدالة على أهمية التوكل في رسوخ الإيمان والثبات عليه:

قال تعالى: ﴿... فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

قال تعالى: ﴿... وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣] .

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤-٨٥] .

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، ج١، ص٢٢٨.

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري، ج٢٣، ص٢٦٥، تفسير القرآن، لابن أبي حاتم، ج١٠، ص٣٣٤٨.

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم، ص٢٩٢.

قال تعالى: ﴿... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ...﴾ [الطَّلاق:٣].

أولاً: معنى التوكل والفرق بين التوكل والتواكل:

المسألة الأولى: التوكل لغةً:

قال ابن منظور في مادة وكل: يقال: "وكل بالله وتوكل عليه واتكل استسلم إليه، ويقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلاناً إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه، ووكل إليه الأمر: سلمه. **المتوكل على الله:** الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده، ولا يتوكل على غيره" (١).

المسألة الثانية: التوكل اصطلاحاً:

قال ابن رجب التوكل: "هو صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وَكِلَةُ الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه. قال سعيد بن جبير: التوكل جماع الإيمان" (٢).

وقال ابن القيم (رحمه الله) التوكل هو "هو اعتماد القلب على الله وحده فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها كما لا ينفعه قوله توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به فتوكل اللسان شيء وتوكل القلب شيء" (٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله) "التوكل هو صدق الاعتماد على الله ﷻ في جلب المنافع ودفع المضار مع فعل الأسباب التي أمر الله تعالى بها" (٤).

ويرى الباحث أنَّ **التوكل:** هو الأخذ بكل الأسباب لنجاح العمل، مع عدم التعلق بها، والتعلق بمسبب الأسباب.

المسألة الثالثة: الفرق بين التوكل والتواكل:

في المسألة السابقة تمَّ بيان معنى التوكل، أمَّا التواكل فعرفه الراغب الأصفهاني فقال: "واكل فلان فلاناً إذا ضيع أمره متكلاً على غيره، وتواكل القوم إذا اتكل كل منهم على الآخر. والعرب تطلق على البليد الجبان كلمة (الوَكِل) أي الذي يكل أمره إلى غيره"(٥).

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، ج٧، ص٧٣٤، الناشر: دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة.

(٢) مختصر جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص١٨٥.

(٣) الفوائد، لابن القيم، ص٩٢.

(٤) سلسلة أعمال القلوب، للمنجد، ص٢١٤، الناشر: دار الفجر، الطبعة الثانية.

(٥) التوكل على الله، لابن أبي الدنيا، ص٣١، الناشر: مكتبة المنار، الطبعة الأولى.

ومن التعريفين يتضح الفارق جلياً بين التوكل والتواكل، فالتوكل أخذ بالأسباب مع الاعتماد على رب الأرباب، وهو مأمورٌ به بالكتاب والسنة، وأصحابه ممدوحين، وأمَّا التواكل فهو ترك الأخذ بالأسباب، وهو من تلبيس إبليس، ولا يفعله إلا جاهل، وأهله مذمومين.

قال الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿... وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ...﴾ [آل عمران:١٥٩] "دلت الآية على أنه ليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه، كما يقوله بعض الجهال، وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافيًا للأمر بالتوكل، بل التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة، ولكن لا يعول بقلبه عليها، بل يعول على عصمة الحق" (١)، وروى ابن أبي الدنيا "أن عمر بن الخطاب ﷺ لقي ناساً من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون. قال: بل أنتم المتكِّلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض، ويتوكل على الله"(٢).

"وروى عبد الله بن الإمام أحمد قال، قلت لأبي: هؤلاء المتوكلون يقولون: نقعد وأرزاقنا على الله فقال الإمام: هذا قول ردئ وخبيث، يقول الله ﷻ: ﴿... إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ...﴾ [الجمعة:٩] "(٣).

وبهذا يتضح الأمر جلياً بالفرق بين التوكل والتواكل، فلتشمر الأُمَّة عن سواعد الاجتهاد، وتري الله من نفسها خيراً، حتى يُكتب لنا النصر.

ثانياً: سبب نزول آية سورة الطلاق: ﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطَّلاق: ٢-٣].

"نزلت الآية في عوف بن مالك الأشجعي، وذلك أن المشركين أسروا ابنا له، فأتى رسول الله ﷺ وشكا إليه الفاقة، وقال: إن العدو أسر بني وجزعت الأم فما تأمرني؟ فقال النبي ﷺ: **"اتق الله واصبر، وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله" فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فقالت: نعم ما أمرنا به، فجعلا يقولان، فغفل العدو عن ابنه، فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاة، فنزلت هذه الآية"** (٤).

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي، ج٩، ص٤١٠، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

(٢) التوكل، لابن أبي الدنيا، ص٤٨، وقد ذكر هذا الأثر الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، ج١، ص ٤٠٥، وذكر في جامع العلوم والحكم، ج٢، ص ١٢٧٨، والحديث إسناده صحيح.

(٣) المرجع السابق، ص٢٨.

(٤) أسباب النزول، للنيسابوري، ج١، ص٤٣٦، قال الذهبي: حديث منكر له شاهد، وقال القرطبي: أكثر المفسرين يقولون: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، وقد أخرجه الحاكم عن ابن مسعود.

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآيات:

لقد ورد موضوع التوكل في القرآن الكريم في سبعين موضعاً، يأمر الله ﷻ فيها عباده بأن يتكلوا عليه ويلتجئوا إليه في أمورهم كلها وأن يبعدوا سواه عن قلوبهم، ومنها الآيات التي ذكرها الباحث، قال الطبري: "أي توكل ربك فيما تأتي من أمورك وتدع، وتحاول أو تزاول، فثق به في كل ذلك، وارض بقضائه في جميعه، دون آراء سائر خلقه ومعونتهم فإن الله يحب المتوكلين وهم الراضون بقضائه، والمستسلمون لحكمه فيهم، وافق ذلك منهم هوى أو خالفه" (١)، وقد أمر الله نبيه بالتوكل عليه في أربع مواضع من كتاب الله، وفي آية المائدة يتبين أنَّ من لا توكل له، لا إيمان له، فالإيمان ينتفي عند انتفاء التوكل، وفي آية سورة يونس أخبر تعالى عن رسله بأن التوكل ملجأهم ومعاذهم (٢). وفي آية سورة الطلاق كنزٌ ثمين للمتوكلين، حيث يخبرهم الله سبحانه أنَّ توكلهم عليه "يكفيهم ما أهمهم" (٣).

رابعاً: فوائد وعظات من الآيات:

* يتبين لنا من الآيات "وجوب التوكل على الله تعالى لتحمل عبء الدعوة إلى الله تعالى والقيام بطاعته" (٤)، فمن لازم التوكل في حياته فقد فاز بالتوفيق، فهو شعار الصالحين، وبه أُمر الأنبياء والمرسلين، وهو يجعل المؤمن قوياً في إيمانه، ثابتاً ضد أعدائه، لأنَّه يعتمد على ركنٍ قوي، قال ابن القيم (رحمه الله): " ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه وكان مأمورا بإزالته لأزاله" (٥).

* "قال الربيع بن خيثم (٦): إن الله تعالى قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه، ومن أقرضه جازاه، ومن وثق به نجاه، ومن دعاه أجاب له. وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿... وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ...﴾ [التغابن:١١]، ﴿... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ...﴾ [الطَّلاق:٣] ، ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ ...﴾ [التغابن:١٧] ، ﴿... وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ

---

(١) جامع البيان، للطبري، ج٧، ص٣٤٦.

(٢) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ص٣٠٠.

(٣) كلمات القرآن تفسير وبيان، لمخلوف، ص ٥٥٨.

(٤) أيسر التفاسير، للجزائري، ج٢، ص٥٠١.

(٥) مدارج السالكين، لابن القيم، ص٥٢.

(٦) هو الربيع بن خيثم مخضرم عن ابن مسعود وأبي أيوب وعمرو بن ميمون وعنه الشعبي وإبراهيم النخعي وأبو بردة قال له ابن مسعود: لو رآك النبي لأحبك، توفي سنة أربع وستين، وكان لا ينام الليل كله رحمه الله تعالى. (خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج١، ص١١٥).

﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١] ، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ...﴾ [البقرة:١٨٦] " (١).

خامساً: منهج رسول الله ﷺ في التوكل على الله:

لقد كان رسول الله ﷺ معلم الأُمَّة في حقيقة التوكل على الله، فقد كان يأخذ بجميع الأسباب الموصلة للنجاح، ثمَّ يعتمد على الله تعالى، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، "قال ابن عباس، حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ» حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً"(٢)، "وعن جابر بن عبد الله ، قال : غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد ، فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاه(٣)، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر قال: فقال رسول الله ﷺ: إن رجلاً أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتا (٤) في يده، فقال لي: من يمنعك مني؟ قال قلت: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال قلت: الله، قال: فشام (٥) السيف فها هو ذا جالس، ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ"(٦). وأمَّا أخذه ﷺ بالأسباب فقد لبس الدرع في الحرب، ووضع المغفر على رأسه، وفي هجرته أخذ دليلاً تعمية للأثر، وخرج في وقت غير متوقع، مع أنّه نبي الله وهو كافيه (٧). ونختم هذا المطلب بما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "فإنَّ التوكل على الله واجبٌ من أعظم الواجبات كما أنَّ الإخلاص لله واجب، وحب الله ورسوله واجب. وقد أمر الله بالتوكل في غير آية أعظم مما أمر بالوضوء وغسل الجنابة، ونهى عن التوكل على غيره سبحانه"(٨).

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج١٨، ص١٦٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ ...﴾، رقم الحديث: ٤٥٦٣.

(٣) العضاة: هي شجرة من شجر الشوك كالطلح (مجمل اللغة، لابن فارس، ج١، ص ٦٧٣).

(٤) الأصلال: هي السيوف القاطعة، والواحد: صل، (تهذيب اللغة، للهروي، ج١٢، ص ٨١).

(٥) فشام السيف: رده في غمده. (المنهاج، شرح مسلم، ج١٥، ص٤٤).

(٦) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب توكله على الله، رقم الحديث: ٨٤٣.

(٧) أعمال القلوب، للمنجد، ص٢٢٢.

(٨) مجموع الفتاوي، لابن تيمية، ج٧، ص١٦.

سادساً: الأخذ بالأسباب المعينة على الثبات:

لا شك أنَّ ترسيخ العقيدة في النَّفس، وتوطينها في العقل، هي أُمنية كل الصادقين، ومبتغى كل المخلصين، لأنَّ العبرة بالخواتيم، وكم من عابدً زلَّت قدماه عند قرب المنزل، ولمَّا كان الثبات غايةً علياً كان لا بد من أخذ الأسباب المعينة عليه، من إعداد وتدريب لصد مكر الظالمين، وترك مواطن الكفر، والعلم بكل خير، فهذا من تمام التوكل على الله العلي الأعلى.

وللباحث هنا ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: العلم:

لا شك أنَّ العلم يزيد رسوخ الإيمان في القلب، والعلماء هم أكثر النَّاس ثباتاً عند الفتن، وما ضلَّ ضال، ولا انتكس منتكس إلا لجهله وقلة علمه، ونقصد بالعلم هنا، علم كل ما يزيد الإيمان، والعمل به، وعلم كل ما يضعف الإيمان والفرار منه، وبهذا يثبت الإيمان في القلب ويستقر. قال الإمام ابن القيم (رحمه الله) عن منزلة العلم: وهذه المنزلة إن لم تصحب السالك من أول قدم يضعه في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليه فسلوكه على غير طريق وهو مقطوع عليه طريق الوصول، مسدود عليه سبل الهدى والفلاح، مغلقة عنه أبوابها. فبالعلم يعرف الله ويعبد، ويذكر ويوحد، ويحمد ويمجد، وبه اهتدى إليه السالكون، وهو إمام، والعمل مأموم، وهو قائد، والعمل تابع. مذكراته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه قربة، وبذله صدقة.

ومن الآيات الدالة على أنَّ العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويزيد في الثبات:

قال تعالى: ﴿ ... **وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران:٧] .

قال تعالى: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾[آل عمران:١٨].

قال تعالى: ﴿ ... **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ... ﴾ [النساء:٨٣] .

قال تعالى: ﴿ ... **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ [فاطر:٢٨] .

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ**﴾ [القصص:٨٠] .

وكثير هي الآيات التي خُتمت بقوله تعالى: ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل:١٢].

أولاً: المعنى الإجمالي لبعض الآيات:

إنَّ في هذه الآيات إشارةٌ واضحة إلى أنَّ أكثر النَّاس علماً، أكثرهم ثباتاً على الإيمان، ففي قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:٧] تخبرنا الآية أنَّ من الناس من يتبع المتشابه من الآيات قاصداً تأويله بالبطل، لكنَّ أصحاب العلم الراسخ يفوضون علمها إلى الله، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٨٣] تُعلم أنَّ الصواب عند نزول الفتن، وكثرة الشائعات ردها إلى أهل العلم فهم سفن النجاة، وفي قصة قارون تعجب الناس من كثرة ماله، وتمنوا لو كانوا مكانه، لكنَّ أصحاب العلم كان لهم شأنٌ آخر، لعلمهم بهوان العاصي على ربه، وأنّ العاقبة للمتقين، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٨] مزيد تكريم لأهل العلم بوصفهم أنَّهم أكثر النَّاس خشية لله، "فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته" (١)، وقد مدح الله أصحاب العقول النيرة، بأنَّهم المنتفعون من الآيات، وأثنى عليهم بأنَّهم أُلو الألباب، وكأنَّ غيرهم لاعقل له.

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿... وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ ...﴾ "إن قيل: لِمَ خص الراسخين بأنهم يقولون آمنا به؟ قيل: لأن معرفة ما للإنسان سبيل إلى معرفته مما لا سبيل له إلى معرفته هو من علوم الراسخين، لأن الحكماء هم الذين يُميّزون بين ما يمكن علمه وما لا يمكن أن يُعلم، وما الذي يُدرك إن طُلب والذي لا يُدرك، وعلى أي غاية يجب أن يقف طالب العلم، وأي مكان يتجاوزه، وهذا أشرف منزلة للحكماء"(٢).

* في قوله تعالى: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ "تقديم وتأخير وحصر، لحصر الخشية بالعلماء كأنه قيل: إن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ج١، ص٦٦٨.

(٢) تفسير الراغب، ج٢، ص٤٢٧.

أما إذا قدمت الفاعل فإن المعنى ينقلب الى أنهم لا يخشون إلا الله وهما معنيان مختلفان كما يبدو للمتأمل" [١].

* في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ "رد العجز على الصدر، فقد رد «العزيز» إلى تفرده بالوحدانية التي تقتضي العزة، ورد «الحكيم» إلى العدل الذي هو القسط، فهو تعالى حكيم لا يتحيفه جور أو انحراف" [٢].

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* قال تعالى: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ أفادت الآية "أنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر"[٣]. وقال الزمخشري: "المراد العلماء به، الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده، وما يجوز عليه وما لا يجوز، فعظموه وقدروه حق قدره، وخشوه حق خشيته، ومن ازداد به علما ازداد منه خوفاً، ومن كان علمه به أقل كان آمن وعن مسروق[٤]: كفى بالمرء علما أن يخشى، وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه. وقال رجل للشعبي: أفتني أيها العالم، فقال: العالم من خشي الله" [٥].

* قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ قال ابن القيم (رحمه الله): "استشهد سبحانه بأولي العلم على اجل مشهود عليه وهو توحيده، وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:

أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

والثاني: اقتران شهادتهم بشهادته.

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، للدرويش، ج٨، ص١٥٢.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص١٧٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٦، ص٥٤٤

(٤) هو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية، الإمام، القدوة، العلم، من كبار التابعين، ومن المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ عن الشعبي، قال: ما علمت أن أحداً كان أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق. ومن أشهر أقواله: لأن أفتي يوماً بعدل وحق، أحب إلي من أن أغزو سنة، شلت يده يوم القادسية، وقال يحيى بن معين: مسروق ثقة، لا يسأل عن مثله. (سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٦٦).

(٥) الكشاف، للزمخشري، ج٣، ص٦١١.

والثالث: اقترانها بشهادة ملائكته.

والرابع: تزكيتهم وتعديلهم فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول.

الخامس: أنه وصفهم بكونهم أولى العلم، وهذا يدل على اختصاصهم به، وأنهم أهله وأصحابه.

السادس: أنه سبحانه استشهد بنفسه وهو أجل شاهد ثم بخيار خلقه وهم ملائكته والعلماء من عباده ويكفيهم بهذا فضلاً وشرفاً.

السابع: أنه استشهد بهم على أجل مشهود به وأعظمه وأكبره وهو شهادة أن لا إله إلا الله.

الثامن: أنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهنيه.

التاسع: في تفضيل العلم وأهله أنه سبحانه نفي التسوية بين أهله وبين غيرهم كما نفى التسوية بين أصحاب الجنة وأصحاب النار.

العاشر: أنه سبحانه جعل أهل الجهل بمنزلة العميان الذين لا يبصرون" (١).

وقد ذكر ابن القيم (رحمه الله) عند تفسيره لآية الشهادة، مائة وسته وثلاثون وجهاً على فضل العلم وأهله.

المسألة الثانية: الهجرة وترك مواطن الكفر:

لا شك أنَّ موطن الإنسان الأصلي له حنينٌ في القلب، وشوقٌ في النفس، فهو دار الآباء والأجداد، وكل شيء فيه جميل، والنفس إليه تميل، ولمَّا كان المقصد الأساسي من استخلاف الإنسان في الأرض هو عبادة الله وحده، كان الدين أغلى من الأرض، وكان الثبات أولى من البلاد، لذا فمن الأسباب التي ترسخ العقيدة في القلب، وتزيد الإيمان، ترك البلاد التي يُعصى فيها الله، والهجرة إلى البلاد التي يُعبد فيها الله، ومن الآيات الدالة على ذلك:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:٩٧].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:١٠٠].

قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت:٢٦].

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ج١، ص ٤٨،٤٩.

أولاً: أسباب النزول:

١- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:٩٧] عن ابن عباس قال كان قوم بمكة قد أسلموا فلما هاجر رسول الله ﷺ كرهوا أن يهاجروا وخافوا فأنزل الله الآية.

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:١٠٠] عن ابن عباس قال خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجراً فقال لأهله احملوني فأخرجوني من أرض المشركين إلى رسول الله ﷺ فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ فأنزل الله الآية [(١)].

ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات:

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:٩٧] تبين لنا وجوب الهجرة من البلاد التي لا يستطيع الإنسان أن يعبد الله فيها، وأنَّ مُكوثه فيها لا يكون عذراً لصاحبه بعدم الإيمان، فإذا جاءت الملائكة تقبض أرواحهم وهم مكسبي أنفسهم غضبَ الله وسخطه. قالت الملائكة لهم: في أيِّ شيء كنتم من دينكم قالوا كان يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم، فيمنعونا من الإيمان بالله، واتباع رسوله ﷺ، وهي معذرةٌ ضعيفةٌ وحُجَّة واهية، فتقول لهم الملائكة ألم تكن أرض الله واسعةٌ فتخرجوا من أرضكم ودوركم، وتفارقوا من يمنعكم بها من الإيمان بالله واتباع رسوله ﷺ، إلى الأرض التي يمنعكم أهلها من سلطان أهل الشرك بالله، فتوحّدوا الله فيها وتعبدوه، وتتبعوا نبيَّه، ثمَّ أخبر سبحانه أنَّ مصيرهم في جهنم وهي مسكنهم [(٢)]. وقد أخبر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:١٠٠] بعظيم أجر من ترك بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، فراراً بدينه، ثمَّ سبقه الموت، قبل وصوله، وفي ذلك من الترغيب في الهجرة بما لا يخفى.

---

(١) انظر: لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص٦٨، قال الألباني: صحيح (السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (٣٢١٨).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري، ج٩، ص١٠٠،١٠١.

ومن قوله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت:٢٦] يتضح أنَّ الهجرة من بلاد الكفر والشرك، هي سنَّة الأنبياء (عليهم السلام) حيث يقول تعالى مخبراً عن إبراهيم ﷺ أنَّه آمن له لوط ﷺ، ويقال إنه ابن أخيه وهاجر معه إلى بلاد الشام، ثم أُرسل في حياة الخليل إلى أهل سدوم وإقليمها، ﴿...وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ...﴾ يحتمل عود الضمير في قوله: ﴿وَقَالَ﴾ على لوط، لأنه أقرب المذكورين، ويحتمل عوده إلى إبراهيم (عليهما السلام)، ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم، ابتغاء إظهار الدين والتمكن من ذلك (١).

ثالثاً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ "للتوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين، حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا"(٢).

* في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ "هذه مبالغة في ثبوت الأجر ولزومه، ووصول الثواب إليه فضلاً من الله وتكريماً، وعبر عن ذلك بالوقوع مبالغة" (٣).

* في قوله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ذكر ابن عاشور عدة فوائد لغوية منها:

"﴿فَآمَنَ﴾ أفادت الفاء مبادرة لوط بتصديق إبراهيم، والاقتصار على ذكر لوط يدل على أنه لم يؤمن به إلا لوط؛ لأنه الرجل الفرد الذي آمن به.

﴿مُهَاجِرٌ﴾ المهاجرة مفاعلة من الهجر، وهو ترك شيء كان ملازماً له، والمفاعلة للمبالغة أو لأن الذي يهجر قومه، يكونون هم قد هجروه أيضاً.

﴿إِلَى رَبِّي﴾ إلى ربي للانتهاء المجازي إذ جعل هجرته إلى الأرض التي أمره الله بأن يهاجر إليها كأنها هجرة إلى ذات الله تعالى فتكون إلى تخييلاً لاستعارة مكنية، أو جعل هجرته من المكان الذي لا يعبد أهله الله لطلب مكان ليس فيه مشركون بالله كأنه هجرة إلى الله" (٤).

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٦، ص ٣٧٢،٣٧٣.

(٢) الكشاف، للزمخشري، ج١، ص٥٥٥.

(٣) البحر المحيط، لأبي حيان، ج٤، ص٤٤.

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٢٠، ص٢٣٨ ،٢٧٣.

رابعاً: فوائد وعظات من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ...﴾ "دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب، لبعض الأسباب والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر، أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة حقت عليه المهاجرة" (١).

* في قوله تعالى: ﴿... وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ ...﴾ [النساء:١٠٠] "قالوا: كل هجرة لغرض ديني من طلب علم، أو حج، أو جهاد، أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة، وزهداً في الدنيا، أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة إلى الله ورسوله، وإن أدركه الموت في طريقه، فأجره واقع على الله" (٢).

* يقول سيد قطب رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ انظر فيم هاجر، إنه لم يهاجر للنجاة، ولم يهاجر إلى أرض أو كسب أو تجارة، إنما هاجر إلى ربه متقرباً له ملتجئاً إلى حماه، هاجر إليه بقلبه وعقيدته قبل أن يهاجر بلحمه ودمه، هاجر إليه ليخلص له عبادته بعيداً عن موطن الكفر والضلال، بعد أن لم يبق رجاء في أن يفيء القوم إلى الهدى والإيمان بحال. وعوض الله إبراهيم عن وطنه، وعن قومه، وعن أهله عوضه عن هذا كله ذرية تمضي فيها رسالة الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكل الأنبياء وكل الدعوات بعده كانت في ذريته، وهو عوض ضخم في الدنيا وفي الآخرة (٣)، فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

خامساً: رسول الله ﷺ والهجرة:

لقد كان رسول الله ﷺ حريصاً كل الحرص، على المحافظة على من أسلم من أهل مكة، لذا لمَّا زاد تعذيب أهل مكة للمسلمين، رأى رسول الله ﷺ أنَّ البقاء بين براثن الشرك حتى يتمكن الشرك من إبادة المسلمين عملية خرقاء، ومن أجل هذا نرى سيد القادة محمداً (عليه الصلاة والسلام) يبحث في الأرض كلها عن مكان آمن، ولا تستطيع يد الشرك أن تطاله، وكان هذا المكان هو أرض الحبشة (٤)، فقد جاء في السيرة: فلما رأى رسول الله ﷺ أصحابه وما يصيبهم من البلاء والشدة، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم من قومهم، وأنه ليس في قومهم من يمنعهم كما منعه عمه

---

(١) الكشاف، للزمخشري، ج١، ص٥٥٥.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٥٥٧.

(٣) في ظلال القرآن، ج٥، ص٢٧٣٢.

(٤) انظر: المنهج الحركي للسيرة، للغضبان، ص٤٨، الناشر: دار الوفاء المنصورة، الطبعة العاشرة.

أبو طالب، أمرهم بالهجرة إلى أرض الحبشة، وقال لهم: "إن بها ملكاً لا يظلم الناس ببلاده في أرض صدق فتحرزوا عنده يأتيكم الله ﷻ بفرج منه" فهاجر رجال من أصحابه إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفروا إلى الله ﷻ بدينهم (١). وفي رجب سنة خمس من النبوة هاجر أول فوج من الصحابة إلى الحبشة، كان مكوناً من اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، رئيسهم عثمان بن عفان، ثمَّ قد بلغهم أن قريشاً أسلمت، فرجعوا إلى مكة في شوال من نفس السنة، فلما كانوا دونه مكة ساعة من نهار، وعرفوا جلية الأمر، رجع منهم من رجع إلى الحبشة، ولم يدخل في مكة من سائرهم أحد إلا مستخفياً، أو في جوار رجل من قريش، ثم اشتد عليهم وعلى المسلمين البلاء والعذاب من قريش ولم ير رسول الله ﷺ بداً من أن يشير على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى، فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلاً، وثمان عشرة أو تسعة عشرة امرأة(٢).

"ولمَّا ماتت خديجة (رضي الله عنها) ومات أبو طالب، وكان بينهما ثلاثة أيام، فاشتد البلاء على رسول الله ﷺ من سفهاء قومه، وأقدموا عليه، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف لكي يؤووه وينصروه على قومه، ويمنعوه منهم، ودعاهم إلى الله ﷻ، فلم يجيبوه إلى شيء من الذي طلب، وآذوه أذى عظيماً، لم ينل قومه منه أكثر مما نالوا منه" (٣)، وبعد كل هذا العناء والألم الذي تحمله الرسول ﷺ والصحابة الأوائل الذين نصر الله بهم دينه، وبعد أن جهدت قريش في أن يحبسوا الدعوة في مكة ثلاثة عشر عاماً فلم يؤمن بها إلا القليل، بعد كل هذا أذن الرسول ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى المدينة، فجعلوا يتسللون مهاجرين إليها واحداً بعد واحد، وجماعة إثر جماعة، تاركين وراءهم المال والمتاع والأهل والعشيرة، ثمَّ انتظر رسول الله ﷺ حتى أذن الله له بالهجرة، فانطلق مصطحباً معه الصديق رضي الله عنه(٤).

ونختم هذا المطلب وهو الهجرة وترك مواطن الكفر بما يلي:

* إنَّ أغلى ما يملكه الإنسان هو دينه، فهو أغلى من لحمه وعظمه، بل هو الغاية التي من أجلها خُلق الإنسان، لذا فمن الواجب على كل مسلمٍ أن يحافظ على دينه، مهما كان الثمن، فكل الدنيا تهون في مقابل سلامة الدين، وعليه أن يتخير الموطن الأفضل لطاعة ربه سبحانه، ولنا في الأنبياء (عليهم السلام) قدوةً حسنة، فقد هاجر إبراهيم ولوط (عليهما السلام) وهاجر رسولنا

---

(١) انظر: السير والمغازي، لابن اسحاق، ج١، ص١٧٤.

(٢) انظر: الرحيق المختوم، للمباركفوري، ص٦٠،٦١.

(٣) الفصول في السيرة، لابن كثير، ج١، ص١٠٥، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثالثة.

(٤) سيدنا محمَّد رسول الله، لمحمد العليم، ص١٣٩، الناشر: شركة الشمرلي.

الحبيب ﷺ من أحب البلاد إليه، وخرج موسى ﵇ من مصر إلى فلسطين، ليُنجي بني إسرائيل من بطش فرعون، وهذا حال الصالحين في كل الأزمان، فالفتية في قصة الكهف فروا بدينهم من الملك الظالم.

* أنَّ ممَّا يُدمي القلب، ويُبكي العين، على حال الأُمَّة اليوم، أنَّ كثيراً من شباب المسلمين، يسعون جاهدين للهجرة من بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر، والتي لا يأمن الإنسان فيها على دينه، فلنغرس في قلوب شبابنا حب الدين، ولنزرع فيهم عزة المؤمن، الذي ينظر بعين التفاؤل، وساعد الجد والاجتهاد، إلى يومٍ قريبٍ ينتصر فيه الإسلام، ويُعز أهله، وينتشر الإسلام في ربوع الأرض.

المسألة الثالثة: الإعداد والتدريب:

لأنَّ أهل الكفر يسخرون كل إمكاناتهم لتزين الباطل في وجوه الناس، وتشويه الحق في عيونهم، ولأنَّهم يمكرون بالإسلام وأهله، ويحركون جيوش الباطل في كل بقعةٍ يشمون منها رائحة الصحوة الإسلامية، وكما أنَّ الهدف الأعلى الذي يقصده الكفار من قتال المسلمين، هو صدِّهم عن دين الله ﷻ، لذا فقد كان واجبٌ على المسلمين وحتى يرسخوا العقيدة في نفوسهم، ويحموا بيضة الإسلام، كان عليهم أن يعدو العدة جيداً، لدحض أساليبهم، وكشف زيفهم، وتدريب شبابهم وإعدادهم خير إعداد، ليكون الجندي المسلم هو أقوى جندي عرفه التاريخ، كيف لا وهو يستمد قوته من قوة إيمانه، وصلته بربه، ومن الآيات التي دلت على وجوب الإعداد لحماية الإسلام وأهله:

قال تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ** ... ﴾ [الأنفال:٦٠].

قال تعالى: ﴿ ... **وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [الحج:٤٠].

أولاً: المعنى الإجمالي للآيات:

قال ابن جرير (رحمه الله) "إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوّون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين، من السلاح والرمي وغير ذلك، ورباط الخيل" (١)، وعن عقبة بن عامر الجهني قال: قرأ رسول الله ﷺ على المنبر: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ**﴾ فقال: "ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة، الرمي، ألا إن القوة الرمي" (٢)، ومن المعلوم

---

(١) جامع البيان، للطبري، ج١٤، ص٣٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي، رقم الحديث: ١٩١٨.

أنَّ الجهاد واجب وما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب، لذا فمن الواجب على الأمة أن تعدَّ وتستعدَّ لقتال أعداء الله، وقال ابن النحاس في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠] "أخبر الله تعالى أنه لولا دفعه المشركين بالمؤمنين، ولولا تسليط المؤمنين على المشركين، لدفعهم عن الإسلام، وكسر شوكتهم وتفريق جمعهم، لولا ذلك لغلب الشرك على الأرض، وارتفع الدين الحق عنها، ويثبت بهذا أن سبب بقاء الدين، وتمكين أهله من العبادة، هو الجهاد" (١).

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآيات:

في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ قال القرطبي: "فإن قيل: إن قوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ كان يكفي، فلم خص الرمي والخيل بالذكر؟ قيل له: إن الخيل لما كانت أصل الحروب وأوزارها التي عقد الخير في نواصيها، وهي أقوى القوة وأشد العدة وحصون الفرسان، وبها يجال في الميدان، خصها بالذكر تشريفاً، وأقسم بغبارها تكريماً.

فقال: ﴿وَالعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾، ولما كانت السهام من أنجع ما يتعاطى في الحروب والنكاية في العدو وأقربها تناولاً للأرواح، خصها رسول الله ﷺ بالذكر لها والتنبيه عليها" (٢).

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* قال القرطبي (رحمه الله): "أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكد تقدمة التقوى. فإن الله سبحانه لو شاء لهزمهم بالكلام والتفل في وجوههم وبحفنة من تراب، كما فعل رسول الله ﷺ ولكنه أراد أن يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ" (٣).

* في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ "جاءت قضية عامة لكل الناس، فلم يخصْ طائفة دون أخرى، فلم يَقُلْ مثلاً: لولا دَفْع الله الكافرين بالمؤمنين، إنما قال مُطلَق الناس؛ لأنها قضية عامة يستوي فيها الجميع، كذلك جاءت كلمة **(بعض)** عامة؛ لتدل على أن كلاً الطرفين صالح أن يكون مدفوعاً مرة، ومدفوعاً عنه أخرى، فَهُمْ لبعض بالمرصاد: مَنْ أفسد

---

(١) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، لابن النحاس، ص٢٩، الناشر: دار العلوم، الطبعة الأولى.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج٨، ص٣٧.

(٣) المرجع السابق، ج٨، ص٣٥.

يتصدى له الآخر لِيُوقِفه عند حَدِّه، فليس المراد أن طائفة تدفع طائفة على طول الخط" (١).

* لقد حث الإسلام على الجهاد في سبيل الله ورغب فيه أكثر ترغيب، وجعل لأهله من الأجور ما لا يدركه غيرهم، وممَّا يدلل على أهمية الجهاد لصلاح المسلمين، أنَّ كلمة (المسلمون) ومشتقاتها ذكرت في القرآن الكريم (٤١ مرة) وبنفس العدد تكرر ذكر كلمة (الجهاد) ومشتقاتها، وهذا رسول الله ﷺ الذي كان قرآناً يمشي على الأرض، كان أشجع الفرسان وأقواهم قلباً، وأثبتهم جناناً، رجل الرجال، وبطل الأبطال، قائد السادات، وسيد القادات، غزواته كلها وبعوثه وسراياه كانت بعد الهجرة في مدة عشر سنين، سبع وعشرون غزوة، وستين سرية، كان له تسعة أسياف، وسبعة أدرع، وخمسة رماح، وراية سوداء يقال لها العُقاب (٢) .

* لقد عشق أصحاب رسول الله ﷺ الجهاد، وتشربوا محبته، مقتدين بذلك بسيد الخلق الذي تمنَّى الشهادة في سبيل الله، واصفاً الجهاد بأنَّه سياحة هذه الأمَّة، وهو رهبانيتها، ففتح الله على أيديهم البلاد، وحرروا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب الأرباب، فعاشوا أعزاء، وغادروا من الدنيا كرماء، فلتستيقظ الأُمَّة من غفلتها، ولتقوم الجيوش من نومها، وليزيلوا عن قلوبهم ما أصابها من نفاق، وليمسحوا عن أسلحتهم غبار الذل، وما أضعف الباطل إذا استأسد الحق، وما أجبن الكافر إذا كبر المسلم.

* نختم هذا المطلب بدُرةً من الدرر الغالية، التي تحث على الجهاد، من عالمٍ عاملٍ مجاهد.

روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك: أنَّ عبد الله بن المبارك كتب هذه الأبيات وأرسلها مع رجل إلى الفضيل بن عياض في سنة سبع وسبعين ومائة. قال:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولهم يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... رَهَج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الليل في ... أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

---

(١) تفسير الشعراوي، ج١٦، ص٩٨٣٨.

(٢) انظر: فرسان النهار، للعفاني، ج٢، ص٢١،٢٢، الناشر: دار ماجد، جدة، الطبعة الأولى.

قال: فلقيت الفضيل بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأه ذرفت عيناه فقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصحني" (١)، (٢).

المطلب التاسع

المؤيدات الربانية

وبعد أن يستكمل المؤمن كل الأسباب في ترسيخ الإيمان في قلبه، وزرع العقيدة في نفسه، ويتوكل على ربه حق التوكل، جاعلاً القرآن سائقه في كل صغيرةٍ وكبيرة، يؤيده الله ويوفقه ويعينه على الثبات، فلا تفتنه نساء الأرض ولو اجتمع جمالهنَّ في واحدة، ولا تغريه كل الأموال ولو كانت ككنوز قارون، ولا يهزمه عدو ولو كانت جيوش الكفر مجتمعة، لأنَّه حينها مؤيدٌ من ربه، وإذا علم المؤمن أنَّه مؤيد من ربه، ومعية الله تصاحبه، فهذا يرسخ العقيدة ويقويها، والآيات في هذا الباب كثيرة، والأحداث من السيرة غفيرة، والقصص من واقعنا الحديث غزيرة، وسيقتصر الباحث على بعضها ممَّا يوصل إلى المقصود، فمن الآيات الدالة على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٥].

قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آَمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:١٢] .

أولاً: سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آَمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:١٢].

"عن عمر بن الخطاب قال نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فاستقبل القبلة، ثم مد يديه، وجعل يهتف بربه: اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداؤه وألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال:

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لابن عبد الوهاب، ج١، ص٣٨٢، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، مصر، الطبعة السابعة.

(٢) روى البخاري حديث سؤال الرجل هذا عن أبي هريرة. وفيه: فقال أبو هريرة: "فإن فرس المجاهد ليستن يمرح في طوله فيكتب له حسنات". والطول: الحبل. والاستنان: العدو. وروى مسلم مثله قريباً منه في فضل الجهاد في سبيل الله.

يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك" (١)، فأنزل الله الآيات من سورة الأنفال.

ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات:

إنَّ هاتين الآيتين تحدثنا عن معية الله ﷻ لعباده المؤمنين، الذين أخذو بالأسباب، وتوكلوا على خالق العباد، فكافأهم الله جل في علاه، بأن ثبت قلوبهم، وطمأن نفوسهم، وقوى عزائمهم، وسير جيش الرعب على قلوب عدوهم، فغزاهم الجبن قبل أن يغزوهم جند الموحدين، وقطع الخوف معنوياتهم قبل أن تقطع سيوف المسلمين رقابهم، بل أوحى الله إلى جنده من أهل السماء أن أغيثوا جندي من أهل الأرض، فكُتب لهم النصر وهم القلة، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، "عن ابن عباس قال: نزل النبي ﷺ حين سار إلى بدر والمسلمون بينهم وبين الماء رملة وعصمة فأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ، يوسوس بينهم: تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون مجنبين! فأمطر الله عليهم مطرا شديدا، فشرب المسلمون وتطهروا، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان، وانشف الرمل حين أصابه المطر ومشى الناس عليه والدواب، فساروا إلى القوم وأمد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة، فكان جبريل في خمسمائة مجنبة، وميكائيل في خمسمائة مجنبة" (٢).

ثالثاً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿... أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ ...﴾ " الاستفهام إنكاري، أي: ينكر عدم الكفاية، ومعنى يكفيكم يسد حاجتكم. وذهب البعض إلى أن الاستفهام هنا: تقريري؛ لأنه مجاب ببلى، وجائز أن يكون للاستفهام معنيان في آن واحد لدلالة اللفظ عليهما معاً، فتأمل!!" (٣).

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* "قد جاء في سورة الأنفال عند ذكره وقعة بدر أن الله وعدهم بمدد من الملائكة عدده ألف بقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩] ، وذكر هنا أن الله وعدهم بثلاثة آلاف ثم صيرهم إلى خمسة آلاف، ووجه الجمع بين الآيتين: أن الله وعدهم بثلاثة آلاف، ثم صيرهم إلى خمسة آلاف، ووجه الجمع بين الآيتين أن الله وعدهم بألف من الملائكة، وأطمعهم بالزيادة بقوله: مردفين، أي مردفين بعدد آخر، ودل كلامه هنا على أنهم

(١) لباب النقول، للسيوطي، ج١، ص٩٥، صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة، رقم الحديث (١٧٦٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٤، ص٢٣، جامع البيان، للطبري، ج١١، ص ٦٤.

(٣) أيسر التفاسير، للجزائري، ج١، ص٣٧١.

لم يزالوا وجلين من كثرة عدد العدو، فقال لهم النبي ﷺ: ﴿... أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ أراد الله بذلك زيادة تثبيتهم، ثم زادهم ألفين إن صبروا واتقوا، وبهذا الوجه فسر الجمهور، وهو الذي يقتضيه السياق، وقد ثبت أن الملائكة نزلوا يوم بدر لنصرة المؤمنين، وشاهد بعض الصحابة طائفة منهم، وبعضهم شهد آثار قتلهم رجالاً من المشركين" [(١)].

* "إذا ألقى الله ﷻ الرعب والخوف في قلوب العدو مهما كان عَدَدُه ومهما كانت عُدَدُه، فسيترك هذا العدو كل ما معه ويفر من حالة الرعب والفزع، وقد فعل بعض من الكفار ذلك" [(٢)]، وهذا السلاح ممَّا تميزت به الأمَّة المحمدية فعن علي بن أبي طالب، قال رسول الله ﷺ: "أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء" فقلنا: يا رسول الله، ما هو قال؟: "نصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعل التراب لي طهوراً، وجعلت أمتي خير الأمم" [(٣)].

* عند النظر في سيرة خير البشر ﷺ نجد أنَّ توفيق الله ﷻ لم يفارقه، بل كان محفوظاً برعاية الله، تصاحبه المؤيدات الربانية في حله وترحاله، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا...﴾ [الطُّور:٤٨] ، قال الطبري: "يا محمد اصبر على الذي حكم ربك به عليك، وامض لأمره ونهيه، وبلغ رسالاته، فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين" [(٤)]، وذلك لأنَّه ﷺ كان كامل التوكل على ربه، وعلى قدر توكل الإنسان على ربه وثقته به، يكن عون الله له، ويكفي النظر إلى هجرة الحبيب ﷺ من مكة إلى المدينة، حيث أعمى الله أبصار الكفار عن رؤيته وصاحبه، وتوقفت خيل سراقة.

* وحتى لا يظن أحد أنَّ هذه المؤيدات خاصةٌ بالرسول ﷺ، سيذكر الباحث قصتين واحدة في عصر الصحابة، وواحدة من واقعنا المعاصر، تدلل أنَّ العبد إذا استفذ الأسباب، وتوكل على رب الأرباب، أيده الله بجندٍ من عنده، وحفظه من حيث لا يحتسب.

القصة الأولى:

لمَّا كان المسلمون في بلاد فارس يفتحون البلاد، لا يُوقفهم أحد، فهم كالسيل العرمرم، اعترضهم نهر عريض طافح بالماء، وما كان أمامهم من حيلة، فجمع سعد بن أبي وقاص النَّاس

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٤، ص٧٣.

(٢) تفسير الشعراوي، ج٨، ص٤٦٠١.

(٣) مسند أحمد، ج٢، ص١٥٦، رقم الحديث:٧٦٢. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٤) جامع البيان، للطبري، ج٢٢، ص٤٨٨.

فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس إن عدوكم قد استعصم منكم بهذه السفن، وكسرى قد عول على الهرب بأمواله ورجاله، وإني قد عولت على العبور إن شاء الله تعالى، واعلموا أنه ليس وراءكم من تخافونه؛ لأن الله قد ملككم معاقلهم وبلادهم، وقد رأيت من الرأي أن نقطع هذا البحر إليهم ونقدم عليهم، فما أنتم قائلون فقالوا جميعاً: قوى الله عزمك على الرشد فافعل، فانتدب ستمائة من أهل النجدات، فعبروا النهر، وعبر سعد وجيشه بعدهم، ففاجئوا أهل فارس بأمرٍ لم يكن في حسابهم، وتمَّ النصر للمسلمين، وفُتح البيت الأبيض والمدائن عاصمة كسرى (١). وعند الطبري "وكان الذي يساير سعداً في الماء سلمان الفارسي فعامت بهم الخيل، وسعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل! والله لينصرن الله وليه، وليظهرن الله دينه، وليهزمن الله عدوه، إن لم يكن في الجيش بغي، أو ذنوب تغلب الحسنات، فقال له سلمان: الإسلام جديد، ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجاً كما دخلوه أفواجاً فطبقوا الماء حتى ما يرى الماء من الشاطئ، ولهم فيه أكثر حديثاً منهم في البر لو كانوا فيه، فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيئاً، ولم يغرق منهم أحد" (٢).

القصة الثانية:

"ذكر الشيخ عبد الله عزام في كتابه آيات الرحمن في جهاد الأفغان يقول: حدثني أرسلان قال: هاجمتنا الدبابات السوفيتية، وكان عددها مائة وعشرون دبابة، ومعهم سيارات كثيرة، ونفدت ذخيرتنا حتى تأكدنا من الأسر فلجأنا إلى الله بالدعاء، وبعد قليل إذا بالرشاشات تفتح على الشيوعيين ولم يكن بالمنطقة أحد غيرنا، فقلنا إنَّها الملائكة" (٣).

المطلب العاشر

زاد الثابتين على الحق

لا شك أنَّ الثبات على دين الله ﷻ، والاستقامة على طاعته جل في علاه، والاستمرار في السير إلى جنَّته، من دون نكوصٍ هو غاية ما يتمنَّى العبد في حياته، وتمام النعمة الموت على الإسلام، ولمَّا كان الأعداء كثر، ومن يتربصون بالمسلمين جمعٌ غفير، كان على المسلم أن يتزود في طريقه إلى ربه ما يؤمن له الوصول السليم.

---

(١) فتوح الشام، للواقدي، ج٢، ص١٨٥، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، للطبري، ج٤، ص١١، الناشر: دار التراث بيروت، الطبعة الثالثة.

(٣) ولكن كونوا ربانين، ص٣٩، الناشر: دار طيبة، الطبعة الأولى.

وفي هذا المطلب خمس مسائل:

المسألة الأولى: معرفة حقيقة الدنيا:

إذا عرف العبد أنَّ هذه الدنيا ليست له محل، ولا هي المستقر، وأنَّه في الدنيا عابر سبيل، وأنَّها دار اختبار، ليبلونا ربنا أينا أحسن عملاً، وأنَّها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولو ساوت لما سقى منها كافرٌ شربة ماء، وما رضيها الله لأحب الخلق إليه، فقد عاش ﷺ مسكيناً ومات مسكيناً، وتمنَّى أن يحشر في زمرة المساكين، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: أحب المساكين، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه: "**اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين**" [١]، وأنَّ الغاية من وجوده عبادة الله وحده، وعمارة الأرض بطاعته، فإذا أدرك العبد هذا رسخ الإيمان في قلبه واستقر، لأنَّه ما انتكس منتكس إلا لتعلقه في حبال الدنيا المذمومة. قال الإمام الغزالي (رحمه الله) "الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها، ودعوتهم إلى الآخرة، بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولم يبعثوا إلا لذلك" [٢].

ومن الآيات التي عرفت الدنيا على أوضح صورة:

﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ [الحديد:٢٠].

أولاً: المعنى الإجمالي للآية:

يقول تعالى موهنا أمر الحياة الدنيا ومحقرا لها: إنما حاصل أمرها عند أهلها أنَّها لعب ولهو، ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فهي كالمطر الذي يأتي بعد قنوط الناس، فيُعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث، وكما يُعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها، ثم يهيج ذلك الزرع فتراه مصفراً بعد ما كان خضراً نضراً، ثم يصير يبساً متحطماً، هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزاً شوهاء، والإنسان كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضاً طرياً لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه وينفد بعض قواه، ثم يكبر فيصير

(١) سنن ابن ماجة، باب مجالسة الفقراء، رقم الحديث (٤١٢٦)، قال الألباني: صحيح.

(٢) مكاشفة القلوب، للغزالي، ص١٢٩، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى.

شيخاً كبيراً، ضعيف القوى، قليل الحركة، ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير، وأنَّه ليس للإنسان في الآخرة، إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان (١).

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآية:

* في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ استعارة تمثيلية، فهو تمثيل للحياة الدنيا في سرعة انقضائها وقلّة جدواها بحال نبات أنبته الغيث فاستوى، وأعجب به الحراث، أو الكافرون على خلاف بين المفسرين؛ لأن هؤلاء وأولئك أشدّ إعجاباً بزينة الحياة الدنيا.

* في قوله تعالى: ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ﴾ الطباق بين العذاب والمغفرة، ولكنه طباق بين واحد وشيئين، فهو من باب لن يغلب عسر يسرين(٢).

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* "الحياة الدنيا معرّضة للزوال، غير ثابتة ولا ماكثة، وهي في الحال شاغلة عن الله، مطمعة وغير مشبعة، وتجرى على غير سنن الاستقامة كجريان لعب الصبيان، فهي تلهي عن الصواب واستبصار الحقّ، وهي تفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد" (٣).

* حذرت الآية من الاغترار بالدنيا، والانزلاق خلف شهواتها، وقد حذر النبي ﷺ من الركون إلى الدنيا، وزهد أُمته فيها، روى الترمذي أنَّ النبي ﷺ مرَّ على سخلة ميتة، فقال: "أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها "قالوا من هوانها ألقوها يا رسول الله. قال: "فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها" (٤).

* "عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور إن ألهتك عن طلب الآخرة، فأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة" (٥)، "وقد أوصى لقمان الحكيم ابنه قائلاً: يا بني، إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيه ناس كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ﷻ، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله ﷻ، لعلك تنجو" (٦).

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٨، ص٢٤.

(٢) إعراب القرآن وبيانه، للدرويش، ج٩، ص٤٧٠.

(٣) لطائف الإشارات، للقشيري، ج٣، ص٥٤١.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا، رقم الحديث:٢٣٢١. قال الألباني: صحيح.

(٥) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ج٨، ص٢١١.

(٦) مكاشفة القلوب، للغزالي، ص١٣٧.

* نختم هذه المسألة من زاد الثابتين، بمعرفة حقيقة الدنيا وهوانها عند رب العالمين، وما يثمر ذلك من الثبات على الدين، بدرةٍ من درر ابن القيم (رحمه الله) حيث قال:

الدنيا لا تساوي نقل أقدامك إليها، فكيف تعدو خلفها؟ الدنيا جيفة والأسد لا يقع على الجيف (١).

المسألة الثانية: استشعار ثواب الثابتين:

"فالجنة بلاد الأفراح، وسلوة الأحزان، ومحط رحال المؤمنين، والنفس مفطورة على عدم التضحية والعمل والثبات إلا بمقابل يهوّن عليها الصعاب، ويذلل لها ما في الطريق من عقبات ومشاق، فالذي يعلم الأجر تهون عليه مشقة العمل، وهو يسير ويعلم بأنه إذا لم يثبت فستفوته جنة عرضها السموات والأرض، ثم إنَّ النفس تحتاج إلى ما يرفعها من الطين الأرضي ويجذبها إلى العالم العلوي" (٢).

ومن الآيات التي بشرت الثابتين بعظيم الأجر والثواب:

قال تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ...**﴾ [البقرة:٢٥] .

قال تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ ...**﴾ [إبراهيم:٢٧] .

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصِّلت:٣٠] .

أولاً: المعنى الإجمالي لبعض الآيات:

إنَّ هذه الآيات تحمل البشرى لعباد الله المؤمنين، الذين قهروا أنفسهم باتباع الحق، وألجموا جماح شهواتهم، وعملوا الصالحات، وما نطقوا إلا بالطيبات، فكانت حياتهم لله، يبشرهم ربهم بنعيمٍ مقيم، في جنَّاتٍ تجري فيها الأنهار، ففي قول الله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ ...**﴾ [إبراهيم:٢٧] تأتيهم بشرى عاجلة بأنَّ الله "يثبت الذين آمنوا بالقول الحق الراسخ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وما جاء به من الدين الحق يثبتهم الله به في الحياة الدنيا، وعند مماتهم بالخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين بهدايتهم إلى

---

(١) الفوائد، لابن القيم، ص٥٢.

(٢) من روائع المنجد، ص١٦.

الجواب الصحيح" (١)، وفي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصّلت:٣٠] مشهدٌ يجعل المسلم دائم الطاعة في كل الأوقات، ففي تلك اللحظة الحرجة، وعند انتقال الإنسان من دار الدنيا إلى دار الخلود، تأتي البشرى من الملائكة قائلين لهم: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾، "ولذلك يرى الميت الصالح ضاحكاً عند موته مستبشراً وقيل: هذه البشرى في مواطن ثلاثة: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث" (٢).

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ ثُمَّ لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة، وفضلها عليه، لأنّ الاستقامة لها الشأن كله، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ والمعنى: ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته (٣).

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* جاء في معنى الاستقامة أقوال عديدة منها:

سئل أبو بكر الصديق ﷺ عن الاستقامة فقال: أن لا تشرك بالله شيئاً، وقال عمر بن الخطاب ﷺ الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب. وقال عثمان ﷺ استقاموا أخلصوا في العمل، وقال علي بن أبي طالب ﷺ أدوا الفرائض، وهو قول ابن عباس ﷺ وقيل :استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته، واجتنبوا معاصيه، وقيل: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله. وكان الحسن إذا تلا هذه الآية قال: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة(٤)، والظاهر أنّ الاستقامة تشتمل على هذه المعاني جميعها من اتباع أمر الله، والانتهاء عن ما نهى الله، وأداء الفرائض، واجتناب المعاصي.

* كان النبي ﷺ يستخدم ذكر الجنة في تثبيت أصحابه، عن عثمان بن عفان قال: لقيت رسول الله ﷺ بالبطحاء، فأخذ بيدي فانطلقت معه، فمر بعمار، وأم عمار وهم يعذبون، "فقال: صبراً آل ياسر، فإن مصيركم إلى الجنة" (٥)، وكذلك كان يقول للأنصار: "إنكم ستلقون بعدي

---

(١) التفسير الميسر، ص ٢٥٩.

(٢) أوضح التفاسير، للخطيب، ج١، ص٥٨٦.

(٣) الكشاف، للزمخشري، ج٤، ص١٩٨.

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، ج٤، ص٨٧، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم، ج١، ص١٤٠، الناشر: السعادة، مصر.

أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض" [1].

* على المسلم أن يُكثر من ذكر الجنة والحديث عنها، وقراءة الآيات والأحاديث التي تصفها، ففي ذلك ترسيخ للإيمان، وتقوية للعقيدة في الجَنان، وليتذكر دائماً أنَّه بعيدٌ عن وطنه الأصلي، ولا بد من الثبات ليسلك طريق العودة الصحيح إليها، قال الإمام ابن القيم (رحمه الله):

فحي على جنات عدن فأنها ... منازلها الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

فيا بائعا هذا ببخس معجل ... كأنك لا تدري بلى سوف تعلم

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة ... وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم [2]

المسألة الثالثة: تذكر الموت والدار الآخرة:

"العجب وكل العجب من غفلة من لحظاته معدودة عليه، وكل نفس من أنفاسه لا قيمة له إذا ذهب لم يرجع إليه، فمطايا الليل والنهار تسرع به، ولا يتفكر إلى أين يحمل، ويسار به أعظم من سير البريد، ولا يدري إلى أي الدارين ينقل، فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته" [3]، "فلا شك أنَّ تذكر الموت يحمي المسلم من التردي، ويوقفه عند حدود الله فلا يتعدها، لأنَّه إذا علم أنَّ الموت أدنى من شراك نعله، وأن ساعته قد تكون بعد لحظات، فكيف تسول له نفسه أن يزل، أو يتمادى في الانحراف" [4].

ومن الآيات التي ربطت بين العمل الصالح واليوم الآخر:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ... ﴾ [التوبة:١٨] .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ... ﴾ [الممتحنة:٦] .

أولاً: المعنى الإجمالي للآيات:

لقد ربطت هذه الآيات بين الأعمال الصالحة وبين الإيمان باليوم الآخر، ففي آية سورة التوبة بينت الآية أنَّ المداومين على الصلاة، والمحافظين عليها هم الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، فكلما زاد إيمان العبد بربه، زادت محافظته على صلاة الجماعة، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالإيمان" فإن الله قال: ﴿ إِنَّمَا

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي للأنصار، رقم الحديث: ٣٧٩٢.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، ص١١، الناشر: مكتبة الإيمان، مصر، الطبعة الثالثة.

(٣) المرجع السابق، لابن القيم، ص٧.

(٤) من روائع المنجد، ص١٧.

﴿يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ﴾ (١)، وفي آية التوبة كان المؤمنون باليوم الآخر، هم الذين يقتدون بالأنبياء، لأنَّهم استشعروا ما في اليوم الآخر من أهوال.

ثانياً: فوائد وعظات من الآيات:

* لقد أكثر القرآن من ذكر اليوم الآخر، حتى أنَّك لا تكاد تمر على صحيفة من صحائف القرآن إلا وتجد فيها حديثاً عن اليوم الآخر، وما سيكون فيه من الأحداث والأهوال، بأساليب كثيرة ومتنوعة، كذالك نجد القرآن يفصل أحوال ذلك اليوم تفصيلاً قلما تجده في أمور الغيب الأخرى. وكان اهتمام القرآن باليوم الآخر لما له من أثر عظيم في حياة الإنسان، وتصحيح سلوكه وانضباطه، والتزامه بالعمل الصالح، وتقوى الله ﷻ (٢).

* على المسلم أن يكثر دائماً من ذكر الموت، وأن يتذكر أهوال يوم القيامة من قبر وحشر وصراط وموازين، فإنَّ هذا يدفع إلى الازدياد من الطاعات، والبعد عن المنكرات، ويرسخ العقيدة في القلب "ومن لم يردعه القرآن والموت فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع" (٣).

المسألة الرابعة: خشية الله ﷻ ودوام مراقبته:

لا شك أنَّ خشية الله بالغيب، واستشعار رقابته في كل حال، ممَّا يرسخ الإيمان في القلب، ويجعل العبد دائم المسارعة إلى رضى ربه، فهو يعبد الله كأنَّه يراه فإن لم يكن يراه فإنَّه سبحانه يراه، قال الإمام ابن القيم (رحمه الله): "المراقبة هي دوام علم العبد، وتيقنه باطلاع الحق ﷻ على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين" (٤).

ومن الآيات التي حثت على خشية الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك:١٢].

أولاً: المعنى الإجمالي للآية:

ذكر الله سبحانه في هذه الآية حالة السعداء الأبرار، فأخبر أنَّهم يخشونه في جميع أحوالهم، حتى في الحالة التي لا يطلع عليهم فيها إلا الله، فلا يقدمون على معاصيه، ولا يقصرون فيما أمر به، فوعدهم بمغفرة ذنوبهم، وإذا غفر الله ذنوبهم، وقاهم شرها، ووقاهم عذاب الجحيم،

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب المساجد، باب لزوم المساجد، رقم الحديث: ٨٠٢. قال الألباني: ضعيف، ويجوز لنا الأخذ به لأنه في باب فضائل الأعمال، ولأن له ما يُعضده من القرآن الكريم.

(٢) التبيان شرح أركان الإيمان، لسعد عبد الله عاشور، ج٢، ص٨٠، الناشر: مكتبة آفاق غزة، الطبعة الرابعة.

(٣) الرقائق، للراشد، ص٩٦، الناشر: دار المنطلق، الطبعة الأولى.

(٤) مدارج السالكين، لابن القيم، ص٢٧٢.

ولهم أجر كبير وهو ما أعده لهم في الجنة، من النعيم المقيم، والملك الكبير، واللذات المشتهيات، والقصور العاليات، والحور الحسان، والخدم والولدان، وأعظم من ذلك وأكبر، رضا الرحمن (١).

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآية:

* قُدمت في الآية "المغفرة تطمينا لقلوبهم لأنهم يخشون المؤاخذة على ما فرط منهم من الكفر قبل الإسلام ومن اللمم ونحوه، ثم أعقبت بالبشارة بالأجر العظيم، فكان الكلام جارياً على قانون تقديم التخلية على التحلية، أو تقديم دفع الضر على جلب النفع" (٢).

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* قوله تعالى: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ يحتمل معنيين، **أحدهما:** بِالْغَيْبِ الذي أخبروا به من الحشر والصراط والميزان والجنة والنار، فآمنوا بذلك، وخشوا ربهم فيه، والثاني: أنهم يخشون ربهم إذا غابوا عن أعين الناس، أي في خلواتهم، وفي **الاحتمال الأول:** مدح بالإخلاص والإيمان، **والثاني:** مدح بالأعمال الصالحة في الخلوات، وذلك أحرى أن يعملوها علانية (٣).

* على المسلم أن يديم مراقبة الله ﷻ، ويُكثر من عبادات الخلوات فهي أصول الثبات، ويحذر من ذنوب الخلوات فهي الأصل الانتكاسات.

المسألة الخامسة: الخوف من الاستبدال:

وممَّا يزيد في إيمان العبد، ويجعله راسخاً في دينه، مقبلاً على طاعة ربه، الخوف من الاستبدال فكم من عابدٍ عكف على الطاعة سنين ثمَّ أصابه من الشيطان سهمٌ فأصبح من النادمين، وقد قص علينا القرآن من هذا حاله كعابد بني إسرائيل وبلعام وغيرهم. ومن الآيات التي حذرت من النكوص وأنَّ أهله يستبدلون بأحسن منهم:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ...﴾ [المائدة:٥٤].

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٨].

أولاً: المعنى الإجمالي للآيات:

إنَّ هذه الآيات تحدثنا بشكل واضح وصريح، أن من يتولَّ عن طريق الإيمان، ويسلك طريقاً غيره، فإنَّ الله يستبدله بمن هو خيرٌ منه، فالله ﷻ ينادي عباده أن داوموا على إيمانكم ولتكن

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ج١، ص٨٧٦.
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٢٩، ص٢٩.
(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للأندلسي، ج٥، ص٣٤٠.

كل لحظة من لحظات حياتكم المقبلة في إيمان عالٍ مرتقٍ، واثبتوا على إيمانكم، ومن يتراجع منكم عن الإسلام فسيأتي الله بعوض عنه، وسيأتي بقوم لن يكونوا مثله، إذن فمن يرتد فعليه أن يفهم أنه لن ينقص جند الله واحداً، لأن الذي أذن لشرعه أن ينزل على رسول ونبي خاتم لن يجعل هذا الرسول وهذا المنهج تحت رحمة أغيار الناس، فإن خرج أناس عن المنهج فالله يستبدل بهم غيرهم(١).

ثانياً: فوائد وعظات من الآيات:

* "إن اختيار الله للعصبة المؤمنة، لتكون أداة القدر الإلهي في إقرار دين الله في الأرض، وتمكين سلطانه في حياة البشر، وتحكيم منهجه في أوضاعهم وأنظمتهم، وتنفيذ شريعته في أقضيتهم وأحوالهم، وتحقيق الصلاح والخير والطهارة والنماء في الأرض بذلك المنهج وبهذه الشريعة.. إن هذا الاختيار للنهوض بهذا الأمر هو مجرد فضل الله ومنته، فمن شاء أن يرفض هذا الفضل وأن يحرم نفسه هذه المنة.. فهو وذاك، والله غني عنه، وعن العالمين، والله يختار من عباده من يعلم أنه أهل لذلك الفضل العظيم" (٢).

* إنَّ المؤمن دائم الوجل من الله ﷻ فهو لا يأمن مكره، وكيف يأمن على إيمانه والأعداء يتربصون به الدوائر، يريدون أن يصدوه عن سواء السبيل، وكيف يأمن على إيمانه وإبليس حي فهو دائم الخوف من الاستبدال، وهذا ممَا يبعث فيه الهمَّة أن يزداد دائماً من الطاعات، التي ترسخ العقيدة في قلبه، وتغلق طرق الغفلة من الوصول إلى القلب.

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في المبحث الأول من الفصل الثاني، وهو ترسيخ العقيدة في نفوس المؤمنين:

* العقيدة الإسلامية منسجمةٌ مع فطرة الإنسان التي فطرهُ الله عليها وإذا ما رسخت في نفس المؤمن، والتصقت في عقله، وتربعت في قلبه، فلن تزيلها كل قوى الأرض ولو اجتمعت.

* حرص القرآن الكريم على ترسيخ العقيدة في نفس المؤمن ترسيخاً متيناً لا يخالطه شكٍ ولا ريب. فذكر كل ما من شأنه أن يزيد هذه العقيدة رسوخاً، وأوضح لنا كل ما يمكن أن يصيب المسلم ممَّا قد تراوده نفسه به ممَّا قد يضعف هذه العقيدة.

* القرآن هو المصدر الأول للثبات لأنَّه يزرع الإيمان، ويزكي النفس بالصلة بالله.

* على المؤمن أن يقرأ القصص القرآنية، فهي ما نزلت للتلهي والتسلية، وإنَّما لغرض عظيم وهو تثبيت فؤاد النبي ﷺ وأفئدة المؤمنين معه.

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي، ج٥، ص٣٢٠٣.

(٢) في ظلال القرآن، ج٢، ص٩١٧.

* إنَّ طاعة الله ﷻ، باتباع ما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، من أعظم ما يرسخ العقيدة في القلب.

* ممَّا يرسخ العقيدة في القلب دوام ذكر الله ﷻ، فكلما كان الذكر أكثر كان الايمان أرسخ.

* يُعتبر الدعاء السلاح الأمضى، والعامل الأقوى، في تأثيره على النفوس، حيث يثبتها ويقويها.

* توجد علاقة وثيقة جداً بين الصبر والثبات، فالثبات أصل الصبر.

* إذا عرف المؤمن ما أعد الله للناكصين من أليم العقاب وشديد العذاب، يتكون لديه رادعٌ يجعله يبتعد عن كل ما يسبب ضعف الإيمان، ويجعله يستزيد دائماً مما يرسخ العقيدة في القلب.

* الثبات على الدين والالتزام أُمنية كل الصادقين، وغاية كل المخلصين، والتوكل على الله تعالى، وتفويض الأمر إليه، عمود الأساس في تحقيق الثبات.

* العلم يزيد رسوخ الإيمان في القلب، والعلماء هم أكثر النَّاس ثباتاً عند الفتن، وما ضلَّ ضال، ولا انتكس منتكس إلا لجهله وقلة علمه.

* من الأسباب التي ترسخ العقيدة في القلب، وتزيد الإيمان، ترك البلاد التي يُعصى فيها الله، والهجرة إلى البلاد التي يُعبد فيها الله.

* واجبٌ على المسلمين وحتى يرسخوا العقيدة في نفوسهم، ويحموا بيضة الإسلام، أن يعدو العدة جيداً، ويُدربوا شبابهم ويُعدوهم خير إعداد، لدحض أساليب أهل الباطل، وكشف زيفهم.

* بعد أن يستكمل المؤمن كل الأسباب في ترسيخ الإيمان في قلبه، وزرع العقيدة في نفسه، ويتوكل على ربه حق التوكل، يؤيده الله ويوفقه ويعينه على الثبات، فلا يرده عن دينه شيء.

* ما انتكس منتكس إلا لتعلقه في حبال الدنيا المذمومة، وإذا عرف العبد حقيقة الدنيا ثبت.

* وممَّا يزيد في إيمان العبد، ويجعله راسخاً في دينه، الخوف من الاستبدال.

المبحث الثانـي

دحض وسائل الظالمين

وفيه ستةُ مطالب:

المطلب الأول: جهد أهل الباطل سيكون وبالاً عليهم.

المطلب الثاني: رد القرآن على السخرية والاستهزاء.

المطلب الثالث: رد القرآن على طلب المعجزات.

المطلب الرابع: رد القرآن على الإشاعات والمجادلة.

المطلب الخامس: رد القرآن على المساومة على العقيدة.

المطلب السادس: شدة الكافرين سكينة على المؤمنين.

المبحث الثاني

دحض وسائل الظالمين

كما أنَّ كتاب الله ﷻ قد بين للمؤمن كل ما يُعينه على الثبات على الطاعة، وزيادة رسوخ العقيدة في القلب، ردَّ القرآن على كل وسائل الظالمين التي يستخدمونها في صد الناس عن الإيمان، فأرشد المؤمن للتعامل معها بالطريقة الصحيحة، حتى ينجوا بدينه.

المطلب الأول

جهد أهل الباطل سيكون وبالاً عليهم

لا شك أنَّ أهل الباطل يمكرون الليل والنَّهار، ويسخرون كل إمكاناتهم لدحض الحق، وتشويه صورته عند الناس لصدهم عنه، لكنَّ هذا الجهد سيكون وبالاً عليهم، لأنَّ الله ناصرٌ دينه، ومعزٌ أوليائه ولو كره الكافرون، فإنَّ الدين الإسلامي هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده، والدعوة المحمدية هي خاتمة النبوات، ورسولنا محمد ﷺ هو خاتم المرسلين، وهو رحمةٌ للعالمين، وقد تكفل الله بحفظ هذا الدين، ووعد الله عباده بالنصر والتمكين، وقد بشرنا القرآن أنَّ جهود الكافرين لن تفلح أبداً، مصداقاً لقوله تعالى واصفاً جهد الكافرين:

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

يقول ابن كثير (رحمه الله): "يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب ﴿أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ﴾ أي: ما بعث به رسوله من الهدى ودين الحق، بمجرد جدالهم وافترائهم، فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس، أو نور القمر بنفخه، وهذا لا سبيل إليه، فكذلك ما أرسل الله به رسوله لا بد أن يتم ويظهر؛ ولهذا قال تعالى مقابلاً لهم فيما أرادوه: ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ﴾ فالهدى: هو ما جاء به من الإخبارات الصادقة، والإيمان الصحيح، والعلم النافع ودين الحق: هي الأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي: على سائر الأديان [١]، كما ثبت في الصحيح، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "**إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها**" [٢].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة، رقم الحديث: ٢٨٨٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٤، ص١٣٧.

وقال ابن كثير (رحمه الله): " يحاولون أن يردوا الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس بفيه، وكما أن هذا مستحيل كذلك ذاك مستحيل" (١).

وأي بشرى أعظم من هذه البشرى، وأي تعبيرٍ أبلغ من هذا التعبير، بل أخبرنا ﷻ في كتابه المكنون، في غير موضعٍ أنَّ مكر أهل البطل سيكون وبالاً عليهم.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦].

قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥٠-٥١].

قال ابن عطية (رحمه الله) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦] "ومعنى الآية تعظيم مكرهم وشدته، أي أنه مما يشقى به ويزيل الجبال عن مستقراتها لقوته، ولكن الله تعالى أبطله ونصر أولياءه، وهذا أشد في العبرة"(٢)، وهذه الآيات: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥٠-٥١] تُمثل لنا صورةً تُبين عاقبة مكر الذين كفروا بأنَّه وبالاً عليهم، حيث مكر قوم ثمود بتدبير عملية اغتيال لنبيهم صالح عليه السلام فجرت معهم الرياح بما لا تشتهي السفن.

"﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾ دبروا أمرهم على قتل صالح وأهله على وجه الخفية حتى من قومهم خوفاً من أوليائه ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ بنصر نبينا صالح عليه السلام وتيسير أمره وإهلاك قومه المكذبين ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ هل حصل مقصودهم؟ وأدركوا بذلك المكر مطلوبهم أم انتقض عليهم الأمر ولهذا قال: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أهلكناهم واستأصلنا شأفتهم فجاءتهم صيحة عذاب فأهلكوا عن آخرهم" (٣).

قال الشوكاني (رحمه الله) "والمعنى: أن الله دمر التسعة الرهط المذكورين، ودمر قومهم الذين لم يكونوا معهم عند مباشرتهم لذلك، ومعنى التأكيد بأجمعين، أنه لم يشذ منهم أحد، ولا سلم من العقوبة فرد من أفرادهم" (٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٨، ص١١٢.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ج٣، ص٣٤٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ج١، ص٦٠٦.

(٤) فتح القدير، للشوكاني، ج٤، ص١٦٦.

"وحتى تدرك حقيقة هذا المكر، انظر كيف مُكر بفرعون وربّى موسى عليه السلام في حجره ليكون هلاكه على يديه... وكذا تربى الصحوة الإسلامية في حجر الصليبية العالمية واليهودية.. يكيدون لها والله مطلع عليهم يمكر بهم من حيث لا يعلمون" (١).

وكتاب الله ﷻ مليءٌ بتبشير المؤمنين بالنصر والتمكين، فالدين دين الله، والعباد عباد الله، والله ناصرٌ جنده، مُعز دينه ولو كره الكافرون.

وفي هذا المطلب مسألتان:

المسألة الأولى: تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى:

فعلى مدار الأزمان، إنَّ أهل الباطل على اختلاف مللهم ونحلهم وألوانهم، يجتمعون على قتال الحق المتمثل بالإسلام، ولكنَّ القرآن يبشرنا قبل وبعد ذلك حتى لا يدخل اليأس على قلوبنا، وحتى لا نتوهم باجتماعهم علينا، يبشرنا القرآن أنَّ اجتماعهم على مهب الريح، لأنَّ ما يفرقهم أكثر ممَّا يجمعهم، ومن الآيات التي بينت ذلك:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ * لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١١-١٤].

أولاً: المعنى الإجمالي للآيات:

تتحدث هذه الآيات عن مشهد من مشاهد التآمر بين ملل الظلم الحاقد على الإسلام، فالمنافقون يخبرون إخوانهم في الكفر وإخوانهم في كره الإسلام اليهود، أنَّهم معهم صفاً واحداً، وسيعاونهم بكل ما أُوتوا من قوة، حتى إذا أخرجهم المسلمون من ديارهم سيرافقونهم في هذا الإخراج، لكن هل يا ترى هم صادقون في ذلك؟

ومن أصدق من الله قيلاً، ومن أصدق من الله حديثاً، يأتي العلم اليقين من رب العالمين، ليُسري عن عباده المؤمنين، أنَّ هذه أقوالٌ مزيفة، مخلوطةٌ بماء الكذب الذي اعتاده المنافقون في عهودهم، بل إنَّ الأمر تماماً عكس ما يقولون، وأي شيءٍ أعظم من شهادة الله، "فالله يشهد إن هؤلاء المنافقين الذين وعدوا بني النضير النصرة على محمد ﷺ ﴿لَكَاذِبُونَ﴾ في وعدهم إياهم

(١) مبشرات النصر والتمكين، للعفاني، ص٧٧، الناشر: مكتبة معاذ مصر، الطبعة الثانية.

مَا وَعَدُوهم من ذلك. لئن أُخرج بنو النضير من ديارهم، فأَجْلوا عنها لا يخرج معهم المنافقون الذين وعدوهم الخروج من ديارهم، ولئن قاتلهم محمد ﷺ لا ينصرهم المنافقون الذين وعدوهم النصر، ولئن نصر المنافقون بني النضير ليولن الأدبار منهزمين عن محمد ﷺ وأصحابه هاربين منهم، قد خذلوهم ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ يقول: ثم لا ينصر الله بني النضير على محمد ﷺ وأصحابه، بل يخذلهم، وقوله: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ يقول جلّ ثناؤه: عداوة بعض هؤلاء الكفار من اليهود بعضًا شديدة ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني المنافقين وأهل الكتاب، يقول: تظنهم مؤتلفين مجتمعة كلمتهم، ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ يقول: وقلوبهم مختلفة لمعاداة بعضهم بعضًا. وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: هذا الذي وصفت لكم من أمر هؤلاء اليهود والمنافقين، وذلك تشتيت أهوائهم، ومعاداة بعضهم بعضًا من أجل أنهم قوم لا يعقلون ما فيه الحظّ لهم مما فيه عليهم البخس والنقص" (١)، وقال الزمخشري: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ "عنى أنّ البأس الشديد الذي يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا، ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدّة، لأنّ الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ذوى ألفة واتحاد ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ متفرقة لا ألفة بينها، يعنى. أنّ بينهم إحنا وعداوات، فلا يتعاضدون حق التعاضد، ولا يرمون عن قوس واحدة. وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم ﴿ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم" (٢).

ثانياً: الوجوه البلاغية من الآيات:

* في قوله تعالى: ﴿... وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ ...﴾ "فإن قلت: كيف قيل وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم؟ قلت: معناه: ولئن نصروهم على الفرض والتقدير، كقوله تعالى: ﴿... لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ...﴾ [الزُّمر:٦٥] وكما يعلم ما يكون، فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون. والمعنى: ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك، أي: يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم؛ أو لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين" (٣).

* جملة: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ...﴾ بيان لجملة: ﴿... وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

---

(١) جامع البيان، للطبري، ج٢٣، ص٢٩٢.

(٢) الكشاف، للزمخشري، ج٤، ص٥٠٧.

(٣) المرجع السابق ج٤، ص٥٠٦.

* في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ...﴾ اللام موطئة للقسم وهذا تأكيد من الله تعالى لرسوله ﷺ أنهم لن يضروه شيئاً لكي لا يعبأ بما بلغه من مقالتهم (١).

ثالثاً: فوائد وعظات من الآيات:

* "تقرير حقيقة وهي أن الكفر ملة واحدة وأن الكافرين إخوان.

* خلف الوعد آية النفاق وعلاماته البارزة.

* الجبن والخوف صفة من صفات اليهود اللازمة لهم، ولا تنفك عنهم.

* عامة الكفار يبدون متحدين ضد الإسلام، وهم كذلك ولكنهم فيما بينهم تمزقهم العداوات، وتقطعهم الأطماع، وسوء الأغراض والنيات" (٢).

* على المسلم أن يكون دائم الثقة بنصر الله سبحانه للمؤمنين، ولا يغرنَّه ما يرى من قوى الباطل وكثيرة هي المواقف التي تبرز مدى اختلاف أهل الباطل، وكثرة الشقاق بينهم، وشدة النزاع في آرائهم، ففي أول معركة فاصلة بين الحق والباطل، معركة بدر الكبرى، دبَّ الخلاف في صفوف أهل الباطل، فكان هذا سبب من أسباب الهزيمة، فقد جاء في السيرة، وبعد ما جاء الخبر بنجاة القافلة مع أبي سفيان "همَّ الجيش المكي بالرجوع ووقوع الانشقاق فيه، ولكن قام طاغية قريش أبو جهل في كبرياء وغطرسة قائلاً: والله لا نرجع حتى نرد بدرا، فنقيم بها ثلاثا فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً، ولكن على رغم أبي جهل أشار الأخنس بن شريق بالرجوع فعصوه، فرجع هو وبنو زهرة وكان حليفاً لهم ورئيساً عليهم في هذا النفير فلم يشهد بدراً زهري واحد، وكانوا حوالي ثلاثمائة رجل، واغتبطت بنو زهرة بعد برأي الأخنس بن شريق، فلم يزل فيهم مطاعاً معظماً، وأرادت بنو هاشم الرجوع، فاشتد عليهم أبو جهل، وقال: لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع" (٣).

وفي غزوة الأحزاب والتي تحزب فيها اليهود وقريش وغطفان والكثير من القبائل العربية، على حرب الدولة الإسلامية في المدينة، ثمَّ كان التآمر اليهودي من بني قريضه بنقض العهد الذي مع المسلمين، فاشتد الغمُّ على المسلمين، صنع الله أمراً من عنده خذل به العدو، فخذل نعيم بن مسعود رضي الله عنه بين الفريقين، جاء في سيرة ابن هشام "فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس،

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٢٨، ص١٠٠.

(٢) أيسر التفاسير، للجزائري، ج٥، ص٣١٣.

(٣) الرحيق المختوم، للمباركفوري، ص١٤٠.

أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل، في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر [١]، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا، ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً، فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب، واشتد عليكم القتال أن تنشروا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه ... فأبت قريش أن تعطيهم رهائن، وخذل الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنيتهم" [٢].

وفي عصرنا الحاضر نجد أنَّ قوى الشر في العالم غير متفقة فيما بينها، بل إنَّ بأسهم بينهم شديد وما الحرب العالمية الأولى ثمَّ الحرب العالمية الثانية والذي نتج عنها ملايين القتلى والجرحى وتدمير ملايين البيوت والمنشآت بل تدمير مدن بأكملها، ثمَّ الحرب الباردة بين روسيا الشيوعية وأمريكا الصليبية إلا دلالة على أنَّ بأسهم بينهم شديد، فلا يغتر المسلم بما يراه من تآمر يهودي صليبي على حرب الإسلام والمسلمين، فهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً، وإذا استأسد أهل الحق، سينهدم بنيانهم سريعاً، وسيفكر كل واحدٍ منهم بخلاص نفسه.

المسألة الثانية: أموالهم حسرةٌ عليهم:

إنَّ أهل الباطل ينفقون الأموال الكثيرة لإدحاض الحق، ويُخصصون الميزانيات الهائلة لتشويه الإسلام، ونشر البعثات التبشيرية في بلاد الإسلام، لإخراجهم من النور إلى الظلمات، فقد جاء في كتاب محكمة التاريخ "إنَّ عدد المبشرين في الدنيا اليوم ٢٢٠ ألفاً، منهم ١٣٨٠٠٠ كاثوليكي والباقي عددهم ٨٢٠٠٠ من البروتستانت. في أفريقيا وحدها ١١٩٠٠٠ مبشر ومبشرة، ينفقون بليوني دولار في السنة، والذين يدفعون هذه الأموال يعرفون أنَّ هذا هو أحسن وجه ينفق فيه المال اليوم، لأنَّ الذي سيكسب المعركة في أفريقيا سيكسب نصف رصيد العالم من الثروات المعدنية والزراعية" [٣]، عدا عن ذلك ما يُنفق من مليارات الدولارات في تسير جيوش الباطل في كل مكان يشمون منه رائحة الصحوة الإسلامية. ومن بين كل هذه الأموال التي تُنفق تأتي آيةٌ من كتاب الله ﷻ لتُرِيح المؤمنين:

---

(١) الخف: هو الإبل، الحافر: الخيل. (سيرة ابن هشام، ج٢، ص٢٣٠).

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام، ج٢، ص٢٣٠.

(٣) في محكمة التاريخ، لشلبي، ص٩٦.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٣٦] .

أولاً: المعنى الإجمالي للآية:

إنَّ هذه الآية تحمل بشرى عظيمة للمؤمنين، وتخبرهم بحال عدوهم قبل أن يواجهوه، وتعلمهم بما سيكون منهم من مكر وصدٍ عن سبيل الله، وهذه الآية تحكي لنا قصة أصحاب الأموال من أهل الكفر والذين تكفلوا بإطعام جيش الباطل "وهذا الذي حدث قبل بدر وبعدها نموذجاً من الأسلوب التقليدي لأعداء هذا الدين.. إنهم ينفقون أموالهم، ويبذلون جهودهم، ويستنفدون كيدهم، في الصد عن سبيل الله، وفي إقامة العقبات في وجه هذا الدين؛ وفي حرب العصبة المسلمة في كل أرض وفي كل حين.. فالمعركة لن تكف؛ وأعداء هذا الدين لن يدعوه في راحة؛ ولن يتركوا أولياء هذا الدين في أمن.... والله سبحانه ينذر الكفار الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله بأنها ستعود عليهم بالحسرة؛ إنهم سينفقونها لتضيع في النهاية، وليغلبوا هم وينتصر الحق في هذه الدنيا، وسيحشرون في الآخرة إلى جهنم، فتتم الحسرة الكبرى" (١).

ثانياً: فوائد وعظات من الآيات:

* "كل نفقة ينفقها الإنسان للصد عن سبيل الله بأي وجه تكون عليه حسرة يوم القيامة.
* صدق وعد الله تعالى لرسوله والمؤمنين بهزيمة المشركين وغلبتهم وحسرتهم على ما أنفقوا في حرب الإسلام وضياع ذلك كله وخيبتهم فيه" (٢).
* ليستبشر المؤمن خيراً، فمهما أنفق الباطل على باطله، سيبقى الحق ناصعاً، وسينصر الله جنده

المطلب الثاني

رد القرآن على السخرية والاستهزاء

إنَّ السخرية والاستهزاء من أعظم الوسائل التي استخدمها الظالمون للصَّدِّ عن سبيل الله، فطال استهزاؤهم كل ما له علاقة بالدين، ولقد عالج القرآن هذه الوسيلة بكل حكمة وردها على أصحابها بكل حسم، وفند أسباب سخريتهم، وكان رد القرآن على السخرية والاستهزاء بما يلي:

---

(١) في ظلال القرآن، ج٣، ص١٥٠٧.

(٢) أيسر التفاسير للجزائري، ج٢، ص٣٠٦.

أولاً: النَّهي القاطع عن السخرية والاستهزاء:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

"نهى الله تعالى بهذه الآية عن عيب من لا يستحق أن يعاب تحقيراً له، لأن ذلك هو معنى السخرية به، فأخبر أنه وإن كان أرفع حالاً منه في الدنيا، فعسى أن يكون المسخور منه خيراً في الآخرة، وخيرا عند الله تعالى" (١).

"وهذا من حقوق المؤمنين، بعضهم على بعض، أن ﴿لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ بكل كلام، وقول، وفعل دال على تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام، لا يجوز، وهو دال على إعجاب الساخر بنفسه، وعسى أن يكون المسخور به خيرًا من الساخر، كما هو الغالب والواقع، فإن السخرية، لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق، متحل بكل خلق ذميم" (٢)، أمَّا من يتمادى في هذا الأمر، ولا تنهاه نفسه عن فعل السوء، ولا يتوب من استهزائه بهم، فقد أصبح ظالماً لنفسه بارتكاب المعاصي، ظالماً لإخوانه بسخريته بهم (٣).

فوائد وعظات من الآية:

* جاء الخطاب في الآية بصيغة الجمع، لا بصيغة المفرد مثل رجل من رجل، ولا امرأة من امرأة استفظاعاً للشأن الذي كانوا عليه، ولأنّ مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله، فيكون شريك الساخر في تحمل الوزر، وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به، فيؤدي ذلك وإن أوجده واحد إلى تكثير السخرة، وانقلاب الواحد جماعة وقوماً.

* يجب أن يعتقد كل أحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيراً منه، لأنّ الناس لا يطلعون إلا على الظواهر، وإن الذي يزن عند الله: خلوص الضمائر وتقوى القلوب، فينبغي أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذا رآه رث الحال، أو ذا عاهة في بدنه، فلعله أخلص ضميراً وأتقى قلباً، فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله.

---

(١) أحكام القرآن، للكيا الهراسي، ج٤، ص٣٨٢. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ج١، ص٨٠١.

(٣) الكشاف، للزمخشري، ج٤، ص٣٦٨.

ثانياً: سخرية الله من الكافرين:

إذا كان الكافرون والمنافقون وأتباعهم يسخرون من المؤمنين، ومن دينهم الإسلامي، ومن طاعتهم لله ﷻ، فإنَّ الله تعالى العلي الأعلى، القوي الذي لا يغالب، يسخر من الكافرين، ويهزأ من إعراضهم عن الدين الحنيف، رُغم سطوع الحق، ومن ذلك قوله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:١٤].

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥].

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٧٩].

إنَّ هاتين الآيتين كالصواعق المرسلة على الكافرين والمعاندين، الذين جعلوا ألسنتهم حداداً على المؤمنين، فتكفل الله بعباده، ودافع عنهم، قال السعدي (رحمه الله) في تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥] "فمن استهزائه بهم أن زين لهم ما كانوا فيه من الشقاء والحالة الخبيثة، حتى ظنوا أنهم مع المؤمنين، لما لم يسلط الله المؤمنين عليهم، ومن استهزائه بهم يوم القيامة، أنه يعطيهم مع المؤمنين نورا ظاهرا، فإذا مشى المؤمنون بنورهم، طفئ نور المنافقين، وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين، فما أعظم اليأس بعد الطمع" (١)، وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٧٩] أخبر الله تعالى أنَّه يسخر من المنافقين جزاء سخريتهم من المؤمنين، ولهم عذاب أليم.

ولمَّا كان أعداء المسلمين كثر من مشركين، ويهود ونصارى ومنافقين، وأعداء كثر سيكونون في المستقبل، ولمَّا كانت السخرية بطبيعتها أسلوب عدائي، وهي من أعظم الأسلحة في تحطيم معنويات العدو، كانت سخرية القرآن منهم تهدف لدفع الأذى الراهن والأذى المقبل من المشركين وغيرهم من الأعداء ضد المسلمين، وقد كانت للقرآن أساليب رائعة بالاستهزاء من الكافرين، ودفع أذاهم، وتمكين المؤمنين (٢)، منها:

* **(البشارة)** بالعذاب الأليم في آيات عديدة منها: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٣٨].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ج١ص٤٣.

(٢) انظر: السخرية البيانية في القرآن الكريم، ص٩٠.

فلمَّا "كان ثمة طائفة تبطن الكفر وهم أهل النفاق، ولما كان التظاهر بالإيمان ثم تعقيبه بالكفر ضربا من التهكم بالإسلام وأهله، جيء في جزاء عملهم بوعيد مناسب لتهكمهم بالمسلمين، فجاء به على طريقة التهكم إذ قال: بشر المنافقين، فإن البشارة هي الخبر بما يفرح المخبر به، وليس العذاب كذلك" (١).

* **(الثواب)** الأليم الذي يسوء صاحبه، قال تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[المطَّففين:٣٦].

"لقد بلغت السخرية أقصاها في هذه الآية لأنَّه ثواب كريه مؤلم يسئ صاحبه بإيحاءاته المعبرة أكثر مما يناله من العذاب المهين الشديد، وهي صورة ساخرة للذين كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين ويتغامزون بهم" (٢).

* ومن أكثر الآيات التي أظهرت البراعة الكبيرة لاستخدام السخرية ضد الكافرين والمعاندين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدُّخان: ٤٣-٤٩].

نلاحظ من هذه الصورة العجيبة من القرآن الكريم صورة أهل الكبر والفساد، وقد آل بهم الأمر إلى جهنم: نعم لهم طعام وتكريم وعزة، ولكن أي طعام وتكريم وعزة؟

إنَّ القرآن الكريم يجمع لنا بين النقائض، ويقلب المعاني، ليعطي الصورة أثراً أكبر في النفوس. إنَّ لفظ الشجرة لفظ جميل فيه ظل ظليل، وثمر طيب، كما هو حال أهل الجنة، وما يعرفها به أهل الدنيا، لكن هذه الشجرة في جهنم طعام مر حار يغلي ويفتك في بطون الكفار.

وإذا كان للضيف أن يُكرم وللنزيل أن يُدلل فلا أكثر من خدم يصبون فوق رأسه الماء حين الاستحمام، لينعم ويهنأ، وهنا كذلك عوض الخدم ملائكة العذاب غلاظ شداد وعوض الماء عذاب الحميم.

ثمَّ يوجه الخطاب لذاك الذي تمرد عن طاعة ربه سبحانه: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ فهذا ما ادعيته في الدنيا، وهذا ما يليق بك من إكرام كلمة ﴿ذُقْ﴾ لتقول له تذوق هذا الطعم واختبره، فهو جدير يليق بكرامتك وعزتك.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٥، ص٢٣٣.

(٢) حكمة القرآن والحضارة، ص٢٢٨.

لا شك أنَّ هذه السخرية البالغة من القرآن بهذا المتكبر الكافر، نجد فيها من الإهانة ما لا نجده فيما لو كان التعبير مباشراً، ذلك لأنَّها تخلق حسرةً في نفس الكافر وتنكيلاً به [1].

ثالثاً: سخرية المؤمنين من الكافرين:

"إذا كان من أدب القرآن الزجر عن السخرية بقصد التعبير والتحقير فإنَّه ينبهنا وفق حكمته إلى أنَّ مقابلة الساخرين (بمثل سلاحهم هو الحكمة) فإن جزاء كل سيئة بمثلها. والسخرية من الآخرين لا يقصد بها مجرد الإضحاك منهم لسبب خلقي، وإنما هي لمواقف التعنت والهزء من الدعوة الإسلامية ودعاتها، وإنَّ التشفي من الهازئين المتسلطين بأسلوبهم ونمط تصرفهم حكمة القوة للضعيف، وحكمة العزة للمستذل حتى لا يستمر الطاغوت في عنفوانه ولا يبقى المستضعف على هوانه وضعفه" [2]، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود:٣٨] .

وبينما كان نوح ﷺ "يصنع السفينة، وكلما مر عليه جماعة من كبراء قومه سخروا منه، قال لهم نوح: إن تسخروا منا اليوم لجهلكم بصدق وعد الله، فإنا نسخر منكم غدا عند الغرق كما تسخروا منا" [3].

فالرد هنا واضح فهو من جنس العمل، سخرية مقابل سخرية، ولكن الفارق أننا على الحق، بينما أنتم تسخرون منه وهو أمر الله لنوح ﷺ بصناعة الفلك، وأي أمر أعظم من قول الله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود:٣٧] إنه في رعاية الله وتحت عينه وبصره وهو ليس أمر نوح ﷺ من تلقاء نفسه، كما أنَّ الدعوة إلى الله تعالى في سائر الأزمان في رعايته سبحانه مهما سخر الساخرون.

ولا شك أن قوم نوح ﷺ في مرحلة متقدمة من استخدام السخرية، حيث أصبحت محمولة من القوم كلهم ضد نوح ﷺ وانتشرت فيهم ملأ بعد ملأ، وكان الأمر الإلهي بصناعة الفلك هو المرحلة النهائية قبل إهلاكهم بالغرق [4].

"يلاحظ من الآية مع تكرار السخرية ثلاث مرات أن سخرية المؤمنين هي ردة فعل وليست فعلاً منشأً، كما يلاحظ سفاهة الكفار وجهلهم بعواقب الأمور وتعويض ذلك بضحكات لا تثني

(١) انظر: السخرية البيانية في القرآن الكريم، ص٩١.

(٢) حكمة القرآن والحضارة لحمدان، ص٢١٩. الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى.

(٣) التفسير الميسر، ص٢٢٦.

(٤) انظر: أساليب القرآن في الرد على الحملات الإعلامية، ص٦٩. الناشر: دار الفرقان عمان، الطبعة الأولى.

المؤمنين عن تصميمهم، حتى وإن تكررت السخريات منهم" [١].

رابعاً: عدم جواز مجالسة المستهزئين:

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠].

"وأولى مراتب النفاق أن يجلس المؤمن مجلساً يسمع فيه آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، فيسكت ويتغاضى.. يسمي ذلك تسامحاً، أو يسميه دهاء، أو يسميه سعة صدر وأفق وإيماناً بحرية الرأي!!! وهي الهزيمة الداخلية تدب في أوصاله وهو يموه على نفسه في أول الطريق، حياء منه أن تأخذه نفسه متلبساً بالضعف والهوان! إن الحمية لله، ولدين الله، ولآيات الله. هي آية الإيمان. وما تفتر هذه الحمية إلا وينهار بعدها كل سد وينزاح بعدها كل حاجز، وينجرف الحطام الواهي عند دفعة التيار.... فمن سمع الاستهزاء بدينه في مجلس، فإما أن يدفع، وإما أن يقاطع المجلس وأهله، فأما التغاضي والسكوت فهو أول مراحل الهزيمة، وهو المعبر بين الإيمان والكفر على قنطرة النفاق!" [٢].

خامساً: تعهد الله سبحانه بكف أذى المستهزئين:

قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[الحجر: ٩٤-٩٥].

"وهذا لا شك طمأنينة للمؤمنين، وحرب لا هوادة فيها على المستهزئين، فلقد كف الله أذاهم عن رسوله ﷺ وتعهد بكشف وفضح أسرارهم وخططهم، وما دام الاستهزاء بالله وبآياته ورسوله فإن هذا التطاول الذي يخفونه سوف يعرف وقد كانوا يحذرون ذلك، وقد أخرج الله مخبوء نفوسهم من غل وحقد وضغينة على المسلمين، فهذا شأن اللاعبين اللاهين يحذرهم الله أن لهوهم ولعبهم يعتبر كبيرة تخرج صاحبها من الملة" [٣].

سادساً: التهديد والوعيد للمستهزئين:

عند التأمل في الآيات العظيمة التي وردت في كتاب الله تعالى، والتي ذكر فيها سبحانه عقوبة المستهزئين وعقاب الله الأليم المحيط بهم، نجد أمراً عظيماً تتفطر منه الأكباد، وتنخلع لهوله

---

(١) حكمة القرآن والحضارة، ص٢٢٥.

(٢) في ظلال القرآن، ج٢، ص٧٨١.

(٣) أساليب القرآن في الرد على الحملات الإعلامية، ص٨٢.

الأفئدة، فالهلاك والدمار في العاجلة، والعذاب المقيم في الآجلة.

فقوم نوح عليه السلام سخروا منه ومن المؤمنين معه فأهلكهم الله بالغرق في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأنكى قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف:٦٤].

وقوم هود عليه السلام سخروا منه وكذبوه ، فأنجاه الله وأهلكهم، قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:٧٢].

وصالح عليه السلام أرسل إلى ثمود فسخروا منه وكذبوه فأنجاه الله وأهلكهم، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف:٧٨].

ولوط عليه السلام أرسل إلى قومه فسخروا منه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ فكانت النجاة له ولمن آمن معه، والهلاك والدمار للساخرين والمكذبين، قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣-٨٤].

وقوم شعيب عليه السلام سخروا منه وقالوا له، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود:٨٧] فأهلكهم الله وأنجاه، قال سبحانه: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف:٩١].

وقوم موسى عليه السلام كذبوه وسخروا منه واستهزأوا به فأنجاه الله ومن معه وأهلك عدوه، قال تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٥-٦٦].

وأعداء رسول الله ﷺ استهزأوا به وسخروا منه، وكذبوه وآذوه فكانت العاقبة للمتقين، والخزي والعار والنار والهلاك للطغاة الهازلين المفسدين المكذبين، قتلوا في الدنيا وعند ربك عذاب ونار للكافرين (١).

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدَّثر: ١٨-٣٠].

---

(١) انظر: موقع صيد الفوائد، بحث بعنوان السخرية والاستهزاء.

المطلب الثالث

رد القرآن على طلب المعجزات

لقد أكثر المشركون والمعاندون من طلب المعجزات من رسلهم (عليهم السلام) فتارةً يقولون لو كان الرسول ملك، وتارةً يقولون لولا أُنزل مع الرسول ملك، وتارةً يقولون لو كان عند الرسول كنوز وجنان، وأخرى يطلبون معجزات حسية كالأمم السابقة، وتارةً يستعجلون العذاب، ولقد رد القرآن على كل ما طلبوه، وفنَّد حججهم بعدم الإيمان، حتى لا يبقى عذرٌ لأحد، ولا غبٌ عند أحد. وفي هذا المطلب سيذكر الباحث رد القرآن على هذه المطالب، في خمسة مسائل:

المسألة الأولى: الرد على طلب المشركين نزول الملائكة:

لقد جاءت آيات كثيرة، تبين أنَّ المشركين كانوا يطلبون من رسلهم (عليهم السلام) أن تنزل عليهم الملائكة برهاناً على صدقهم، ودلالةً على نبوتهم، أو أن يكون الرسول نفسه ملكاً فلماذا يكون بشراً مثلهم، فجاءت آيات القرآن ترد طلبهم هذا بما يلي:

الفرع الأول: أنَّ الملائكة لا تنزل إلا بأمر ربها:

لمَّا كان المشركون يطلبون من رسلهم، أن تنزل عليهم الملائكة، أخبر الله سبحانه في كتابه العزيز، أنَّ هذه الملائكة لا تنزل بأمر أحدٍ من الخلق، ولا تنزل لتلبية رغبة أحدٍ من الخلق، بل هي مأمورةٌ بأمر ربها، لا تتنزل إلا بأمره، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾ [مريم:٦٤].

"فعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال لجبرائيل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت: ﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكِ**﴾" (١)، بل وقد بينت الآيات أنَّ الملائكة لا ينزلون لأي أمر أو حدث، فهم لا ينزلون إلا بالحق، الذي يأمرهم الله سبحانه به، قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ**﴾ [الحجر: ٦-٨].

فالمشركون قالوا هذا تحدّياً للنبي ﷺ أن يدفع التهمة التي يتهمونه بها، وهى الادعاء الكاذب، بأنه يحمل إليهم آيات الله التي أوحيت إليه.. فإن كان ذلك الذي يدّعيه حقًّا، وأنه متصل بالسماء، فليأت بالملائكة تحدثهم، وتشهد له أنه رسول الله، عندئذ يعرف صدقه، ويقبل قوله.

---

(١) جامع البيان، للطبري، ج١٨، ص٢٢٢.

فبينت الآية أنَّ الملائكة لا تنزل استجابة لأهواء أصحاب الضلالات، وإنما ينزلهم سبحانه بما يأمرهم به، كالسفارة بينه وبين رسله، أو كالعذاب الذي يرسلهم به إلى من يريد إهلاكهم من القوم الظالمين. وكل هذا حقّ من عند الله سبحانه (١).

الفرع الثاني: أنَّ البشر لا يصلح لهم رسول إلا من البشر:

لقد جاءت العديد من الآيات لتبين أنَّ البشر لا يمكن أن يصلح لهم رسول يدعوهم للإيمان إلا بشراً مثلهم، وأنَّ ما يطلبه المشركون من كون الرسول من الملائكة، هو فقط من جدالهم العقيم، الذي لا يريدون منه الوصول إلى الحق، ومن الآيات التي أكدت ذلك: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ**﴾ [الأنعام:٩].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ولو جعلنا رسولنا إلى هؤلاء العادلين بي، القائلين: لولا أنزل على محمد ملك بتصديقه ملكا ينزل عليهم من السماء، يشهد بتصديق محمد ﷺ ويأمرهم باتباعه، لجعلناه في صورة رجل من البشر؛ لأنهم لا يقدرون أن يروا الملك في صورته. يقول: وإذا كان ذلك كذلك، فسواء أنزلت عليهم بذلك ملكاً أو بشراً، إذ كنت إذا أنزلت عليهم ملكاً إنما أنزله بصورة إنسي، وحججي في كلتا الحالتين عليهم ثابتة: بأنك صادق، وأن ما جئتهم به حق" (٢)، بل أخبرت الآيات أنَّ الله لو أراد أن يبعث للملائكة رسولاً لكان ملكاً مثلهم: ﴿**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا**﴾ [الإسراء: ٩٤-٩٥].

قال ابن عطية: "هذه الآية على معنى التوبيخ والتلهف من النبي ﷺ والبشر، كأنه يقول متعجبا منهم ما شاء الله كان، ما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا هذه العلة النزرة والاستبعاد الذي لا يستند إلى حجة، وبعثة البشر رسلا غير بدع ولا غريب، فيها يقع الإفهام والتمكن من النظر، قال تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ**﴾ [الإسراء:٩٥]، أي وادعين فيها مقيمين لكان الرسول إليهم من الملائكة ليقع الإفهام، وأما البشر فلو بعث إليهم ملك لنفرت طباعهم من رؤيته، ولم تحتمله أبصارهم ولا تجلدت له قلوبهم، وإنما أراد الله جري أحوالهم على معتادها" (٣).

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب، ج٧، ص٢١٧.

(٢) جامع البيان، للطبري، ج١١، ص٢٦٨.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ج٣، ص٤٨٦.

الفرع الثالث: أنَّ نزول الملائكة سيكون سبباً في عقابهم:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ [الأنعام:٨].

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢١-٢٢].

لقد أوضحت هذه الآيات بصراحة أنَّه لو تحقق مطلب المشركين بأن تنزل الملائكة ليروها، ثمَّ لم يؤمنوا، فسيكون هذا سبباً في عقابهم، ونزول العذاب بهم، ففي آية سورة الأنعام "أي لو أنزلنا الملك كما اقترحوا وعاينوه ثم كفروا لحق إهلاكهم كما جرت عادة الله بأن من طلب آية ثم لم يؤمن أهلكه الله حالاً دون إمهالٍ أو تأخير، والآية كالتعليل لعدم إجابة طلبهم، فإنهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه بيده" (١)، وآية سورة الفرقان أخبرت بأنَّ "المشركين في مكة الذين تمنوا نزول الملائكة لا يعرفون ما قدر الله تعالى في ذلك، فإنهم يوم يرون الملائكة لا يرونهم في حال خير، وإنما في حال شر وسوء، ولا بشرى لهم بما يفرح، وإنما تبشرهم الملائكة بالنار وغضب الجبار، ولهم الخسار ولقيا المكروه، ويومئذ لا خير ولا بشرى، ويقول الملائكة لهم منعاً ممنوعاً عليكم البشرى، أي حراماً محرماً" (٢).

الفرع الرابع: أنَّ سنة الله في عباده يكون الرسل من البشر:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء:٧].

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ...﴾ [الفرقان:٢٠].

لقد بينت هذه الآيات وغيرها الكثير أنَّ الله ما كان ليبعث على البشر رسلاً من الملائكة، بل سنة الله في عباده أن يكون الرسل من البشر ليحصل المقصود من إرسالهم بسهولة، قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه: وما أرسلنا يا محمد قبلك رسولا إلى أمة من الأمم التي خلت قبل أمتك إلا رجالا مثلهم نوحي إليهم، ما نريد أن نوحيه إليهم من أمرنا ونهينا، لا ملائكة، فماذا أنكروا من إرسالنا لك إليهم، وأنت رجل كسائر الرسل الذين قبلك إلى أممهم. وقوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ

(١) صفوة التفاسير، للصابوني، ج١، ص٣٥٢.

(٢) التفسير الوسيط، للزحيلي، ج٢، ص١٧٩٣.

﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، يقول للقائلين لمحمد ﷺ في تناجيهم بينهم: هل هذا إلا بشر مثلكم، فإن أنكرتم وجهلتم أمر الرسل الذين كانوا من قبل محمد، فلم تعلموا أيها القوم أمرهم إنسا كانوا أم ملائكة، فاسألوا أهل الكتب من التوراة والإنجيل ما كانوا يخبروكم عنهم" (١).

بل لقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن يكون الرسول من جنس قومه، حتى يتحقق المقصود، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [إبراهيم:٤].

قال السعدي: "وهذا من لطفه بعباده أنه ما أرسل رسولاً: ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ما يحتاجون إليه، ويتمكنون من تعلم ما أتى به، بخلاف ما لو كانوا على غير لسانهم، فإنهم يحتاجون إلى أن يتعلموا تلك اللغة التي يتكلم بها، ثم يفهمون عنه، فإذا بين لهم الرسول ما أمروا به، ونهوا عنه وقامت عليهم حجة الله ﴿فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن لم ينقد للهدى، ويهدي من يشاء ممن اختصه برحمته" (٢).

المسألة الثانية: رد القرآن على المشركين بأن يكون عند الرسول كنوزٌ وجنان:

لقد كان من طلبات المشركين ومن جدالهم العقيم لمَّا رأوا رسول الله ﷺ يسير في الأسواق، ويخالط النَّاس، استنكروا عليه ذلك وقالوا: لو كان رسول من عند ربه، لكفاه ذلك وجعل له جنَّاتٍ وأنهاراً يأكل منها، أو جعل له كنزاً يكفيه وأهله، فرد القرآن عليهم:

الفرع الأول: لو شاء الله أن يعطيه لفعل:

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان:١٠].

جاءت هذه الآية في سياق "الرد على مقترحات المشركين على رسول الله ﷺ، إذ قالوا لولا أنزل إليه ملك، أو يلقى إليه كنزٌ وتكون له جنة يأكل منها فقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ...﴾، أي الذي اقترحوه وقالوا خذ لنفسك من ربك بعد أن رفضت طلبهم بترك دعوتك والتخلي عن رسالتك ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾، أي من خلال أشجارها وقصورها ﴿وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾ لا قصراً واحداً كما قالوا، ولكنه لم يشأ ذلك لك من هذه الدار؛ لأنها دار عمل ليست دار جزاء وراحة ونعيم، فربك قادر على أن يجعل لك ذلك، ولكنه لم يشأ له

(١) جامع البيان، للطبري، ج١٨، ص٤١٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ج١، ص٤٢١.

والخير فيما يشاءه، فاصبر فإن المشركين لم يكن المانع لهم من الإيمان هو كونك بشراً تأكل الطعام وتمشي في الأسواق" [١].

الفرع الثاني: ما كان رسول الله إلا بشراً رسولاً:

قال تعالى: ﴿... قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء:٩٣].

لقد كان هذا رداً حاسماً من رسول الله ﷺ بعد أن طلبوا منه مجموعة من المعجزات، كأن تتدفق من الأرض الأنهار، أو يكون له بيت من ذهب، أو أن يكون له بستان من نخيل وأعناب، فكان رد سيد الخلق، أكمل النَّاس خَلقاً، وأحسنهم خُلُقاً، أن قال لهم : "تعالى وتقدس أن يتقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته، بل هو الفعال لما يشاء، إن شاء أجابكم إلى ما سألتم، وإن شاء لم يجبكم، وما أنا إلا رسول إليكم أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم، وقد فعلت ذلك، وأمركم فيما سألتم إلى الله عز وجل" [٢].

المسألة الثالثة: رد القرآن على المشركين بطلبهم معجزات مثل الأمم السابقة:

لقد تمادى المشركون في غيهم، وتعالوا في كفرهم، فتبعوا الأمم السابقة حذواً حذواً، فطلبوا من المعجزات كالتي كانت للأمم السابقة، فرد القرآن عليهم وأبطل كل حججهم، وفنَّد كل طلباتهم.

الفرع الأول: رد القرآن على المشركين طلبهم نزول القرآن جملةً واحدة:

لقد كان القرآن ينزل على رسول الله ﷺ على حسب الوقائع والأحداث، وبالتدرج في الأحكام، فاستمر نزوله ثلاثةٌ وعشرون عاماً، فاستنكر المشركون ذلك وقالوا: ﴿... لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ...﴾ كالكتب التي نزلت على الأنبياء في الأمم السابقة، فرد الله سبحانه أنَّ ذلك لحكمة جليلة، فقال: ﴿... كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:٣٢].

قال الزركشي: " فإن قلت: ما السر في نزوله إلى الأرض منجما وهلا نزل جملة كسائر الكتب قلت هذا سؤال قد تولى الله سبحانه جوابه... فقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي أنزلناه كذلك مفرقا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي لنقوي به قلبك فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشد عناية بالمرسل إليه ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجانب العزيز فحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة نزول جبريل عليه السلام" [٣].

---

(١) أيسر التفاسير، للجزائري، ج٣، ص٦٠٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٥، ص١٢١.

(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج١، ص٢٣١.

وقد ذكر المراغي مجموعة من الفوائد، لنزول القرآن منجماً، منها:

* "إنه أنزل هكذا ليكون حفظه له أكمل ويكون أبعد عن المساهلة وقلة التحصيل.

* إنه لو أنزل جملة على الخلق لنزلت الشرائع بأسرها دفعة واحدة عليهم، ولا يخفى ما في ذلك من حرج عليهم بكثرة التكاليف مرة واحدة، ولكن بإنزاله منجّما كان أيسر، ومرانهم عليه أسهل.

* إنَّه (عليه الصلاة والسلام) إذا شاهد جبريل الفينة بعد الفينة قوى قلبه على أداء ما حمل به، وعلى الصبر على أعباء النبوة، وعلى احتمال أذى قومه، وقدر على الجهاد الذي استمر عليه.

* إنه أنزل هكذا بحسب الأسئلة والوقائع، فكان في ذلك زيادة بصر لهم في دينهم.

* إنه لما نزل هكذا، وتحداهم بنجومه وبما ينزل منه، وعجزوا عن معارضته كان عجزهم عن معارضته جملة أجدر وأحق في نظر الرأي الحصيف.

* إن بعض أحكام الشريعة جاء في بدء التنزيل وفق حال القوم الذين أنزلت عليهم، وبحسب العادات التي كانوا يألفونها، فلما أضاء الله بصائرهم بهدى رسوله تغيرت بعض أحوالهم واستعدت أنفسهم لتشريع يزيدهم طهراً على طهر، ويذهب عنهم رجس الجاهلية الذي كانوا فيه، فجاء ذلك التشريع الجديد الكامل المناسب لتلك الحال الجديدة، ولو نزل القرآن جملة لم يتسنّ شيء من هذا" (١).

الفرع الثاني: رد القرآن على المشركين طلبهم معجزات حسية كالأمم السابقة:

لقد كان من مطالب المشركين أن يعطون معجزاتٍ حسية مادية، كالتي جاء بها الأنبياء (عليهم السلام) للأمم السابقة، كعصا موسى ﷺ، فرد القرآن على المشركين بما يلي:

البند الأول: أنَّ نزول المعجزات لن يكون سبب إيمانهم:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١].

لقد أوضحت هذه الآية بكل صراحة، أنَّ نزول المعجزات بل ولو أننا لم نقتصر على إيتاء ما اقترحوه هنا من آية واحدة، بل نزلنا إليهم الملائكة، كما قالوا، وكلمهم الموتى كما قالوا، وجمعنا عليهم كل شيء من الحيوانات والنباتات والجمادات، قبلا أي: كفلاء بصحة ما بشروا به وأنذروا ما كانوا ليؤمنوا لغلوهم في التمرد والطغيان، إلا أن يشاء الله أي: إيمانهم فيؤمنوا، ولكن أكثرهم يجهلون أي: إنهم لو أوتوا كل آية لم يؤمنوا (٢).

---

(١) تفسير المراغي، ج١٩، ص١٣.

(٢) محاسن التأويل، للقاسمي، ج٤، ص٤٦٩.

بل لو أراهم الله سبحانه من المعجزات كالأمم السابقة، لذهبوا إلى طلب أمور أخرى، حتى يؤمنوا، وفي هذا أعظم دلالة إلى أنَّهم لا يريدون الإيمان، ولا يرغبون في الإسلام، وأنَّهم يريدون الجدال والمماطلة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام:١٢٤]، "أي: لا نؤمن حتى يوحى إلينا كما يوحى إليه، وينزل علينا جبريل كما ينزل عليه، حتى روى أن الوليد بن المغيرة قال: إن كان الله يريد أن يبعث نبياً فأنا أولى بالنبوة؛ لأني أكثر مالاً، وأقدم سناً، وكذا كان يقول أكابرهم ورؤساؤهم" (١)، "وقال أبو جهل: زاحمتنا بنو عبد مناف في الشرف، حتى إذا صرنا كَفَرَسَيْ رِهَان، قالوا: منَّا نبيٌ يوحى إليه. والله لا نؤمن به ولا نَتَّبِعهُ أو أن يأتيَنَا وحي كما يأتيه" (٢).

وما دام أنَّ الأمر كذلك إنَّما هو رغبة في الجدال والمماطلة، ولمَّا كان الله سبحانه يعلم ما تكن الصدور، وما تجري به النفوس، لم ينزل المعجزات؛ لأنَّهم على كلتا الحالتين لن يؤمنوا.

البند الثاني: أنَّ القرآن الكريم أعظم معجزة:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥١].

يُبين النص القرآني اعترض هؤلاء الظالمون المكذبون للرسول ولما جاء به، واقترحوا عليه نزول آيات، فأخبر الحق سبحانه أنَّه لمَّا كان المقصود بيان الحق، ذكر تعالى طريقه، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ في علمهم بصدقك وصدق ما جئت به، قال تعالى: ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾، وهذا كلام مختصر جامع، فيه من الآيات البينات، والدلالات الباهرات، والآيات على صدقك شيء كثير، ومنها:

* إنَّ إتيان الرسول ﷺ به بمجرده وهو أمي، من أكبر الآيات على صدقه.

* ثم عجزهم عن معارضته، وتحديه إياهم آية أخرى.

* ثم ظهوره، وبروزه جهراً علانية، يتلى عليهم، ويقال: هو من عند الله، قد أظهره الرسول، وهو في وقت قلَّ فيه أنصاره، وكثر مخالفوه وأعداؤه، فلم يخفه، ولم يثن ذلك عزمه، بل صرح به على رءوس الأشهاد، ونادى به بين الحاضر والباد، بأن هذا كلام ربي، فهل أحد يقدر على معارضته، أو ينطق بمباراته أو يستطيع مجاراته آية أخرى.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، للسمعاني، ج٢، ص١٤٢.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ج٢، ص٧٤.

* ثم إخباره عن قصص الأولين، وأنباء السابقين، والغيوب المتقدمة والمتأخرة، مع مطابقته للواقع، آية أخرى.

* ثم هيمنته على الكتب المتقدمة، وتصحيحه للصحيح، ونَفْيُ ما أدخل فيها من التحريف والتبديل آية أخرى.

* ثم هدايته لسواء السبيل، في أمره ونهيه، فما أمر بشيء فقال العقل ليته لم يأمر به ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته لم ينه عنه بل هو مطابق للعدل والميزان، والحكمة المعقولة لذوي البصائر والعقول آية أخرى.

* ثم مسايرة إرشاداته وهدايته وأحكامه لكل حال وكل زمان بحيث لا تصلح الأمور إلا به آية أخرى.

فجميع ذلك يكفي من أراد تصديق الحق، وعمل على طلب الحق، فلا كفى الله من لم يكفه القرآن، ولا شفى الله من لم يشفه الفرقان، ومن اهتدى به واكتفى، فإنه خير له.

فلذلك ختمة الآية بقوله سبحانه: ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١] وذلك لما يحصلون فيه من العلم الكثير، والخير الغزير، وتزكية القلوب والأرواح، وتطهير العقائد، وتكميل الأخلاق، والفتوحات الإلهية، والأسرار الربانية (١).

البند الثالث: أنَّ عدم الإيمان بعد نزول الآيات التي يطلبوها سبب إهلاكهم:

لقد جرت سنَّة الله في عباده أنَّه إذا أعطاهم ما يطلبون من المعجزات ولم يؤمنوا أن يُنزل بهم شديد عقابه، وأليم عذابه، لأنَّه لم تبقى لهم أدنى حجة، ولا أقل شبه في صدق دعوى نبيهم، كما قال الله تعالى في أصحاب المائدة: ﴿قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ﴾ [المائدة:١١٥] ، وقال تعالى عن ثمود، حين سألوا آية: ناقة تخرج من صخرة عينوها، فدعا صالح ربه، فأخرج له منها ناقة على ما سألوا فكفروا بمن خلقها، وكذبوا رسوله وعقروا الناقة فقال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود:٦٥].

وقد جاء الجواب في القرآن صريحاً، عن علة عدم الاستجابة لطلب المشركين، بنزول آيات مادية، كالتي كانت للأمم السابقة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء:٥٩] .

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ج١، ص٦٣٣.

جاء في سبب نزول هذه الآية عن "ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل الصفا ذهبا وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعون، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم لعلنا نجتبي منهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم، قال: "لا، بل أستأني بهم"، فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ "(١).

قال ابن كثير: أي ما منعنا أن "نبعث الآيات ونأتي بها على ما سأل قومك منك، فإنه سهل علينا يسير لدينا، إلا أنه قد كذب بها الأولون بعدما سألوها، وجرت سنتنا فيهم وفي أمثالهم أنهم لا يؤخرون إذا كذبوا بها بعد نزولها" (٢).

وفي هذه الآية كشف شبهة أخرى من شبه تكذيبهم إذ كانوا يسألون النبي ﷺ أن يأتيهم بآيات على حسب اقتراحهم، ويقولون: لو كان صادقاً وهو يطلب منا أن نؤمن به لجاءنا بالآيات التي سألناه، غروراً بأنفسهم أن الله يتنازل لمباراتهم. فأخبر الله سبحانه أننا نعلم أنهم لا يؤمنون كما لم يؤمن من قبلهم من الكفرة لما جاءتهم أمثال تلك الآيات، فعلم الناس أن الإصرار على الكفر سجية للمشرك لا يقلعها إظهار الآيات، فلو آمن الأولون عند ما أظهرت لهم الآيات لكان لهؤلاء أن يجعلوا إيمانهم موقوفاً على إيجاد الآيات التي سألوها، وفي هذه تثبيت لأفئدة المؤمنين لئلا يفتنهم الشيطان، وتسلية للنبي ﷺ لحرصه على إيمان قومه فلعله يتمنى أن يجيبهم الله لما سألوا من الآيات ولحزنه من أن يظنوه كاذباً (٣).

الفرع الثالث: رد القرآن على المشركين استعجالهم العقاب:

لقد وصل الحد في العناد عند المشركين أمراً عجيباً، ووصل الاستكبار في نفوسهم إلى أقصى درجة، حتى وصل الأمر بهم، أن يطلبوا من نبيهم ﷺ أن يُنزل بهم العقاب، ويُعجل بنصيبهم من العذاب، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ﴾ [ص:١٦].

ولم يكن مشركي العرب هم أول من طلب هذا الأمر، فقد كان أسلافهم من الأمم السابقة، والتي لم تؤمن بربها، مثل هذا المطلب، فطلبوا من أنبيائهم (عليهم السلام) أن يُسرعوا بعذابهم أن كانوا صادقين، فقد قال قوم عاد: ﴿... فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأحقاف:٢٢]،

(١) أسباب النزول، للنيسابوري، ج١، ص٢٨٨.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٥، ص٩١.
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج١٥، ص١٤٢.

وقال قوم لوط عليه السلام: ﴿... ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت:٢٩]، وقال قوم نوح عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود:٣٢].

وقد رد القرآن عليهم بلسان الأنبياء (عليهم السلام) صريحاً، أنَّ نزول العقاب ليس من شأن الرسل، ولا عند طلبكم نزوله، وإنَّما هو بأمر الله إن شاء أنفذه، وإن شاء أوقفه.

فقد قال لهم نوح عليه السلام لمَّا طلبوا منه نزول العقاب بهم: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [هود:٣٣]، أي فأجابهم نوح عليه السلام "بأن ذلك ليس إليه وإنما هو بمشيئة الله وإرادته، وقال إنما يأتيكم به الله إن شاء فإن قضت مشيئته وحكمته بتعجيله عجله لكم، وإن قضت مشيئته وحكمته بتأخيره أخره وما أنتم بمعجزين بفائتين عما أراده الله بكم بهرب أو مدافعة" (١).

وقال لهم هود عليه السلام لمَّا طلبوا منه نزول العقاب بهم: ﴿قَالَ إِنَّمَا العِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [الأحقاف:٢٣]، أي فأجابهم هود عليه السلام "إنما العلم بوقت نزوله، أو بجميع الأشياء التي من جملتها ذلك، عند الله وحده، لا علم لي بوقت نزوله، ولا دخل لي في إتيانه وحلوله، وإنما علم ذلك عند الله، فيأتيكم به في وقته المقدر له. وأبلغكم ما أرسلت به من التخويف والإنذار من غير وقف على تعيين وقت نزول العذاب، ولكني أراكم قوماً تجهلون حيث تقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل، من الإتيان بالعذاب وتعيين وقته" (٢).

المطلب الرابع

رد القرآن على الإشاعات والمجادلة بالباطل

لقد سخَّر الظالمون كل ما باستطاعتهم للنَّيل من الحق، وشنُّوا الحملات الإعلامية على الحق، منذ فجر التاريخ، مستخدمين في ذلك نشر الإشاعات والمعلومات الكاذبة، والجدال الباطل الذي لا يقوم إلا على الكذب والمراء، مساومين الناس على عقائدهم، ولقد كان للقرآن أساليب عديدة في الرد على هذه الحملات الإعلامية، وفي هذا المطلب مسألتان.

المسألة الأولى: منهج القرآن في الرد على الإشاعة:

لأنَّ الإشاعة هي الجزء الأكبر الذي تقوم عليه الحرب الإعلامية، ولأنَّها تعصف بالشعوب، ولأنَّها الطريق الأسهل في نشر الباطل، وتشويه الحق، ولأنَّها تزج بالأفكار الغريبة في

---

(١) فتح القدير، للشوكاني، ج٢، ص٥٦٢.

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، ج٥، ص٣٤١.

نفوس الناس، فقد عالجها القرآن بكل دقة، ووضع لها الحلول الناجعة، والدواء الشافي، وكان رد القرآن في دحض الإشاعة على النحو التالي:

الفرع الأول: وجوب التثبت والتبين من الأخبار:

لقد أكد القرآن الكريم على ضرورة ووجوب التثبت من الأخبار، ورسم طريقاً في الدعوة إلى التثبت، والتحذير من انعدامه، لما ينتج عنها من ويلات لا تُحمد عقباها، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [الحجرات:٦] .

إنَّ الله تعالى يأمر المؤمنين بوجوب التثبت من أخبار الفاسقين، ويوضح لهم كيف يتلقون الأنباء، وكيف يتصرفون بها، ويقرر ضرورة التثبت من مصدرها، ويخصص الفاسق؛ لأنه مظنة الكذب، وذلك حتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء، فيقع ما يشبه الشلل في معلوماتها فمدلول الآية عام، وهو يتضمن مبدأ التمحيص والتثبت من خبر الفاسق فأما الصالح فيؤخذ بخبره، لأن هذا هو الأصل في الجماعة المؤمنة، وخبر الفاسق استثناء. والأخذ بخبر الصالح جزء من منهج التثبت لأنه أحد مصادره [١].

"وفي تنكير الفاسق والنبأ شياع في الفساق والأنباء، كأنه قال: أي فاسق جاءكم بأي نبأ، فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة، ولا تعتمدوا قول الفاسق لأنّ من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه" [٢].

ومن الدلائل اللغوية في الآية، والتي تؤكد على ضرورة الالتزام بهذا الخلق ما يلي:

* النداء بلفظ الإيمان ترغيب في التثبت؛ لأنَّ من مقتضيات الإيمان الالتزام بما بعد النداء.
* في تسمية من يأتي بالخبر فاسقاً تنفيراً، وزجراً عن الاستعجال في الأمر من غير تثبت.
* التعبير بكلمة (**فَتُصْبِحُوا**) بالمضارع، تدل على أنَّ هذا الندم سيستمر معكم، إن لم تتثبتوا، ومعناها فتصيروا ولكن عبر بها لأنَّ أبشع الندم ما استقبل الإنسان صباحا وقت انتباهه [٣].
* لفظة (**إن**) في الآية دلالة واضحة على أنَّ خبر الفاسق يجب أن يكون قليلاً في المجتمع المسلم.

ومن روائع القصص التي تدل على وجوب التثبت من الأخبار، ما جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا**

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٣٤١.

(٢) الكشاف، للزمخشري، ج٤، ص٣٦٠.

(٣) انظر: منهج القرآن الكريم في التثبت، ص٩.

﴿فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦]، عن الحرث بن ضرار الخزامي قال: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فأقررت به ودخلت فيه، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها، وقلت يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته فترسل إليَّ أحداً ليأتيك ما جمعت من الزكاة، فبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة ليقبض ما كان عنده، فلما أن سار الوليد فرق فرجع فقال: إن الحرث منعني الزكاة وأراد قتلي فضرب رسول الله ﷺ البعث إلي الحرث، فأقبل الحرث بأصحابه إذ استقبل البعث فقال لهم: إلى أين بعثتم؟ قالوا إليك. قال: ولم قالوا: رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته ولا أتاني، فلما دخل على رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ قال: لا والذي بعثك بالحق فنزلت الآية [(١)].

عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة، فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ فبعث إليَّ النبي ﷺ فقال: "**إن الله قد صدقك يا زيد**" [(٢)].

"وفي هذا الإجراء من النبي ﷺ دليل على وجوب التحري والتثبت، حتى لو نقلت الإشاعة عن العدو" [(٣)].

الفرع الثاني: كشف المنافقين وفضحهم:

"لقد لعب المنافقون دوراً بارزاً في بث الإشاعات داخل الصف المسلم. وقد عايش الإسلام هذا النموذج في عصره الأول، وعانى منه الكثير من الدس والتضليل واللف والدوران، مما كان يشارك في عملية إرباك الحياة الإسلامية، في حركة المجتمع الإسلامي في الداخل والخارج" [(٤)].

ولأنَّ المنافقين هم أكثر من يقوم بهذا الدور من الصد عن سبيل الله، عن طريق نشر الإشاعات الباطلة، والمحرضة على الدين، لأنَّهم يتسترون بالدين وكأنَّهم من أهله، وهم في حقيقة الأمر ألد الأعداء لهذا الدين، فقد جاءت آيات القرآن متلاحقة في بيان صفات المنافقين وسماتهم، حتى لا يدخل زيفهم على أحدٍ من المسلمين قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ

(١) انظر: لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص١٨٠.

(٢) انظر: الصحيح المسند من أسباب النزول، للوادعي، ص٢١٤ الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الرابعة.

(٣) الإشاعة إلى أين، لأبي القرع، ص١٢٨.

(٤) سيكولوجية الإشاعة رؤية قرآنية، للسعيد، ص١٠٢، الناشر: دار دجلة، الطبعة الأولى.

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٠].

قال ابن كثير: أي ولتعرفنَّ المنافقين "فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم، يفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه، وهو المراد من لحن القول، كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ: ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه" (١).

وفي مقدمة سورة البقرة والتي ذُكر فيها أقسام الناس ذكر الله سبحانه أوصاف المؤمنين بخمسة آيات، وذكر الكافرين بآيتين، وذكر المنافقين بثلاثة عشر آية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ... إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٨-٢٠].

ويتضح من مقدمة سورة البقرة أن الحيز الذي استغرقه رسم هذه الصورة الثالثة وهي صورة المنافقين قد جاء أفسح من الحيز الذي استغرقه رسم الصورة الأولى للمؤمنين، والصورة الثانية للكافرين، ذلك أن كلاً من الصورتين الأوليين فيه استقامة على نحو من الأنحاء، وفيه بساطة على معنى من المعاني، وهذه الإطالة توحي بضخامة الدور الذي كان يقوم به المنافقون في المدينة لإيذاء الجماعة المسلمة، ومدى التعب والقلق والاضطراب الذي كانوا يحدثونه كما توحي بضخامة الدور الذي يمكن أن يقوم به المنافقون في كل وقت داخل الصف المسلم، ومدى الحاجة للكشف عن ألاعيبهم ودسهم اللئيم (٢).

لذا يجب على كل مسلمٍ في موقعه أن يكون سداً منيعاً أمام سيل الإشاعات الذي يسيره المنافقون، ومما ييسر كشف الشائعات هي معرفة عمن تصدر هذه الإشاعات، وقد بين لنا القرآن صفات المنافقين، وبين لنا النبي ﷺ صفاتهم لنحذر من كل ما يقولونه من كلام، أو ينشرونه من معلومات.

الفرع الثالث: الكشف والتحصين:

لم يكتف الخطاب القرآني بأسلوب فضح المنافقين والقائمين على نشر الإشاعات، وتحديد سماتهم، وذكر صفاتهم، حتى يراها الناس، وإنَّما إلى خطوة أخرى مهمة، وهي كشف الأساليب الدعائية وتعريتها، وفق ما يسمى بلغة العصر الإعلام، والإعلام المضاد، فقد ركز القرآن على كشف زيف الإشاعات، وتعرية هذه المعلومات الخاطئة، وبيان التناقض والكذب فيها، لإسقاط

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٧، ص٣٢٢.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، ج١، ص٤٥.

فاعليتها، وتوجيه رد الفعل ضد مروجيها (١).

فقد جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩٩-١٠٠] . أنَّه كان بين حيين من الأوس والخزرج قتال في الجاهلية، فلما جاء الإسلام اصطلحوا وألف الله بين قلوبهم، وجلس يهودي في مجلس فيه نفر من الأوس والخزرج، فأنشد شعراً قاله أحد الحيين في حربهم، فكأنهم دخلهم من ذلك، فقال الحي الآخرون: وقد قال شاعرنا في يوم كذا: كذا وكذا، فقال الآخرون: وقد قال شاعرنا في يوم كذا: كذا وكذا، قال: فقالوا: تعالوا نرد الحرب جذعاً كما كانت، فنادى هؤلاء: يا آل أوس، ونادى هؤلاء يا آل خزرج؛ فاجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال: "**يا معشر المسلمين، بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم، فترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا؟ الله الله**". فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم وكبوا، وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين (٢).

فرسول الله ﷺ فنَّد ما أوقعه اليهودي من تذكير المسلمين بالماضي، وتذكيرهم بنعمة الإسلام بعد ما كانوا كفاراً، والمتتبع لآيات القرآن يجد في أكثر من موقع، هذه العملية المزدوجة من كشف وتعرية إشاعات أعداء الإسلام، وتحصين المسلمين من سمومهم، بتعزيز الثقة في نفوسهم، وتنمية الوعي بين صفوفهم (٣)، ومن هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩-١٥٠] .

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣-١٤] .

الفرع الرابع: طلب الدليل والبرهان:

ينبغي لمن سمع إشاعة ألا يسارع إلى تصديقها، بل يجب عليه أن يبحث عن الأدلة والبراهين التي تدل على صدقها، أو تكشف زيفها وكذبها، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك صراحةً،

---

(١) انظر: سيكولوجية الإشاعة، للسعيد، ص١٠٣.

(٢) انظر: أسباب النزول، للنيسابوري، ص١١٦.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ١٠٥.

قال تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الكَاذِبُونَ﴾ [النور:١٣].

وهذه الآية من ضمن الآيات التي نزلت في تبرئة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) بعد حادثة الإفك، والتي كانت من أخطر الإشاعات التي أصابت المجتمع المسلم في عهد النبوة، على صاحبها أفضل صلاة وأتم تسليم، ويُستدل من هذه الآية "على أنَّ الواجب من المؤمن أن لا يصدق من يرمي مؤمناً بفاحشة، وأن يقول له هل تستطيع أن تأتي بأربعة شهداء على قولك فإن قال لا قال له إذاً أنت عند الله من الكاذبين، وحرمة القول بدون علم والخوض في ذلك" (١).

الفرع الخامس: الامتناع التام عن قول الإشاعة ومداولتها:

قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥-١٦].

وهاتين الآيتين من ضمن الآيات التي نزلت في تبرئة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) بعد حادثة الإفك، والمعنى أنَّ بعضاً من المؤمنين أصبحوا يتداولون هذا الخبر بألسنتهم، ويتناقلونه في ما بينهم، من غير دليل ولا برهان على صحته، وهم يحسبون أنَّه أمرٌ هين بسيط، والواقع أنَّه عند الله من الذنوب العظيمة الكبيرة، ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أي: وكان الأصل بكم أيها المؤمنون عند سماعكم للإفك ﴿قُلْتُمْ﴾ منكرين لذلك، معظمين لأمره: ﴿مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ أي: ما ينبغي لنا، وما يليق بنا الكلام، بهذا الإفك المبين؛ لأن المؤمن يمنعه إيمانه من ارتكاب القبائح(٢).

ولو أنَّ كل مؤمن التزم هذا المنهج في تعامله مع الإخبار والمعلومات التي تصدر من أماكن مجهولة، لما كان للشائعات في المجتمع الإسلامي من سبيل، وقد حذرنا النبي ﷺ من آفات اللسان، فكثيرة هي الأحاديث التي دعت المؤمن لأن يضبط لسانه، ولا يتكلم ما يضر بالمسلمين. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع**" (٣).

---

(١) أيسر التفاسير، للجزائري، ج٣، ص٥٥٥.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ج١، ص٥٦٣.

(٣) صحيح مسلم، مقدمة الكتاب، رقم الحديث: ٤.

الفرع السادس: المواجهة:

وبعد ذلك ينتقل الموقف القرآني مع مروجي الإشاعات والأراجيف إلى الشدة والعنف، حيث مرحلة المواجهة الحاسمة، ومن ذلك:

البند الأول: تحطيم الرموز المعادية وكشف نواياهم:

وفي إطار الحرب الإعلامية المضادة التي يقودها المجتمع الإسلامي ضد ما يثيره الظالمون وأعوانهم من شائعات لإجهاض الحق، لا بد من تعرية رؤوس الفتنة، وتسليط الضوء على ما هم فيه فساد وظلم كبير، حتى لا يثق الناس بأي معلومة تصدر من هذه الفئة.

وقد استخدم القرآن هذا الأسلوب لتعرية المنحرفين، وكشف زيفهم وجناياتهم على الإنسانية، فقال ﷻ واصفاً العدو الأكبر لموسى عليه السلام ولدعوة الحق، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٤] ، وقال سبحانه واصفاً أعداء النبي ﷺ وأعداء الدين الإسلامي: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ [المسد: ١-٥].

ووصف القرآن الوليد بن المغيرة الذي عرف الحق لكنه أبى أن يسلم، ووصف القرآن بأنَّه سحر يؤثر: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ(١٦)﴾[القلم: ١١-١٦].

وبهذا الأسلوب يكشف القرآن حملته الإعلامية على رموز الجريمة والعدوان، ومصدر الإشاعات، لهدم شخصياتهم، وللإجهاز على دورهم القيادي، وتحطيم الثقة بينهم وبين الأتباع (١).

البند الثاني: إنزال العقوبة فيمن يصدرون الإشاعات:

لأنَّ آخر العلاج الكي، كان من منهج القرآن في الرد على من يصدرون الإشاعات، إنزال العقوبات المناسبة بهم، والتي تردعهم أن لا يعودوا لمثل هذا الإجرام، ويردع أمثالهم ممن تسول لهم نفوسهم أن ينشروا أباطيلهم في وسط المجتمع المسلم.

ومن العقوبات التي ذكرها القرآن في حق المرجفين والمنافقين، نفيهم من المجتمع الإسلامي: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:٦٠] .

---

(١) انظر: سيكولوجية الإشاعة رؤية قرآنية، للسعيد، ص١١٤.

أي لئن لم ينته أهل النفاق الذين يستسرون بالكفر ويظهرون الإيمان، والذين في قلوبهم ريبة من شهوة الزنا، وحب الفجور، وأهل النفاق أيضاً الذين يرجفون برسول الله ﷺ وبالمؤمنين، لنسلطنك عليهم، ثم لننفينهم عن مدينتك فلا يسكنون معك فيها إلا قليلاً من المدة والأجل، حتى تنفيهم عنها فنخرجهم منها (١).

وفي غزوة الأحزاب قال المنافقون شائعاتهم، لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد، وشكا في الحق، وإرجافاً بالمسلمين، فأنزل الله تعالى فيهم، قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨١-٨٢].

ولمَّا بلغ رسول الله ﷺ، أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي، يثبطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فبعث إليهم النبي ﷺ طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم، ففعل طلحة (٢).

وخلاصة القول من تلك الأوامر القرآنية والهدي النبوي ما يؤكد مسؤولية جميع أفراد المجتمع لمكافحة الإشاعات بشتى أنواعها، بعدم ترديدها أو ترويجها في المجتمع، وإبلاغ المسؤولين عنها فور سماعها، والاهتمام بنشر التوعية بين أفراد الشعب، وتفنيد الإشاعات بالاستناد إلى الحجج والبراهين والحقائق الصادقة، والالتزام بمبدأ التثبت من جميع الأخبار والروايات الصادرة من مصادر غير موثوق فيها، وتعزيز الثقة في نفوس المؤمنين (٣).

المسألة الثانية: رد القرآن على المجادلة بالباطل:

لقد استخدم أهل الباطل منذ القدم وإلى عصرنا الحاضر الجدل في مخاصمة أهل الحق، مسخرين لذلك كل إمكاناتهم الإعلامية، محاولين طمس الحق بكل ما أُوتوا من أساليب، وقد جاء رد القرآن على هذا الجدال على النحو التالي:

الفرع الأول: الجدال بالتي هي أحسن:

إنَّ الجدال الباطل الغير قائم على دليل وبرهان، ليس من سمة المؤمنين، ولا من صفة المسلمين بل إنَّ الله سبحانه نهى عباده عن الجدال إلا بالتي هي أحسن.

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ج٢، ص٣٢٨.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، ج٢، ص٥١٧.

(٣) انظر: موقف الشريعة الإسلامية من الإشاعة، ص٢٠٥، رسالة ماجستير، المؤلف: عبدالله الحربي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

وقد ذكر الله سبحانه لفظة الجدل وما تصرف منها في كتابه العزيز في تسعة وعشرين موضعاً، وقد جاء الجدل مذموماً في كل موضعٍ إلا في ثلاثة مواضع (١):

الأول: قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾ [النحل:١٢٥].

الثاني: قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾ [العنكبوت:٤٦].

الثالث: قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ...﴾ [المجادلة:١].

والمجادلة بالتي هي أحسن تعني: اتباع الطريقة التي هي أحسن في التوصيل إلى الإقناع، فإن لم يكن إقناع فتقريب، فإن لم يكن تقريب لَا يكن تنفير، فهو يبين لهم الحق في غير مخاشنة وإن خاشنوه، وفي غير غضب وإن غاضبوه، فالنبي ﷺ كان لَا يغضب ولكن يدعو بالتي هي أحسن فلا يفاجئهم بما لَا يحبون، بل يأتيهم بالحق مما يحبون ما دام لم يكن باطلاً، ولا يكون جافياً في قول أو خلق، ولا يكون غليظاً بادي الغلظة، بل يكون ودوداً بادي الودة، من غير أن يكون مداهنا في حق، فإن المشركين يودون أن يكون مداهنا في الحق (٢).

فهذا هو حال المؤمن أن يجادل بالحق، ودفاعاً عن الحق، مسخراً لذلك كل الأدلة والبراهين، لإنارة الطريق المستقيم، الموصل إلى جنَّة رب العالمين، أمَّا ما كان من الجدال لا يقوم على الحق، أو كان لا يهدف إلى إيصال الحق للمنكرين، فهذا مذمومٌ ومنهي عنه، وقد رغب النبي ﷺ بترك هذا الجدال العقيم، وحفز المؤمن بتركه، فعن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: "**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**" (٣).

الفرع الثاني: الإقناع والدليل بدل الجدال العقيم:

لقد نزل القرآن الكريم لهداية النَّاس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإنقاذهم من طرق الشيطان، إلى طريق الرحمن، فجاء القرآن مشتملاً على عدد كبير من الأدلة الدالة على صدق نبوة النبي ﷺ وكل ما يدعو إليه من وحدانية الله سبحانه، وإخبار عن البعث والحساب وغيرها من المغيبات، "قال العلماء: قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به لكن

---

(١) انظر: استخراج الجدال من القرآن الكريم، للعبدلي، ص١، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة الثانية.

(٢) انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة، ج٨، ص٤٣٠٥.

(٣) المرجع السابق، ج٨، ص٤٣٠٥.

أورده على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين" [١].

وقد كان الأنبياء (عليهم السلام) يأتون لأقوامهم بكل ما أمكنهم من أدلة وبراهين لإجلاء الحق وإظهاره، بعيداً عن الجدال العقيم، الذي لا يوصل إلى الحق، فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام ينصح أباه باتباع الحق، محاولاً إقناعه بكل ما أوتي من براعةٍ في الإقناع، مسخراً كل ذلك، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آَلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[مريم: ٤١-٤٦]

بهذا اللطف في الخطاب يتوجه إبراهيم عليه السلام إلى أبيه، يحاول أن يهديه إلى الخير الذي هداه الله إليه، وعلمه إياه وهو يتحبب إليه فيخاطبه: ﴿يَا أَبَتِ﴾ ثمَّ يبدأ إقناعه بسؤال: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ فهذه هي اللمسة الأولى التي يبدأ بها إبراهيم دعوته لأبيه، ثم يتبعها بأنه لا يقول هذا من نفسه، إنما هو العلم الذي جاءه من الله فهداه. وليست هناك غضاضة في أن يتبع الوالد ولده، إذا كان الولد على اتصال بمصدر أعلى، وبعد هذا الكشف يبين له أنَّ ما هو عليه من عبادة الأصنام إنَّما هو طريق الشيطان، وهو يريد أن يهديه إلى طريق الرحمن، فهو يخشى أن يغضب الله عليه فيقضي عليه أن يكون من أتباع الشيطان. ولكن هذه الدعوة اللطيفة بأحب الألفاظ وأرقها لا تصل إلى القلب المشرك الجاسي، فإذا أبو إبراهيم يقابله بالاستنكار والتهديد والوعيد، قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آَلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ بهذه الجهالة تلقى الرجل الدعوة إلى الهدى، وبهذه القسوة قابل القول المؤدب المهذب، وذلك شأن الإيمان مع الكفر وشأن القلب الذي هذبه الإيمان والقلب الذي أفسده الكفر، ولم يغضب إبراهيم الحليم عليه السلام، ولم يفقد بره وعطفه وأدبه مع أبيه بل قال: **(سَلَامٌ عَلَيْكَ)** سلام عليك.. فلا جدال ولا أذى ولا رد للتهديد والوعيد، سأدعو الله أن يغفر لك فلا يعاقبك بالاستمرار في الضلال وتولي الشيطان، بل يرحمك فيرزقك الهدى، وإذا كان وجودي إلى جوارك ودعوتي لك إلى الإيمان تؤذيك فسأهجركم وما تدعون من دون الله [٢]، وعلى مثل هذا النهج يسلك المؤمن في دعة النَّاس إلى دين الله، بعيداً عن الجدال الفاسد.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج٤ ص٦٠، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٣١٢.

المطلب الخامس

رد القرآن على المساومة على العقيدة

لقد حاول الظالمون أن يثنوا المؤمنين عن دينهم وحقهم بكل إغراءٍ ممكن أن يزعزع الإيمان في القلب، فعرضوا على المسلمين أنصاف الحلول، وفتحوا أمام أعينهم أبواب الدنيا إن هم قبلوا وهذا ما بينه الباحث في وسائلهم (١)، فجاء الرد القرآني على ذلك حاسماً، بأوضح صورة، وأبلغ تعبير، فالمؤمن يبقى مؤمن، والكافر يبقى كافر، والفارق بينهم كالحي والميت. قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[الكافرون: ١-٦].

لقد بينت سورة الكافرون إن التوحيد منهج، والشرك منهج آخر لا يلتقيان فالتوحيد منهج يتجه بالإنسان مع الوجود كله إلى الله وحده لا شريك له. فالجاهلية جاهلية، والإسلام إسلام، والفارق بينهما بعيد. والسبيل هو الخروج عن الجاهلية بجملتها إلى الإسلام بجملته. هو الانسلاخ من الجاهلية بكل ما فيها والهجرة إلى الإسلام بكل ما فيه، فلا يصح لا الترقيع، ولا أنصاف حلول، ولا التقاء في منتصف الطريق.. مهما تزيت الجاهلية بزي الإسلام، أو ادعت هذا العنوان! وتميز هذه الصورة في شعور الداعية هو حجر الأساس، شعوره بأنه شيء آخر غير هؤلاء، لهم دينهم وله دينه، لهم طريقهم وله طريقه، لا يملك أن يسايرهم خطوة واحدة في طريقهم، ووظيفته أن يسيرهم في طريقه هو، بلا مداهنة ولا نزول عن قليل من دينه أو كثير! وإلا فهي البراءة الكاملة، والمفاصلة التامة، والحسم الصريح.. «لكم دينكم ولي دين» وما أحوج الداعين إلى الإسلام اليوم إلى هذه البراءة وهذه المفاصلة وهذا الحسم ما أحوجهم إلى الشعور بأنهم ينشئون الإسلام من جديد في بيئة جاهلية منحرفة (٢).

وهذا ما عاشه النبي ﷺ واقعاً في حياته، فلم يقبل من أهل الشرك مداهنةً، ولا حلولاً وسطاً، ولا التقاءً في منتصف الطريق، ولمَّا عرضوا عليه أموالهم ونفوذهم، "هان كل شيء في هذا الوجود أمام أداء تلك الرسالة الكبرى التي كرمه الله بها وقال كلمته المأثورة: والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته"(٣).

---

(١) انظر: البحث ص٥٧.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، ج٦، ص ٣٩٩٢ بتصرف؟

(٣) القول المبين في سيرة سيد المرسلين، للنجار، ج١، ص١٢٨، الناشر: دار الندوة الجديدة، قال الألباني: حديث ضعيف، (السلسلة الضعيفة، ٩١٣).

وهذا ما عاشه أصحاب النبي ﷺ في حياتهم، فقد أعلن أبو بكر الصديق ﷺ الحرب بلا هوادة ضد من فرقوا بين الصلاة والزكاة، وسير الجيوش في سبيل ذلك، لأنَّ الحق واضحٌ منير، ولا يُقبل من أحدٍ غير الحق الكامل، فلا بد لكل مسلمٍ أن يخضع نفسه للحق، ولا يُعطي الدنية في دينه، ولا يتنازل عن جزء من خلقه، مهما أغراه أهل الباطل، ومهما عرضو عليه من أموال، فالدنيا بكل ما فيها لا تساوي ركعة يصليها المؤمن بإخلاص.

المطلب السادس

شدة الكافرين سكينة على المؤمنين

لقد ذكر الباحث (١) ما يصبه أهل الباطل والظلم على مدار الأزمان على أهل الحق من شدةٍ، مستخدمين كل الوسائل لثنيهم عن نصرة الإسلام، وإبعادهم عن سدة الحكم، ودب اليأس في أجياله الصاعدة، فسجون الظالمين قد مُلئت بالأحرار، والمنفيون من أرضهم من المسلمين نراهم في كل بقعةٍ من هذا العالم، أضف إلى ذلك أنَّ كل من يرفع رايةً للحق، وشعاراً للإسلام، يُفرض عليه الحصار من كل اتجاه، ليثبتوا للناس ظلماً وزوراً أنَّ هذا الدين لا يصلح أن يسوس أمر العامة، ووالله لقد كذبوا وخابوا، ولقد رد القرآن على هذه الشدة من الكافرين، مُطمئناً المؤمنين أنَّ هذه الآلام هي رحمةٌ لهم، ورفعة في درجاتهم، وتكفيراً لسيئاتهم، وهي بدايةٌ لنهاية انتفاش الحق، وانهيار لأنظمة الظلم المنافقة.

المسألة الأولى: الابتلاء سنة الله في عباده:

إنَّ المؤمن ينظر إلى ما يصيبه من شدةٍ وخوف، وألمٍ وبطشٍ من الكفار، إلى أنَّه ابتلاءٌ من الرحيم الغفار، فيصبر صبر الأبطال، ويتحمل من الشدائد ما لا تحمله الجبال العوالي، لأنَّه يعلم أنَّ هذه هي سنة الله في عباده، وهي لا تتغير ولا تتبدل، فما من نبيٍ إلا وقد آذاه قومه وعادوه، ومن داره أخرجوه، وبجملةٍ من الإشاعات رموه، وبالمجادلة بالباطل أرهقوه، وكثيرة هي الآيات من القرآن والتي تبين هذا المعنى ومنها:

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤].

قال الإمام الطبري (رحمه الله): "معنى الكلام: أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسله تدخلون الجنة، ولم يصبكم مثلُ ما أصاب مَن قبلكم مِن أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار، فتُبتلوا بما ابتُلوا واختبروا به من شدة الحاجة والفاقة والعلل والأوصاب ولم تزلزلوا

(١) انظر: البحث ص٦٢.

زلزالهم"[1]، وبدأت الآية بهمزة الاستفهام وهي تفيد التقرير والإنكار، أي: أحسبتم دخولكم الجنة واقعاً، ولم تمتحنوا بمثل ما امتحن به من كان قبلكم، فتصبروا كما صبروا، وقد ذكر الله سبحانه هذا تسليةً لرسوله ﷺ وتثبيتاً للمؤمنين، وتقوية لقلوبهم [2]، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢] ، وقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:٢] .

ولمَّا كان الأنبياء أعز الناس على الله، وأكملهم إيماناً، كانوا أكثر الناس ابتلاءً، وأكثرهم معاناتاً في هذه الدنيا، وكلما كان العبد من ربه أقرب، كان نصيبه من الابتلاء أكبر، وحصته من الآلام أعظم، قال رسول الله ﷺ: **(إن من أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)** [3].

وقال الفضيل ابن عياض[4] (رحمه الله): "إذا أحب الله عبداً أكثر غمه في الدنيا، وإذا أبغض عبداً وسَّع عليه دنياه"[5]؛ لأنَّه طريق الجنة التي حُفت بالمكاره، فهي ليست طريقاً مفروشاً بالورود الحمراء، ولكنَّه طريقاً مفروشاً بالدماء الحمراء، وروائح الوصول إلى الجنَّة ليست روائح الشهوات والملهيات، وإنَّما روائح المسك المنبعثة من الدماء والأشلاء.

وكان الابتلاء لحكمةٍ عظيمة وهي أن يُكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف في عالم الله المغيب عن البشر، ليظهر الصبح لذي عينين، ويتميز المؤمن من الكافر، والصادق من الكاذب، والمخلص من المرائي، والأشعث الأغبر الذي إذا أقسم على الله لأبره، والعالم الذي أضله الله على علم، وذلك بابتلائهم بالمحنة ليختبر صبرهم، وبالمنحة ليختبر شكرهم، ثمَّ ليتأهلوا بعد ذلك لأن يكونوا أهل لنصر الله ﷻ [6].

وفي البلاء أربعة فوائد: احتساب الأجر، ومعايشة الصبر، وحسن الذكر، وتوقع اللطف، ولنا في سنن الزمان عبرةٌ وآية فهذا رسول ﷺ طرد من مكة فأقام في المدينة دولة ملأت سمع

(١) جامع البيان، للطبري، ج٤، ص٢٨٨.

(٢) انظر: فتح القدير، للشوكاني، ج١، ص٢٤٧.

(٣) سبق تخريجه: انظر: ص٦٣.

(٤) هو الإمام، القدوة، الثبت، شيخ الإسلام، المجاور بحرم الله، وارتحل في طلب العلم، كان شاطراً يقطع الطريق وكان سبب توبته أنه سمع تالياً يتلو﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحَدِيْدُ: ١٦] وله أقوال مأثورة كثيرة منها: من خاف الله، لم يضره أحد، ومن خاف غير الله، لم ينفعه أحد.(سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٣٩٣).

(٥) الصحوة القريبة، للحجار، ص٣٨١، الناشر: دار البشائر، الطبعة الرابعة.

(٦) انظر: الثقة في نصر الله، لجمعة عبد العزيز، ص٥٤، الناشر: دار الدعوة، الطبعة الثانية.

التاريخ وبصره. وسجن أحمد بن حنبل وجلد، فصار إمام السنة، وحبس ابن تيمية فأخرج من حبسه علماً جماً، ووضع السرخسي في قعر بئر معطلة فأخرج عشرين مجلداً في الفقه، وأقعد ابن الأثير فصنف جامع الأصول والنهاية من أشهر وأنفع كتب الحديث، ونفي ابن الجوزي من بغداد، فجود القراءات السبع، إذا نزل بك بلاء فانظر في الجانب المشرق منه، وإذا ناولك أحدهم كوب ليمون فأضف إليه حفنة من سكر، وإذا أهدى لك ثعباناً فخذ جلده الثمين واترك باقيه، وإذا لدغتك عقرب فاعلم أنه مصل واق ومناعة حصينة ضد سم الحيات (١).

إذاً فالمؤمن ينظر إلى العذابات الواقع عليه من الظالمين والكافرين بشتى أساليبها، وتعدد طرقها، إلى أنَّها ابتلاءٌ من الله ﷻ، ليختبر حقيقة إيمانه، وصدق يقينه، فيصبر ويحتسب، ويفوض أمره إلى الله، آخذاً بكل أسباب النجاح والنصر، منتظراً فرج الله ﷻ.

المسألة الثانية: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا:

فمهما مكر أهل الباطل، ومهما زاد حقدهم الأسود، ومهما عقدوا من مؤتمرات، ومهما أنفقوا من أموال، فالأمر أولاً وآخراً بيد ملك الملوك وعلاَّم الغيوب، ولن يؤخر الجبن أجلاً، ولن تقدم الشجاعة أجلاً، وكل ما يُصيب المؤمن في هذه الدنيا هو خيرٌ له، وإن كان ظاهره غير ذلك، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١].

وتأمل ملياً أمام لفظة **(لَنَا)** في الآية، فكله لنا، ولا شيء علينا، وما رأيناه وظننا أنَّه شراً فهو خيرٌ لنا، ولكننا عن حكمة الله من هذا الذي أصابنا محجوبون، " والله قد كتب للمؤمنين النصر، ووعدهم به في النهاية، فمهما يصبهم من شدة، ومهما يلاقوا من ابتلاء، فهو إعداد للنصر الموعود، لينالـه المؤمنون عن بينة، وبعد تمحيص، وبوسائله التي اقتضتها سنة الله، نصراً عزيزاً لا رخيصاً، وعزة تحميها نفوس عزيزة مستعدة لكل ابتلاء، صابرة على كل تضحية، والله هو الناصر وهو المعين" (٢)، والواقع أن العدو يفرح بمصاب عدوه لأنه ينكد عدوه ويحزنه، فإذا علموا أن النبي ﷺ وكل المؤمنون من بعده، لا يحزن لما أصابهم زال فرحهم، وفي الآية تعليم للمسلمين التخلق بهذا الخلق: وهو أن لا يحزنوا لما يصيبهم لئلا يهنو وتذهب قوتهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩] وأن يرضوا بما قدر الله لهم ويرجوا رضا ربهم لأنهم واثقون بأن الله يريد نصر دينه (٣).

---

(١) انظر: لا تحزن، لعائض القرني، ص٤٩، الناشر: مكتبة العبيكان.

(٢) في ظلال القرآن، ج٣، ص١٦٦٤.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج١٠، ص٢٢٣.

وإنَّ المؤمن الحق دائم السعادة، مطمئن القلب، راضياً بقضاء الله، لأنَّه يعلم أنَّ كل ما أصابه إنَّما هو خيرٌ له، وقد قال النبي ﷺ: "**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له**"(١)، فالرسول ﷺ أظهر العجب على وجه الاستحسان لأمر المؤمن أي لشأنه، فإن شأنه كله خير، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن، فالمؤمن على خيرٍ في كل حال، فإن أصابته الضراء صبر على أقدار الله، وانتظر الفرج من الله، واحتسب الأجر على الله؛ فكان ذلك خيراً له، فنال بهذا أجر الصابرين، وإن اصابته سراء من نعمة دينية كالعلم والعمل الصالح، ونعمة دنيوية، كالمال والبنين والأهل شكر الله، وذلك بالقيام بطاعة الله ﷻ، فيشكر الله فيكون خيراً له، ويكون عليه نعمتان: نعمة الدين، ونعمة الدنيا. نعمة الدنيا بالسراء، ونعمة الدين بالشكر، هذه حال المؤمن، فهو علي خير في كل خير(٢).

المسألة الثالثة: الحياة والموت بيد الله:

وأمَّا هذه فاسألوا عنها أصحاب الإيمان الصادق، واسألوا عنها أصحاب العمليات الاستشهادية، واسألوا عنها المرابطين المحتسبين، واسألوا عنها العلماء العاملين، بل اسألوا عنها كل مسلم لم يُعط الدنية في دينه للظالمين، فهي كالبلسم الشافي لكل هؤلاء، لأنَّهم يعتقدون اعتقاداً جازماً لا يُخالطه شك، ولا يُنازعه ريب، أنَّ الحياة والموت بيد ملك الملوك سبحانه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿... وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:٣٤]، وقال رسول الله ﷺ: "**أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل، ودعوا ما حرم**" (٣).

واعتقاد المسلمين هذا هو ما يُفسر لنا كيف يستطيع أن يثبت ثلاثة آلاف من الصحابة في مقابل مائتي ألف من الروم في غزوة مؤتة، وهذا ما يُفسر لنا أيضاً كيف يستطيع ثلةٌ من المجاهدين بأقل العتاد العسكري، أن يهزموا جيش اليهود الذي يُعد من أقوى الجيوش في المنطقة، ويُلحقون به من النكبات ما فاجأ العدو والصديق، فما كان هذا إلا لأنَّ العقيدة قد ترسخت في النفس، فما وجد الجبن إلى القلوب من سبيل، فانعكست هذه العقيدة على الجوارح سكينة وطمأنينة.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله له خير، رقم الحديث:٢٩٩٩.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ج١، ص١٩٧، الناشر: دار الوطن، الرياض.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب الاقتصاد في طلب المعيشة، رقم الحديث:٢١٤٤، قال الألباني: صحيح.

وكيف لا يكون حال الصادقين الثابتين كذلك وهم يسمعون آيات الله، تفضح المنافقين، وتكشف خفاياهم، وتبين حقيقتهم، بأنَّهم أهل جبن وفرار في وقت الشدائد، قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولًا * قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا * قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[الأحزاب: ١٥-١٧].

المسألة الرابعة: الشهادة أغلى عبادة:

إنَّ أقصى ما يفعله الظالمون ضد أهل الحق من عقوبات ينزلونها بهم، ونهاية المطاف في الصراع بين الأحرار والعبيد، هو أن يقوم أهل الباطل بقتل واغتيال الثابتين الموحدين، وذلك لتخلص منهم نهائياً، وانهاء دورهم في هذا الصراع، وفي المقابل فهذا أقصى وأحلى وأغلى ما يتمناه هذا الثابت على دينه، لأنَّ الشهادة أغلى أمانيه، ويوم شهادته يوم زفافه، ووالله إنَّ ثلاث كلماتٍ من كتاب الله لتجعل المؤمن يهيم شوقاً، للحصول على هذا الشرف الذي ما بعده شرف قال تعالى: ﴿... وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ...﴾ [الحديد:١٩] ، فمن كانوا في ضيافة الله ماذا ستكون ضيافتهم.. ومن كانوا في رعاية الله ماذا ستكون كرامتهم.. إنَّه الأجر الذي ما بعده أجر، وقد بين لنا الله سبحانه وتعالى أنَّ الشهداء أحياء في جنان النعيم، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٥٤] .

فمن المعلوم أن المحبوب لا يتركه العاقل إلا لمحبوب أعلى منه وأعظم، فأخبر تعالى: أن من قتل في سبيله، بأن قاتل في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه الظاهر، لا لغير ذلك من الأغراض، فإنه لم تفته الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل، مما تظنون وتحسبون، وأي شيءٍ أعظم هذه الحياة المتضمنة للقرب من الله تعالى، وتمتعهم برزقه البدني في المأكولات والمشروبات اللذيذة، والرزق الروحي، وهو الفرح، والاستبشار، وزوال كل خوف وحزن، وهذه حياة برزخية أكمل من الحياة الدنيا، وفي هذه الآية، أعظم حث على الجهاد في سبيل الله، وملازمة الصبر عليه، فلو شعر العباد بما للمقتولين في سبيل الله من الثواب لم يتخلف عنه أحد، ولكن عدم العلم اليقيني التام، هو الذي فتر العزائم، وزاد نوم النائم، وأفات الأجور العظيمة والغنائم، فو الله لو كان للإنسان ألف نفس، تذهب نفساً فنفساً في سبيل الله، لم يكن عظيماً في جانب هذا الأجر العظيم، ولهذا لا يتمنى الشهداء بعدما عاينوا من ثواب الله وحسن جزائه إلا أن يردوا إلى

الدنيا، حتى يقتلوا في سبيله مرة بعد مرة (١)، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

وقد ورد في **سبب نزول** هذه الآيات ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١] "عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال رسول الله ﷺ لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم، قالوا يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله: أنا ابلغهم عنكم، فأنزل الله هذه الآيات" (٢).

وقد رغب النبي ﷺ في طلب الشهادة، مشوقاً المؤمنين إليها، ومنها قوله ﷺ: "**للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه**" (٣).

ومن الفضائل التي أخبر عنها النبي ﷺ للشهداء:

* أنَّه لا يدخل أحد الجنة ويحب أن يخرج منها، ولو أعطي ما في الدنيا جميعاً، إلا الشهيد، فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا ليقتل في سبيل الله لما يرى من فضل الشهادة وكرامة الشهيد.
* الشهادة تكفر كل ما على العبد من الذنوب التي بينه وبين الله.
* الملائكة تظلل الشهيد بأجنحتها.
* الشهادة الخالصة في سبيل الله توجب دخول الجنة قطعاً.
* الشهداء لا يفتنون في قبورهم ولا يصعقون عند نشورهم.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ج١، ص٧٥.

(٢) لباب النقول، للسيوطي، ص٤٩، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب إنَّ أرواح الشهداء في الجنة، رقم الحديث: ١٨٨٧.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة، رقم الحديث: ٢٧٩٩، قال الألباني: صحيح.

* الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته، ويأمن من الفزع الأكبر، ويغفر له من أول قطرة دم.

* من استشهد في سبيل الله أفضل ممن انتصر وعاد سالماً.

* الشهيد لا يجد من ألم القتل، إلا كما يجد من ألم القرصة.

* يرضى الله عن الشهيد رضاً لا يسخط بعده أبداً (١).

إذا فالقتل الذي يهددنا به أعدائنا، هو أغلى عبادة، وأثمن بيع، لنحصل على جنَّة عرضها السموات والأرض، وبهذا يستطيع المؤمن أن يثبت أمام كل طواغيت العالم، وكل أنظمة الظلم في العالم، لا تُدخل على نفسه خوفاً، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في المبحث الثاني من الفصل الثاني وهو دحض وسائل الظالمين:

* ردَّ القرآن على كل وسائل الظالمين التي يستخدمونها في صد الناس عن الإيمان، فأرشد المؤمن للتعامل معها بالطريقة الصحيحة، حتى ينجوا بدينه.

* القرآن يبشرنا ألاَّ نتوهم باجتماع قوى الكفر علينا، لأنَّ اجتماعهم على مهب الريح، و ما يفرقهم أكثر ممَّا يجمعهم.

* ليستبشر المؤمن خيراً، فمهما أنفق الباطل على باطله، سيبقى الحق ناصعاً، وسينصر الله جنده

* رد القرآن على استهزاء الكافرين وسخريتهم من الدين وأهله، بالسخرية من الكافرين، وعدم جواز مجالستهم، والتهديد والوعيد للمستهزئين.

* رد القرآن على كل ما طلبه المشركون، وفنَّد حججهم بعدم الإيمان، حتى لا يبقى عذرٌ لأحد، ولا غبٌ عند أحد.

* عالج القرآن الإشاعة بكل دقة، ووضع لها الحلول الناجعة، والدواء الشافي، حيث أمر المؤمنين بوجوب التثبت من الأخبار، وطلب الدليل والبرهان، والامتناع عن تداولها، وكشف المنافقين، وتحطيم مصدر الإشاعة، وإنزال العقوبة بهم.

* نهى القرآن عن الجدال إلا بالتي هي أحسن، ورد جدال أهل الباطل بالإقناع والدليل.

* بين القرآن أنَّ التوحيد منهج، والشرك منهج آخر لا يلتقيان، فالمؤمن يبقى مؤمن، والكافر يبقى كافر، والفارق بينهم كالحي والميت، فلا مجال بأي حال لقبول مساومات أهل الباطل.

---

(١) انظر: مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، لابن النحاس، ص٢٥٢، الناشر: دار العلوم.

* طمأن القرآن المؤمنين بأنَّ هذه الشدة من الكافرين، هي رحمةٌ للمؤمنين، ورفعة في درجاتهم، وتكفيراً لسيئاتهم، وهي بدايةٌ لنهاية انتفاش الحق، وانهيار لأنظمة الظلم المنافقة.

* المؤمن ينظر إلى العذابات الواقعة عليه من الظالمين والكافرين بشتى أساليبها، وتعدد طرقها، إلى أنَّها ابتلاءٌ من الله عز وجل، ليختبر حقيقة إيمانه، وصدق يقينه، فيصبر ويحتسب.

* المؤمن الحق دائم السعادة، مطمئن القلب، راضياً بقضاء الله، لأنَّه يعلم أنَّ كل ما أصابه إنَّما هو خيرٌ له.

* إنَّ أقصى ما يفعله الظالمون ضد أهل الحق من عقوبات ينزلونها بهم، ونهاية المطاف في الصراع بين الأحرار والعبيد، هو أن يقوم أهل الباطل بقتل واغتيال الثابتين الموحدين، وهذه أغلى عبادة يُقدمها العبد لينال رضا ربه، وأعظم أُمنية ينتظرها الصادقون.

الفصل الثالث

نماذج من الثابتين في وجه الظالمين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ثبات الأنبياء.

المبحث الثاني: ثبات العلماء.

المبحث الثالث: ثبات الجماعات.

المبحث الأول

ثبات الأنبياء

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ثبات سيدنا نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: ثبات سيدنا إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثالث: ثبات سيدنا موسى عليه السلام.

المطلب الرابع: ثبات سيدنا محمد ﷺ.

المبحث الأول

ثبات الأنبياء

لقد ضرب الأنبياء (عليهم السلام) القدوة الحسنة في الثبات في وجه الظالمين، وقد ذكر الباحث بعض الصور لثباتهم (عليهم السلام)، فلقد ثبتوا ثباتاً لم يثبته أحد، فصبروا وصابروا، واجتهدوا وجاهدوا، غير ناظرين إلى الحجم الكبير من التضحيات التي يُقدمونها، وجميعهم رفعوا شعاراً واحداً داعين الأمم إليه: ﴿... يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...﴾ [الأعراف:٥٩].

وما أن أعلنوا لواء العقيدة، وصدحوا به، ودعوا الناس إليه، حتى وقف لهم أهل الباطل في كل طريق، محاولين أن يصدو الناس عن دين الله، فأطلقوا الشبهات ضد الأنبياء (عليهم السلام) وضد دعوتهم، وجادلوا بالباطل، وقدموا كل ما يستطيعوا من المساومات ليُثنوا المؤمنين عن دينهم، وأنزلوا بالموحدين شتى أصناف العذاب، فثبت الأنبياء(عليهم السلام) ثباتاً يعجز عن وصفه العقل، ويتوقف القلم عن الكتابة خجلاً لعلمه أنَّه لن يُوفيهم حقهم صلوات الله وسلامه عليهم.

والناظر في حياة الأنبياء (عليهم السلام) يجد صور الثبات الرائعة، فكم من نبيٍ أرسله الله مؤيداً بالوحي، فما آمن معه من قومه إلا قليل، فما زاده ذلك إلا ثباتاً، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال: قال النبي ﷺ: **"عرضت علي الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده"** (١).

فهذا رسول مسدد مؤيد من الله ﷻ يدعو قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك ما يعبدونه من أصنام وأوثان، داعين إيَّاهم إلى مكارم الأخلاق، وإلى ترك مساوئ الأخلاق والأفعال، فلا يستجيب له أحد، وآخر يدعو فيستجيب له خمسة، وثالث يدعو فيستجيب له عشرة فقط. ثمَّ تكون النتيجة ثباتاً تعجز عن وصفه العقول، وتعجز عن رسمه الأقلام.

المطلب الأول

ثبات سيدنا نوح عليه السلام في وجه الظالمين

لقد أرسل الله ﷻ سيدنا نوح عليه السلام لما عُبدت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلال والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد، فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض، وقد ذكر الله قصته، وما كان من قومه، وما أُنزل فيمن كفر به من العذاب بالطوفان، وكيف أنجاه الله ﷻ، في غير موضع من القرآن الكريم، وفي هذا المطلب مسألتان:

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً، رقم الحديث: ٦٥٤١.

المسألة الأولى: ثبات نوح عليه السلام في دعوة قومه لعبادة الله وحده:

لقد كان قوم نوح عليه السلام يعبدون الأصنام، ويشركون بالله جل جلاله، وكانوا يتواصون فيما بينهم بالتمسك بالأصنام، بل كان الوالد منهم إذا بلغ الولد وعقل عنه كلامه، وصَّاه فيما بينه ألا يؤمن بنوح أبداً، وكان كلما انقرض جيل جاء جيل جديد يشرك بالله جل جلاله، قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٢-٢٣].

أي مكر قوم نوح بنبيهم مكرًا عظيمًا جدًا حيث كانوا يعرضون بنوح، وقد يضربونه، وهو صابر محتسب، وقالوا لبعضهم البعض متواصين بالباطل ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ أي لا تتركوا عبادتها، وسموا منها رؤساءها وهم خمسة: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وقد أضلوا كثيرًا، أي من عباد الله حيث ورثوا هذه الأصنام فيهم فتبعهم الناس على ذلك فضلوا [١]، ولكن سيدنا نوح عليه السلام قد ثبت ثباتًا عجيبًا في دعوة قومه لعبادة الله وحده، مستخدمًا معهم كافة الوسائل والأساليب، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٥-٩].

وفي الآيات تنبيهًا على مبادرة نوح بإبلاغ الرسالة إلى قومه، وتمام حرصه في ذلك كما أفاده قوله: ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [٢].

واستمر سيدنا نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، بكل ثبات ورسوخ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:١٤].

وما زال سيدنا نوح عليه السلام يدعو قومه لعبادة الله وحده، حتى أخبره الله سبحانه بقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود:٣٦].

"وهذه تعزية من الله لنوح عليه السلام في قومه أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن، فلا يسوءنك ما جرى فإن النصر قريب والنبأ عجيب" [٣].

---

(١) أيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري، ج٥، ص ٤٤٣.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٢٩، ص ١٩٣.

(٣) قصص القرآن، لابن كثير، ص ٥٠.

المسألة الثانية: ثبات سيدنا نوح عليه السلام في صناعة الفلك:

ولما يئس نوح عليه السلام من صلاحهم وفلاحهم، ورأى أنه لا خير فيهم، وكانوا يتواصون فيما بينهم على مخالفته وتكذيبه، أمر الله سبحانه نوح عليه السلام أن يصنع الفلك، وهي سفينة عظيمة لم يكن لها نظير قبلها، قال الله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٧-٣٨].

وبدأ نوح عليه السلام يصنع السفينة، وكلما مرّ عليه جماعة من كبراء قومه هزئوا من نوح، ويقولون له: أتحوّلت نجارًا بعد النبوة، وتعمل السفينة في البر، فيقول لهم نوح: إن تهزؤوا منا اليوم، فإنا نهزأ منكم في الآخرة، كما تهزؤون منا في الدنيا إذا عاينتم عذاب الله، مَن الذي كان إلى نفسه مسيئًا منّا (١).

فاستمر نوح عليه السلام بتنفيذ أمر الله عز وجل، ولم يلتفت إلى الساخرين والهازئين، ثم جاء الأمر الإلهي: ﴿... فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون:٢٧].

"أي فأدخل في السفينة من كل الأحياء ذكرًا وأنثى، ليبقى النسل، وأدخل أهلك إلا من استحق العذاب لكفره، كزوجتك وابنك، ولا تسألني نجاة قومك الظالمين، فإنهم مغرقون لا محالة، وفي هذه الآية إثبات صفة العين لله سبحانه بما يليق به تعالى دون تشبيه ولا تكييف" (٢).

المطلب الثاني

ثبات سيدنا إبراهيم عليه السلام في وجه الظالمين

لقد كانت حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام حياة مليئة بالصعاب، فمنذ أن فتح عينيه على هذه الدنيا، وجد أباه وأجداده وكل قومه يعبدون أحجاراً وأصناماً لا تسمع ولا تبصر، ووجد آخرين يعبدون الكواكب، ووجد ملكاً يدعي الألوهية لنفسه، وأمام هؤلاء جميعاً وقف سيدنا إبراهيم عليه السلام داعياً إياهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة الأصنام، مبتدأً الأمر من أبيه إلى قومه إلى ملوك ذلك الزمان، فرسم في حياته صورةً متكاملةً من الثبات ضد الظالمين، فكرمه الله سبحانه وتعالى، ووصفه بأنَّه أمَّة، ونعته في كتابه، وأمر باتباعه:﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ج١٥، ص ٣١٠.

(٢) التفسير الميسر، ص ٣٤٣.

الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[النحل: ١٢٠-١٢٣].

"يقول تعالى ذكره: إن إبراهيم خليل الله كان معلم خير، يأتم به أهل الهدى قانتا، مطيعا لله، مستقيما على دين الإسلام... عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ...﴾ قال: كان إمام هدى مطيعاً تتبع سنته وملته، وقال ابن مسعود: هل تدرون: ما الأمة؟ الذي يعلم الخير" [١].

"فهو عليه السلام أمة وحده، جمع فيه تعالى من صفات الكمال ما فرقه في أمة كاملة، فهو أمة في دعوته إلى الله، أمه في الصبر والاحتمال وفي لين الجانب، وسعة الصدر، أمة في الثبات على الحق ومحاربة الباطل، أمة في التواضع والكرم والتوكل على الله تعالى" [٢] ولقد أمرنا الله سبحانه أنَّ نتأسى بإبراهيم الخليل ومن معه من المرسلين، في ثباتهم وبراءتهم من المشركين:

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٤-٥] .

وسيذكر الباحث في هذا المطلب من ثبات سيدنا إبراهيم عليه السلام أربعة مواقف وجميعها تُظهر الثبات العظيم الذي كان عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام، لأخذ العبرة والعظة من هذه المواقف، وتكون زاداً للمؤمنين في مواجهة الظالمين، وعوناً على الثبات ضد مكرهم وخداعهم.

الموقف الأول: الثبات في وجه أبيه لعبادته الأصنام:

إنَّ أشد ما يلاقيه الإنسان المسلم في حياته الدعوية، وفي سيره إلى الله تعالى، أن يكون أقرب النَّاس إليه أشد خصومه، وهذا ما كان في حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام، فقد كانت الضربة موجهة إليه من أقرب الناس، وهو الأب الكافر آزر [٣] تاجر الأصنام وبائعها وعابدها، فقد صمَّم على ما هو عليه من الكفر والإشراك بالله، وعادةً ما يكون سادن الأوثان وبائعها هو أكبر دعاتها ورعاتها، فثبت عليه السلام وذهب إلى أبيه في أدب جمٍّ يناديه: يا أبت، يرجو له السلامة، يترقق في وعظه، ويترفق به، ويتلطف باختيار كلماته، فناداه وناجاه قائلاً: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا

---

(١) جامع البيان، للطبري، ج١٧، ص٣١٦.

(٢) سيرة إبراهيم الخليل عليه السلام، للعارف، ص٣٠، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى.

(٣) هو اسم أبي إبراهيم، وقيل لقبه، وقيل أنَّه اسم صنمه، وقيل له اسمان آزروتارح. (جامع البيان، ج١١، ص٤٦٩).

يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٢-٤٤].

وبذلك أفرغ إبراهيم ﷺ ما في جعبته من أدلة وبراهين على بطلان عبادة الأوثان، وأعطى له الدلائل على وحدانية الله، وخوفه بعذاب الله من جراء عبادة الأوثان بأمر الشيطان، وأغراه بالعلم الذي أعطاه الله إياه (١)، ولكن أباه آزر لم يقبل كل هذا، وأجاب بكل صدود وعنف: **﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾** [مريم: ٤٦-٤٧].

وكذا فقد جاء في جوابه دعوة ابنه بمنتهى الجفاء والشدة، بعكس ما في كلام إبراهيم ﷺ من اللين والرقة، فدل ذلك على أنه كان قاسي القلب، بعيد الفهم، شديد التصلب في الكفر، ودل النظم في هذه الآية على أن أبا إبراهيم ينكر على إبراهيم ﷺ تمكن الرغبة عن آلهتهم من نفسه، ثمَّ هدَّده بعقوبتين، **الأولى:** عقوبة آجلة وهي الرجم. والرجم: الرمي بالحجارة، وهو كناية مشهورة في معنى القتل بذلك الرمي. **والثانية:** عقوبة عاجلة وهي طرده من معاشرته وقطع مكالمته (٢).

"وعندها قال له إبراهيم: **﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾** أي لا يصلك مني مكروه ولا ينالك مني أذى، بل أنت سالم من ناحيتي. وزاده خيرا فقال: **﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾** قال ابن عباس وغيره: أي لطيفاً، يعني في أن هداني لعبادته والإخلاص له، وقد استغفر له إبراهيم ﷺ كما وعده في أدعيته، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه" (٣)، قال تعالى: **﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾** [التوبة:١١٤]، وهكذا فقد ثبت سيدنا إبراهيم ﷺ أمام أقرب الناس إليه، داعين إياه لعبادة الله وحده.

الموقف الثاني: الثبات أمام قومه في عبادتهم الأصنام:

لقد نشأ سيدنا إبراهيم ﷺ في مجتمع كله يعبد الأصنام، أحرارهم وعبيدهم، رجالهم ونساؤهم فلكل في ذلك الزمان كان يعبد الأصنام، " وكل من على وجه الأرض كانوا كفارا، سوى إبراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط (عليهم السلام)، وكان الخليل ﷺ هو الذي أزال الله به تلك

(١) انظر: قصص القرآن، للبسيوني، ص١٣٣، الناشر: دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج١٦، ص١٢٠.

(٣) قصص الأنبياء، لابن كثير، ص٩٣، الناشر: مكتبة الصفا، الطبعة الأولى.

الشرور، وأبطل به ذاك الضلال" (١)، فتصدى إبراهيم عليه السلام لهذا الباطل بكل صبر وثبات، فبدأ بنصحهم وإرشادهم، وإقامة الأدلة على وحدانية الله، وأنَّ الأصنام لا تنفع ولا تضر، وأنَّ مصير عابدها إلى جهنم وبئس القرار، وقد جاء ذكر ذلك في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[العنكبوت: ١٦-١٧].

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ العَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[الشعراء: ٦٩-٨٣].

فدعا إبراهيم عليه السلام قومه لعبادة الله عز وجل، ولكنَّ قومه لم يستجيبوا له، ولم يتفكروا بحقيقة ما يدعوهم إليه، وتمادوا في غيهم وعنادهم، وقد لاحظ إبراهيم عليه السلام أنَّ الدعوة إلى الله لم تثمر شيئا في قومه، فقرر أن يقوم بخطوة عملية يحرك فيها الأحداث، ويعكر على التماثيل سكونها في المعبد الذي تكدست فيه. وكان من عادة قومه أن يقيموا لهم عيداً يقدمون فيه الطعام لآلهتهم ليضعونه أمامهم على حجارة ثم يخرجون من المدينة، ثم يعودون إلى المعبد فيأكلون من ذلك الطعام بشكل جماعي، ولمَّا خرج القوم لم يخرج معهم إبراهيم عليه السلام ولمَّا خلت المدينة أقبل إبراهيم عليه السلام على الأصنام وحطمها وكسرها لعلهم يعودوا إلى الرشد بأنَّ هذه مجرد أحجار لا تملك أن تدافع عن نفسه (٢)، قال تعالى: ﴿وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٧-٥٨].

وقال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾[الصَّافات: ٩١-٩٣].

لتكون النتيجة بعد ذلك أن ينزل قومه به أشد صور العذاب، ولتظهر فيها أنصع صور الثبات.

---

(١) قصص الأنبياء، لابن كثير، ص٩١.

(٢) انظر: القصص القرآني، للكبيسي، ص٥٠، الناشر: دار الكتاب الجامعي، الطبعة الأولى.

الموقف الثالث: الثبات حين حكموا على إبراهيم ﷺ بالحرق:

وبعد أن قام إبراهيم ﷺ بتكسير الأصنام وتهشيمها، "استبد الخوف والقلق والغضب بالكهنة، وأدركوا أن إبراهيم ﷺ سوف يضر بمصالحهم ومراكزهم إن هم تركوه على قيد الحياة، وذلك لقوة حجته ووضوح دعوته إلى توحيد الله" (1)، "فعدلوا عن الجدال والمناظرة لما انقطعوا وغلبوا، ولم تبق لهم حجة ولا شبهة إلى استعمال قوتهم وسلطانهم، لينصروا ما هم عليه من سفههم وطغيانهم" (2) فحكموا عليه بالموت حرقا بالنار قال تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصَّافات: ٩٧-٩٨] ، ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠].

فشرعوا يجمعون حطباً من جميع ما يمكنهم من الأماكن، فمكثوا مدة يجمعون له حتى إن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عفيت لتحملن حطبا لحريق إبراهيم، ثم عمدوا إلى حفرة عظيمة فوضعوا فيها ذلك الحطب وأطلقوا فيه النار، فاضطربت وتأججت والتهبت وعلا لها شرر لم ير مثله قط، ثم وضعوا إبراهيم ﷺ في كفة منجنيق ثم أخذوا يقيدونه ويكتفونه وهو يقول: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك، لا شريك لك. فلما وضع الخليل ﷺ في كفة المنجنيق مقيداً مكتوفاً ثم ألقوه منه إلى النار قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، عن ابن عباس أنه قال: حسبنا الله ونعم الوكيل. قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قيل له: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ...﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤] قال ابن عباس: لولا أن الله قال: وسلاماً على إبراهيم لأذى إبراهيم بردها، فأرادوا أن ينتصروا فخذلوا، وأرادوا أن يرتفعوا فاتضعوا، وأرادوا أن يغلبوا فغلبوا (3).

"ويظهر من عملهم هذا أنَّ الحجة الدامغة التي أقامها عليهم إبراهيم ﷺ قد أحرقت أفكارهم ومعتقداتهم وولدت في نفوسهم تفاعلات شديدة، فلما نكسوا اتجهوا إلى إبراهيم ﷺ بردة الفعل، فظنَّ أهل العناد أنهم بحرق إبراهيم ﷺ يحرقون الحجة وينصرون إفكهم، فنكس ظنهم وخاب" (4)، وانقلب كيدهم إلى نحورهم، وبمثل هذا الثبات في وجه الظالمين تنصر الدعوات، وينحدر أهل

---

(١) القصص القرآني، للكبيسي، ص٥٣.

(٢) قصص الأنبياء، لابن كثير، ص٩٩.

(٣) انظر: قصص الأنبياء، لابن كثير، ص١٠٠.

(٤) سيرة إبراهيم الخليل ﷺ، للعارف، ص٨٩.

الباطل، ويظهر الحق للناس، ولا يبقى على كفره إلا من طمس على قلبه، فلم يعد للإيمان إليه مسلك، ولا للكفر منه مخلص.

الموقف الرابع: الثبات في مواجهة الحاكم الظالم:

لقد كان إبراهيم عليه السلام سداً منيعاً في وجه الظالمين، ولم تأخذه في الله لومة لائم، فنصح أباه وقومه بترك عبادة الأصنام، وواجه الحاكم الظالم بكل ثبات وإصرار، فبعد أن وصل خبر نجاة إبراهيم عليه السلام من النار إلى هذا الحاكم الظالم الذي يذكر أن اسمه النمرود [1] اهتز من المعجزة ودخل قلبه الفزع، وخاف أن يؤمن شعبه بإله إبراهيم عليه السلام ويتركوا عبادة الملك، فيضيع ملكه، فدعا إبراهيم لمقابلته، فوقف إبراهيم عليه السلام أمام هذا الحاكم الظالم بكل ثبات وقوة، غير خائف منه، ولا عابئ به، بل كان ساخراً منه، مستخفاً به [2].

وقد أخبرنا القرآن الكريم وقص علينا قصة الثبات في وجه الحاكم الظالم الذي ادعى لنفسه الألوهية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

فهذا الذي حاج إبراهيم عليه السلام في ربه وهو ملك بابل: نمرود بن كنعان وملك الدنيا مشارقها ومغاربها، وكان قد أنكر أن يكون ثم إله غيره، وما حمله على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة إلا تجبره، وطول مدته في الملك، وفي جداله طلب من إبراهيم عليه السلام دليلاً على وجود الرب الذي يدعو إليه فقال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فقال النمرود: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ إذ أحضر رجلين قد استحقا القتل فأمر بقتل أحدهما فيقتل، وبالعفو عن الآخر فلا يقتل، فذلك معنى الإحياء والإماتة، فقال له إبراهيم عليه السلام لما ادعى هذه المكابرة: ﴿فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ أي: إذا كنت كما تدعي من أنك أنت الذي تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلهًا كما ادعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب، فلما علم عجزه، أخرس فلم يتكلم،

---

(١) هو ملك بابل، وقيل: أنه أحد الأربعة الذين ملكوا المعمورة وهم مسلمان، وكافران، فالمسلمان: سليمان، وذو القرنين (عليهما السلام)، والكافران: النمرود، وبختنصر عليهما لعائن الرحمن، ولما حارب الله تعالى أهلكه مع جيشه بالبعوض، إذ فتح عليهم باباً من البعوض، فأكلت الجيش، فلم تتركه إلا عظاماً، وأما النمرود فقد دخلت بعوضة في دماغه، فصار يضرب على دماغه حتى هلك بذلك. (أيسر التفاسير، للجزائري، ج١، ص٢٤٨).

(٢) انظر: القصص القرآني، للكبيسي، ص٥٤.

وقامت عليه الحجة [1].

وفي هذا الموقف من سيدنا إبراهيم عليه السلام الفوائد الجمَّة، والفوائد والعبر الكثيرة ومنها:

* الثبات في وجه الحاكم الظالم، مهما كان سلطانه، ومهما علا جيشه، فالمؤمن لا يخشى إلا الله.

* "نصرة الله لأوليائه وإلهامهم الحجة، وجواز المجادلة في إثبات العقيدة الصحيحة السليمة" [2].

المطلب الثالث

ثبات سيدنا موسى عليه السلام في وجه الظالمين

لقد كانت رحلة المصاعب والمشاق التي لقيها سيدنا موسى عليه السلام من الظالمين ومخططاتهم ومكرهم قبل أن يولد، وذلك من يوم أن عرف الحاكم الظالم، والطاغية الكبير فرعون بخروج غلام من بني إسرائيل تكون على نهايته حكمه الظالم، فلقد أفسد فرعون في الأرض فساداً عريضاً، وقد أخبر القرآن في آياته عن هذا الظلم الشديد الذي كان فرعون يوقعه على الناس في عديدٍ من المواضع ومنها:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٤٩].

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٤].

أي واذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم إذ خلصتكم من فرعون وجنوده وأنقذتكم من أيديهم بصحبة موسى عليه السلام، وقد كانوا يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم سوء العذاب، وذلك أن فرعون لعنه الله كان قد رأى رؤيا هالته، رأى ناراً خرجت من بيت المقدس فدخلت دور القبط ببلاد مصر، إلا بيوت بني إسرائيل، مضمونها أن زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني إسرائيل، ويقال: بل تحدث رجل عنده بأن بني إسرائيل يتوقعون خروج رجل منهم، يكون لهم به دولة ورفعة، فعند ذلك أمر فرعون لعنه الله بقتل كل ذي ذكر يولد بعد ذلك من بني إسرائيل، وأن تترك البنات، وأمر باستعمال بني إسرائيل في مشاق الأعمال وأراذلها [3].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج١، ص٦٨٦.

(٢) أيسر التفاسير، للجزائري، ج١، ص٢٤٨.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج١، ص٢٥٨.

أمَّا عن ما كان في نفس هذا الظالم من الاستكبار، وما كان في قلبه من الكفر، فقد بلغ مبلغاً كبيراً، فقد جاء على لسانه في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿... قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزُّخرف: ٥١-٥٢].

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[النَّازعات: ٢١-٢٤].

وفي وسط هذا الظلام والاستكبار الذي اتصف به فرعون وملئه، ومن وسط كل هذا الظلم الذي كان يوقعه على بني إسرائيل تظهر لنا صفحات مشرقة منيرة، تملأ الكون نوراً وضياءً، وهي صفحة سيدنا موسى عليه السلام والتي واجه فيها فرعون بكل ثبات وإصرار، فأقام عليه الحجة والبينة، وواعده يوم الزينة، وخرج ببني إسرائيل من ظلمات فرعون وجنوده، فكانت حياته عليه السلام سلسلة متواصلة من الثبات في وجه الطغيان، وذكر الباحث في هذا المطلب ثلاثة مسائل كلها تنبع منها صور الثبات في أبها صورةٍ وأجملها.

المسألة الأولى: الثبات في بيان الحق لفرعون الظالم:

لقد قضى موسى عليه السلام شقاً من حياته في قصر فرعون، وكان قد نشأ جل شبابه في قصره، وما أن استوى عوده حتى ابتلي بقتل النفس خطأ، فخرج إلى مدين، قال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٦-١٩].

أي "قال فرعون لموسى ممتنًا عليه ألم نُرَبِّك في منازلنا صغيرًا، ومكثت في رعايتنا سنين من عُمُرك وارتكبت جنايةً بقتلك رجلاً من قومي حين ضربته ودفعته، وأنت من الجاحدين نعمتي المنكرين ربوبيتي؟" (١).

ولمَّا بلغ موسى عليه السلام نهاية القوة وأفضل العمر واستوى فيما بين الثلاثين والأربعين، أتاه الله الفقه والعلم بالدين، واصطفاه ليكون رسولاً للعالمين، وسانده بأخيه هارون عليه السلام وأمرهما تعالى أن يصدعا بالدعوة إلى فرعون، وقد كان فرعون شديداً عنيداً عنيفاً، وكان يسخر من موسى عليه السلام ويهزأ به، محاولاً بذلك التقليل من شأنه حتى لا يتبعه أحد، قال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ

(١) التفسير الميسر، ص٣٦٧.

﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزُّخرف: ٥١-٥٢].

قيل: لما رأى فرعون ما بيد موسى عليه السلام من المعجزات، خاف ميل القوم إلى موسى، فجمعهم ونادى بصوته فيما بينهم أو أمر منادياً ينادي بقوله: يا قوم أليس لي ملك مصر لا ينازعني فيه أحد، ولا يخالفني مخالف، وهذه الأنهار تجري من تحتي، أي: من تحت قصري، والمراد أنهار النيل، أم أنَّ خيراً من هذا من هو مهين: أي ضعيف حقير ممتهن في نفسه لا عز له ولا يكاد يبين الكلام لما في لسانه من العقدة (١).

ولكنَّ موسى عليه السلام لم يلتفت إلى ما يقوله فرعون، ولم يفت ذلك في عضده، ولم يمنعه من أداء رسالته، وبعد أن أمره الله ﷻ بدعوة فرعون، وتبليغه الرسالة، وإقامة الحجة عليه، استعان بالله سبحانه على ذلك، وطلب منه أن يعينه بأخيه هارون، قال تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: ٢٤-٣٦].

وبعد ذلك انطلق موسى وأخيه هارون (عليهما السلام) بكل ثبات وعزيمة، ليقيما الحجة على فرعون، وليدحضا كل ما ادعاه من الألوهية، وليعلنا أمامه عهد جديد وهو التوحيد للعلي المجيد وقد ذكر القرآن ما حصل من حوار بين موسى عليه السلام وفرعون الظالم.

قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾[طه: ٤٧-٥٢].

قال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني، ج٤، ص٦٤٠.

أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٦-٣٧].

إنَّ هذا الحوار الذي جرى بين موسى ﷺ وفرعون الظالم، يظهر مدى الثبات الكبير الذي كان يتحلى به موسى ﷺ؛ لأنَّه قد جمع عدة عوامل تزيد من إمكانية الخوف من الصدع بقول الحق وهي:

* أنَّ موسى ﷺ قد قضى شطر كبير من حياته في بيت فرعون، وتربى في ربوع قصره، وهو الآن يعلنها بكل صراحة في وجهه، أنَّك حاكم ظالم تدعي لنفسك ما لا ينبغي.

* أنَّ فرعون لعنه الله كان شديداً عنيفاً عنيداً، ومن الآيات التي بينت إجرامه بحق الناس: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر:١٠] ، الأوتاد التي توتد، من خشب كانت أو حديد، ووصف بذلك لأنه كان يعذب الناس بها عن ابن عباس (رضى الله عنهما) الأوتاد: الجنود الذين يشدون له أمره، ويقال: كان فرعون يوتد في أيديهم وأرجلهم أوتادا من حديد، يعلقهم بها [(١)].

* إنَّ فرعون في هذا الحوار لم يكن لوحده، بل كان من حوله الملأ من حاشيته وجنوده يستشيرهم، ويؤيدونه في باطلـه، ويناصرونه في حكمه الظالم، بينما كان موسى وهارون (عليهما السلام) لوحدهما، لذا فقد كان سيد الشهداء رجل قال الحق عند سلطان جائر فقتله، وفي وسط كل هذه الظروف صدع موسى ﷺ بقول الحق في أجمل صورة للثبات.

المسألة الثانية: الثبات في الميعاد يوم الزينة:

وعندما يئس فرعون من المجادلة العقلية، وخشي من نجاح دعوة موسى ﷺ ظنَّ فرعون وملؤه أنه قد يكون من الأفضل أن يواجه سحر موسى بالسَحرة العظام في مصر حيث لا يفل الحديد إلا الحديد، فجمع فرعون جنوده لتخويف المؤمنين، وسعى لجمع السحرة لمعارضة موسى ﷺ [(٢)]، وقد قص علينا القرآن ذلك فقال تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ج٢٤، ص٤١٩.

(٢) انظر: الأنس الجليل في قصة موسى وفرعون وبني إسرائيل، للعمر، ص٨٠، الناشر: مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الأولى.

الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى * فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى * قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى * فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى * قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى * فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى * قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾[طه: ٥٧-٧٠].

وفي هذا المشهد أيضاً صورة راقية من صور الثبات لسيدنا موسى عليه السلام.

المسألة الثالثة: الثبات يوم التقى الجمعان:

قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾[الشعراء:٦٠-٦٦].

وفي هذا الموقف يقترب المشهد من نهايته، والمعركة تصل إلى ذروتها، فموسى وقومه أمام البحر ليس معهم سفن ولا هم يملكون خوضه وما هم بمسلحين، وقد قاربهم فرعون بجنوده شاكي السلاح يطلبونهم ولا يرحمون، وقالت دلائل الحال كلها: أن لا مفر والبحر أمامهم والعدو خلفهم، وقال أصحاب موسى إنا لمهلكون، وبلغ الكرب مداه، وإن هي إلا دقائق تمر ثم يهجم الموت ولا مناص ولا معين، ولكن موسى الذي تلقى الوحي من ربه، لا يشك لحظة وملء قلبه الثقة بربه، واليقين بعونه، والتأكد من النجاة، وإن كان لا يدري كيف تكون. فهي لا بد كائنة والله هو الذي يوجهه ويرعاه ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

كلا في شدة وتوكيد، كلا لن نكون مدركين، كلا لن نكون هالكين، كلا لن نكون مفتونين. كلا لن نكون ضائعين، كلا بهذا الجزم والتأكيد واليقين.

وفي اللحظة الأخيرة ينبثق الشعاع المنير في ليل اليأس والكرب، وينفتح طريق النجاة من حيث لا يحتسبون، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾.

فوقعت المعجزة، وتحقق الذي يقول عنه الناس مستحيل؛ لأنهم يقيسون سنة الله على المألوف، ووقعت المعجزة وانكشف بين فرقي الماء طريق، ووقف الماء على جانبي الطريق كالطود

العظيم، واقتحم بنو إسرائيل، ووقف فرعون مع جنوده مبغوتاً مشدوهاً بذلك المشهد الخارق، وذلك الحادث العجيب، ثمَّ كان الهلاك لفرعون وملئه وجنوده، ليكون عبرةً إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ...﴾ [يونس:٩٢] .

المطلب الرابع

ثبات نبينا محمد ﷺ في وجه الظالمين

لقد لُقب الرسول ﷺ عند أهل مكة بالصادق الأمين، بل كانوا يُدعون أموالهم وأماناتهم عنده لعلمهم الأكيد بصدقه وأمانته، واستمر الأمر كذلك حتى أذن الله له بالخروج إلى المدينة المنورة، وما أن أعلن فيهم النبوة، ودعاهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأوثان، حتى بدأت المواجهة الشديدة بين الحق والباطل، فاستخدم الظالمون كل ما لديهم من وسائل لإيقاف دعوته، وصده عن إكمال رسالته، فثبت الحبيب ﷺ ثبات الأبطال حتى جاء الحق وزهق الباطل، وسطعت شمس الإسلام منهيةٌ عصر الظلام، وقد كانت حياة الرسول ﷺ من أولها إلى آخرها، نموذجاً كاملاً من الثبات ضد الظالمين، وسيكتفي الباحث بذكر بعض صور الثبات والتي سطرها القرآن الكريم، من حياة خير الأنبياء والمرسلين.

المسألة الأولى: الثبات في الهجرة:

لمَّا رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد أصبح له أصحاب وأنصار من غير بلدهم، ورأت خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، فخافوا خروج الرسول ﷺ إليهم، وعرفوا أنَّه أجمع لحربهم، فاجتمعوا في دار الندوة وكان قرارهم أن يقتلوه، وكان الله ﷻ قد أذن لنبيه ﷺ بالهجرة، فظهر من الحبيب ﷺ عبقرية التخطيط البشري، ومن الإجراءات التي اتخذها النبي ﷺ لتأمين الخروج مبيت علي ﷺ فراش النبي ﷺ، الخروج في النهار، الخروج من فتحة في ظهر بيت أبي بكر الصديق ﷺ الاتجاه إلى الغار، السلوك في الطريق غير المعتاد للمدينة، تأمين الزاد، إعفاء الأثر، الاستفادة من خبرة المشركين حيث كان الدليل عبد الله بن أريقط وكان مشركاً (١)، وكل هذا الذي اتخذه النبي ﷺ كان لازماً من لوازم الثبات في وجه الظالمين، لأنَّ المسلم مطالبٌ بالأخذ بكل الأسباب المؤدية للنجاح في العمل، وقد سطر القرآن الكريم هذا الثبات ليكون نبراساً للأمة من بعده.

قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠] .

---

(١) انظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية، للغضبان، ص١٣٥، الناشر: دار الوفاء للطباعة، الطبعة العاشرة.

إنَّ هذه الآية الكريمة تبين لنا مدى الثبات الكبير الذي كان عليه المصطفى ﷺ "ففي طريق الهجرة التجأ هو وأبو بكر ﷺ إلى غار ثور واختبآ داخله، وجاء الكفار ووقفوا عند مدخل الغار، فسيطر الخوف على قلب أبي بكر خشية أن يقع رسول الله ﷺ في أيدي الكفار، وقال لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، وكان أبو بكر بذلك يقرر واقعاً، فالكفار واقفون على باب الغار، والنبي ﷺ وأبو بكر بداخله، ونظرة واحدة من الكفار إلى داخل الغار تكشف الأمر كله. فماذا قال رسول الله ﷺ؟ رفع الأمر إلى الله وقال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] فمعناه أنَّه بقدرة البشر لو نظروا تحت أقدامهم لرأونا، ولكن ما دمنا في حماية الله تعالى وعنايته فإنهم لن يرونا، ذلك لأن قدرة الله ستزيغ أبصارهم فلن يرونا" (١).

المسألة الثانية: الثبات في القتال:

لقد كانت شجاعة الرسول ﷺ وثباته في القتال ضد أعداء الإسلام، شجاعةً وثباتاً ظاهراً للعيان في كل معاركه التي خاضها، "فماذا كان سيحدث لو تردد قبل معركة بدر عندما رأى المشركين متفوقين على أصحابه بالعدد والعُدد؟

وماذا كان سيحدث لو استسلم لليأس في معركة أحد بعد أن طوقته قوات المشركين المتفوقة من كل جانب؟

وماذا كان سيحدث لو ضعفت مقاومته للأحزاب في غزوة الخندق، وخاصة بعد خيانة اليهود؟

وماذا كان سيحدث لو لم يثبت الرسول ﷺ مع عشرة فقط من آل بيته والمهاجرين بعد فرار المسلمين في غزوة حنين؟" (٢).

إنَّ تلك المواقف وغيرها الكثير يتصدع منها قلب أشجع الشجعان، ومع ذلك فقد ثبت الرسول ﷺ فيها غير مكترث بما يحدق به من أخطار. بل لقد ثبت النبي ﷺ وحده اتجاه التيار الجارف من المشركين منذ نزول الوحي عليه حتى التحاقه بالرفيق الأعلى، وتحمل الأذى والأخطار صابراً محتسباً، ثم هاجر من بلده إلى بلد آخر، ثم جاهد أعداءه في الداخل والخارج، فثبت على مكافحة من حوله من الناس جميعاً حتى أظهر الله دينه، غير مكترث بتفوق أعدائه على قواته فواقاً ساحقاً، بل إنَّ حياة النبي ﷺ كلها مثال رائع للإرادة القوية الثابتة (٣).

---

(١) قصص الأنبياء وسيرة الرسول، للشعراوي، ص٥١٥، الناشر: دار التوفيقية للتراث، الطبعة الأولى.

(٢) الرسول ﷺ القائد، لخطاب، ص٦، الناشر: دار الفكر، الطبعة الخامسة.

(٣) انظر: فرسان النهار من الصحابة الأخيار، للعفاني، ج٢، ص٣٠، الناشر: دار ماجد، الطبعة الأولى.

وهكذا يجب على علماء الأمَّة الاسلامية، وكل الأمَّة من بعدهم أن يتخذوا الرسول ﷺ القدوة الحسنة في الثبات ضد الظالمين.

وقد برز ثبات الحبيب ﷺ في كل المعارك والجولات، وزاد وضوحه بشدة في غزوة أحد وغزوة حنين، لذا سيتوقف الباحث عندهم بُرهه.

الفرع الأول: ثباته ﷺ في غزوة أحد:

لقد كان النصر في بداية المعركة حليفاً للمسلمين، وقتل سبعة من الذين حملوا لواء المشركين، ثمَّ ظل اللواء ملقاً على الأرض، وولَّى المشركون الأدبار، ووضع المسلمون فيهم السلاح، وصار المسلمون يجمعون الغنائم، ولمَّا خالف الرماة على الجبل أوامر الرسول ﷺ ونزل أكثرهم عن الجبل، كرَّ خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل على باقي الرماة وقتلوهم، وأعملوا السلاح بالمسلمين، ونادى إبليس إن محمداً قد قتل، فاختلط المسلمون، وقتل المشركون من قتلوا من المسلمين، ودارة الدائرة على المسلمين فثبت رسول الله ﷺ في الميدان، وثبت معه عدد من أصحابه (١)، وقد أنزل الله في شأن هذه الغزوة هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢-١٥٣].

"أي اذكروا يا أصحاب محمد ﷺ ما كان مِن أمركم حين أخذتم تصعدون الجبل هاربين من أعدائكم، ولا تلتفتون إلى أحد لِمَا اعتراكم من الدهشة والخوف والرعب، ورسول الله ﷺ ثابت في الميدان يناديكم من خلفكم قائلاً إليَّ عبادَ الله، وأنتم لا تسمعون ولا تنظرون، فكان جزاؤكم أن أنزل الله بكم ألمًا وضيقًا وغمًّا، لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من نصر وغنيمة، ولا ما حلَّ بكم من خوف وهزيمة. والله خبير بجميع أعمالكم، لا يخفى عليه منها شيء" (٢).

حقاً لقد كانت غزوة أحد معركة من أشد المعارك على المسلمين، وأكثرها إيلاماً وجراحاً بهم، وظهر بهذه المعركة شجاعة وثبات الرسول ﷺ والتي لا يصل إليها شجاعة وثبات فحول الرجال، ولا سادة الأبطال، ولا القادة في النزال، فقد جاء في السيرة وبعدما قام خالد بتطويق جيش

(١) انظر: مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، ص٢٩٠.

(٢) التفسير الميسر، ص٦٩.

المسلمين، وفرَّ من المسلمين الكثير، كان رسول الله ﷺ حينئذ في مفرزة صغيرة مع تسعة نفر من أصحابه في مؤخرة المسلمين يرقب مجالدة المسلمين ومطاردتهم المشركين، إذ بوغت بفرسان خالد مباغتة كاملة، فكان أمامه طريقان، إما أن ينجو بالسرعة بنفسه وبأصحابه التسعة إلى ملجأ مأمون، ويترك جيشه المطوق إلى مصيره المقدور، وإما أن يخاطر بنفسه فيدعو أصحابه ليجمعهم حوله، ويتخذ بهم جبهة قوية يشق بها الطريق لجيشة المطوق إلى هضاب أحد. وهناك تجلت عبقرية الرسول ﷺ وشجاعته المنقطعة النظير، فقد رفع صوته ينادي أصحابه: «**عباد الله**» ، وهو يعرف أن المشركين سوف يسمعون صوته قبل أن يسمعه المسلمون، ولكنه ناداهم ودعاهم مخاطراً بنفسه في هذا الظرف الدقيق، وفعلاً فقد علم به المشركون فخلصوا إليه، قبل أن يصل إليه المسلمون، فثبت رسول الله ﷺ ثباتاً منقطع النظير، وثبت أصحابه التسعة مُرغباً إياهم في الجنَّة، وكان يقول لهم: من يردهم عنا وله الجنة؟ أو هو رفيقي في الجنة؟ فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضا فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، ولم يبق في الموقف إلا رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص (رضى الله عنهما) وبعد هذا الثبات المنقطع النظير بدأ الصحابة يلتفون حول رسول الله ﷺ (١).

إذاً فلقد ظهرت عبقرية قيادته (عليه أفضل الصلاة والسلام) في أثناء القتال خاصةً في هذه الجولة من المعركة، يقول اللواء محمود شيت خطاب (٢) في ذلك:

"لقد استطاع الرسول ﷺ بهذا الموقف الصعب للغاية بالنسبة للمسلمين الموفّق للغاية بالنسبة للمشركين، أن يسيطر على الموقف في معركة يائسة جداً، ويقود الباقين من المسلمين لشق طريقهم من بين القوات المعادية المتفوقة المحيطة بهم، ثم يحتل موضعاً مشرفاً، ويقوم بإعادة تنظيم قواته الباقية ويعيد إليها معنوياتها وبأسها وقوتها، ويصد بها هجمات مضادة شديدة للمشركين، فيحيل الهزيمة المتوقعة الى نصر، لأنه اضطر قريشاً إلى اليأس من القضاء على المسلمين، بعد أن كان فناء المسلمين أمراً حتمياً، ثم اضطرهم إلى الانسحاب من المعركة بعد اليأس من إبادة المسلمين، ولم يكتف بذلك بل خرج في اليوم الثاني من المعركة، لمطاردة قوات المشركين، حتى اضطرهم الى استعمال الحيلة بإرسال المعلومات الكاذبة للمسلمين عن اعتزامهم إعادة الكرّة على قوات الرسول ﷺ، فلم يكترث بهذا التهديد وإنما أعدّ العدّة وقرّر لقاء المشركين مهما تكن الظروف والأحوال.

---

(١) انظر: الرحيق المختوم، للمباركفوري، ص١٤٨.

(٢) ولد بمدينة الموصل، ونشأ نشأة إسلامية، وهو رجل عسكري، درس العسكرية في العراق وبريطانيا، وشارك في حرب عام ١٩٤٨م، وله العديد من المؤلفات العسكرية واللغوية والفكرية منها: العقيدة والقيادة، وخالد بن الوليد.

هذه قيادة عبقرية، ظهرت للرسول ﷺ بهذه المعركة بشكل واضح كل الوضوح، كان من بعض نتائجها أنها جعلت النصر الى جانب المسلمين المغلوبين.

وأشهد أنني لم أقرأ في تاريخ الحرب لكل الأمم، موقفاً صعباً يائساً كالذي كان فيه المسلمون يوم أحد، فاستطاع الرسول القائد (عليه أفضل الصلاة والسلام)، بقيادته الفذة أن يتخلص من هذا الموقف العصيب، وينقذ قواته من فناء أكيد، ثم يعيد إليها ثقتها بنفسها ويعيد إليها قوتها المادية والمعنوية بشكل لم يسبق له نظير، وخلال فترة زمنية محدودة جدا. إن بروز قيادة النبي ﷺ في معركة أحد كان باهراً فذاً" (١).

الفرع الثاني: ثباته ﷺ في غزوة حنين:

لقد كان عدد المسلمين في حنين كثير فأخذت بعض المسلمين نشوة القوة وصولة كثرة العدد، فقد كان عددهم اثني عشر ألفاً، حتى قال بعضهم: لا يغلبنا اليوم أحد من قلة، وقد شق ذلك على رسول الله ﷺ، ولما كان من الليل قبل المعركة عمد مالك بن عوف إلى أصحابه فعبأهم في وادي حنين وهو واد ذو شعاب ومضايق وفرق الناس فيه، وأوعز إلى الناس أن يحملوا على محمد وأصحابه حملة واحدة. وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه وصفهم صفوفاً في السحر، ووضع الألوية والرايات في أهلها، يقول أنس بن مالك ﷺ فلما تحدرنا في الوادي، وبينما نحن فيه، إن شعرنا إلا بالكتائب قد خرجت علينا من مضيق الوادي وشعبه فحملوا حملة واحدة، فانكشف أول الخيل مولية فولوا، وتبعهم أهل مكة وتبعهم الناس منهزمين، ما يلوون على شيء (٢)، وأنزل الله في ذلك آيات بينات: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦].

وفي خضم هذا الموقف العصيب على المسلمين، ووسط هذه المباغتة من جيش حنين، ظهر لنا صورة واضحة لثباته ورباطة جأشه ﷺ وأنَّ الله ناصره لا محالة (٣). قال أنس: فسمعت رسول الله ﷺ، والتفت عن يمينه ويساره والناس منهزمون، وهو يقول: يا أنصار الله وأنصار رسوله أنا عبد الله ورسوله صابر، ثم تقدم بحربته أمام الناس، "وعن العباس ﷺ لما كان يوم حنين التقى المسلمون والمشركون، فولى المسلمون يومئذ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذ ببغلة رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ لا يألوا ما أسرع نحو المشركين، وقال:

---

(١) الرسول القائد، لخطاب، ص١٩٠.

(٢) انظر: مغازي الوقاد، ج٣، ص٨٩٧، الناشر: دار الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة.

(٣) انظر: غزوات الرسول ﷺ، للطاهر، ص٤٨١، الناشر: دار الفجر، الطبعة الثانية.

يا عباس، اصرخ: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة [(١)]، فناديت: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة، فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت إلى أولادها، يقولون: يا لبيك يا لبيك" [(٢)]، وفي ضجة الفزع الذي ساد المعركة أولاً، علت صيحات العباس ﷺ، ووصلت إلى آذان الرجال المدهوشين لما وقع، فأخذوا يكافحون ليبلغوا مصدر الصوت، واجتمع حول رسول الله ﷺ عدد من الرجال الذين دعاهم، حتى قارب القوم مئة، فاستقبل النبي ﷺ بهم المشركين، وقد ملك الموقف، وأعاد الكرّة عليهم، فاجتلد الفريقان اجتلاداً شديداً [(٣)]، وكتب الله النصر لعباده المؤمنين. فلقد ظهر الثبات من الحبيب ﷺ في أجمل صورة في هذه الغزوة.

وما دام أنَّنا ذكرنا ثبات الحبيب ﷺ في وجه الظالمين، كان لزاماً أن نذكر طرفاً من ثبات أصحابه ﷺ ممَّا سطره القرآن في حقهم، ليقتدي به العاملون، لأنَّ براعة المعلم تُعرف بنجابة طلابه، ونجاح القائد يُعرف بشجاعة جنوده، فقد ثبت الصحابة ﷺ في مواضع كثيرة ابتداءً من التعذيب من كفار مكة، إلى الثبات في المعارك أمام أقوى دول الكفر بلاد فارس والروم.

*** الموقف الأول من ثبات الصحابة ﷺ:**

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لله وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٤].

"هذا كان يوم حمراء الأسد، وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كروا راجعين إلى بلادهم، فلما استمروا في سيرهم ندموا على أنَّهم لم يقضوا على كل المسلمين ويجعلوها الفيصلة، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعبهم ويريهم أن بهم قوة وجلداً، ولم يأذن لأحد سوى من حضر الوقعة يوم أحد، سوى جابر بن عبد الله ﷺ فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان طاعة لله ﷻ، ولرسوله ﷺ" [(٤)]، نعم إنهم أولئك الذين دعاهم الرسول ﷺ إلى الخروج معه كرة أخرى غداة المعركة المريرة ، وهم مثخنون بالجراح، وهم ناجون بشق الأنفس من الموت أمس في المعركة، وهم لم ينسوا بعد هول الدعكة، ومرارة الهزيمة،

(١) السمرة: الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية. (مغازي الوقاد، ج٣، ص٨٩٨).

(٢) انظر: المرجع السابق، ج٣، ص ٨٩٨، مسند الإمام أحمد، ج٣، ص٢٩٦، رقم الحديث: ١٧٧٥، صحيح ابن حبان، ج١٥، ص٥٢٤، وقال الألباني: حديث صحيح.

(٣) انظر: فقه السيرة، للغزالي، ج١، ص٣٩١، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٢، ص١٦٢.

وشدة الكرب، فوق ما هم مثخنون بالجراح، ولكن رسول الله ﷺ دعاهم وحدهم. ولم يأذن لأحد تخلف عن الغزوة أن يخرج معهم ليقويهم ويكثر عددهم كما كان يمكن أن يقال فاستجابوا من دون أدنى تردد. ولعل رسول الله ﷺ شاء أن يشعر المسلمين، وأن يشعر الدنيا كلها من ورائهم، بقيام هذه الحقيقة الجديدة التي وجدت في هذه الأرض حقيقة أن هناك عقيدة هي كل شيء في نفوس أصحابها، ليس لهم من أرب في الدنيا غيرها، وليس لهم من غاية في حياتهم سواها. عقيدة يعيشون لها وحدها، فلا يبقى لهم في أنفسهم شيء بعدها (١)، وحتى تتضح صورة الثبات بأكمل معانيها، فهذه شهادة من رجلٍ عاش الثبات بكل معانيه، فعن عائشة بنت عثمان أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من بني عبد الأشهل كان قد شهد أحداً قال: شهدنا أحداً مع رسول الله ﷺ أنا وأخي، فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي أو قال لي أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ والله ما لنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جراحاً منه، فكان إذا غلب حملته، حتى انتهيا إلى المسلمون(٢).

*** الموقف الثاني من ثبات الصحابة ﷺ:**

قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب:٢٢].

إنَّ هذه الآيات تحكي لنا صورة عظيمة من صور الثبات، إنَّها صورة المؤمنين المشرقة المضيئة في مواجهة من تحزبوا على المسلمين في غزوة الخندق، فلقد كان الهول الذي واجهه المسلمون في الحادث من الضخامة، وكان الكرب الذي واجهوه من الشدة، وكان الفزع الذي لقوه من العنف، بحيث زلزلهم زلزالاً شديداً، كما قال عنهم أصدق القائلين: ﴿**هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**﴾ [الأحزاب:١١]، لقد كانوا ﷺ ناساً من البشر يفزعون، ويضيقون بالشدة، ويزلزلون للخطر الذي يتجاوز الطاقة، ولكنهم كانوا مع هذا مرتبطين بالعروة الوثقى التي تشدهم إلى الله وتمنعهم من السقوط وتجدد فيهم الأمل، وتحرسهم من القنوط.. وكانوا بهذا وذاك نموذجاً فريداً في تاريخ البشرية لم يعرف له نظير.

فعلينا أن نستمسك بالعروة الوثقى، عروة السماء، لننهض من الكبوة، ونسترد الثقة والطمأنينة، ونتخذ من الزلزال بشيرا بالنصر، فنثبت ونستقر، ونقوى ونطمئن، ونسير في الطريق.. وهذا النموذج الذي يذكر عنه القرآن الكريم مواقفه الماضية وحسن بلائه وجهاده، وثباته على عهده

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، ج١، ص٥١٩.

(٢) انظر: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، للحلبي، ج٢، ص٣٥١، الناشر: دار الكتب العلمية.

مع الله، فمنهم من لقيه، ومنهم من ينتظر[1]، هو النموذج الذي إن سرنا على خطاه ثبتنا في وجه الظالمين.

*** الموقف الثالث من ثبات الصحابة ﵃:**

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣].

جاء في سبب نزول هذه الآية ما يبين ثبات الصحابة ﵃ "عن أنس قال: غاب عمي أنس ابن النضر وبه سميت أنساً عن قتال بدر، فشق عليه لما قدم وقال: غبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ والله لئن أشهدني الله سبحانه قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال: أي سعد، والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد، فقاتلهم حتى قتل، قال أنس: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بالسهم، وقد مثلوا به، وما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه، ونزلت هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ قال: وكنا نقول: أنزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه" [2]، ويكتفي الباحث بذكر هذه المواقف الثلاثة، وإلا فإنَّ حياة الصحابة جميعها كانت ثباتاً وصبراً.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، ج٥، ص٢٨٤٤.

(٢) أسباب النزول، للنيسابوري، ص٣٥٣.

المبحث الثاني

ثبات المؤمنين في وجه الظالمين

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ثبات مؤمن آل فرعون.

المطلب الثاني: ثبات العلماء في زمن قارون.

المطلب الثالث: ثبات امرأة فرعون والسحرة.

المبحث الثاني

ثبات المؤمنين في وجه الظالمين

لقد رفع القرآن الكريم من شأن العلماء، وجعل لهم منزلةً رفيعة، ومكانةً مرموقة، فهم ورثة الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) وذكر فضلهم في القرآن الكريم في مواضع عديدة، منها:

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[آل عمران:١٨].

"ولا شك أنَّ الالتحام بالعلماء عصمة للأمة من الضلال، والعلماء هم سفينة نوح عليه السلام من تخلف عنها لا سيما في زمان الفتن كان من المغرقين" [١].

وتزداد قيمة العلماء والمؤمنين الصادقين في المجتمعات إذا كان الحكام حكام ظلم وجور وقهر يسومون الناس سوء العذاب، ويحاربون الفضيلة، وينشرون الرذيلة، ويحاربون الإسلام من داخله، ويخدعون الناس بمكرهم، ويضعون السم بالعسل، ليكون دور العالم في ذلك بأن يُظهر الحق للناس، ويكشف زيف الحكام الظالمين، ثمَّ ليكون القدوة الحسنة في ثباته في وجه الظالمين، لذا سيتحدث الباحث في هذا المطلب عن العلماء العاملين، الذين أدوا زكاة علمهم، فثبتوا في وجه الظلم، ولم تزل أقدامهم بالطين، وما باعوا دينهم بدنياهم، وما أفتوا للحكام بما تشتهيه أنفسهم، بل اتبعوا الصراط المستقيم، ولم تخفهم يد البطش من الظالمين، ولم ترعبهم جيوش الكفر، ولم يدخل قلوبهم إغراءات الحكام الفاسدين.

وسيذكر الباحث ثلاثة نماذج ممَّن خلَّد القرآن ذكرهم لينتفع بهم المسلمون من بعدهم، الأول ثبات مؤمن آل فرعون، وثبات العلماء في زمن قارون، وثبات امرأة فرعون والسحرة.

المطلب الأول

ثبات مؤمن آل فرعون

"رغم كثرة المواجهات بين موسى عليه السلام وفرعون على امتداد القرآن الكريم فإننا لا نشهد حضوراً لهذه الشخصية إلا في سورة غافر، والتي تسمى سورة المؤمن تكريماً لهذا الرجل" [٢]، وفي خضم الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون، والملأ يتشاورون كيف يواجهون دعوة موسى عليه السلام "ونار الغيظ تحرق كبد فرعون وفؤاده، حتى إنه لو أنيط اللثام عن قلبه لرأوا ناراً تكاد تلتهم ما حوله، وأيقن

(١) بصائر في الفتن، للمقدم، ص٢٢.

(٢) الشخصيات القرآنية، لعلاوي، ص٢٢٥، الناشر: دار صفاء للنشر، الطبعة الأولى.

فرعون بعد أن استنفذ كل الحيل وأساليب الإرهاب مع بني إسرائيل أنه لن يفلح إلا إذا قضى على موسى ﷺ فقال لمن حوله وقد لفه الغيظ" (١)، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦].

وهنا نطق رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه فقال، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ * يَا قَوْمِ لَكُمُ المُلْكُ اليَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ * وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ * وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٢٨-٣٣].

ولا شك أن اختيار هذه اللحظة الحاسمة من الرجل المؤمن ليعلن فيها إيمانه وموقفه الذي كتمه طويلاً، يدل على ذكاء الشخصية وحكمتها ودقة تقديرها للمواقف، كما يدل على شجاعتها وقدرتها على التضحية في سبيل مبدئها عندما تدعوا الحاجة إلى ذلك، فهي اللحظة الوحيدة في القرآن التي يلوّح فيها فرعون بقتل موسى ﷺ فشخصية هذا الرجل المؤمن تمثل نموذجاً للمؤمن المتمسك بعقيدته المضحي في سبيلها، الثابت في أحلك الظروف وأصعبها (٢).

"ونتيجة لهذه الدعوة المباركة، فقد آمن مع موسى ﷺ إضافة لبني إسرائيل، قليل من قوم فرعون من الشباب على وجل وخوف من فرعون وبطشه وعذابه" (٣)، كما قال تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ المُسْرِفِينَ﴾ [يونس:٨٣].

المطلب الثاني

ثبات العلماء في زمن قارون

لقد كان قارون هو ذلك النموذج الذي عرضه القرآن لتبيان خطر المال على النفس البشرية حينما يمتلكها ويتمكن منها، فقد كان قارون من الصنف الذي ضيع عمره في جمع المال أو وراثته،

---

(١) قصص القرآن، للبيسوني، ص٣٠٩.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٢٢٥.

(٣) الأنس الجليل في قصة موسى وفرعون وبني إسرائيل، للعمر، ص٦٥.

فزاده المال طغياناً وبغياً واستكباراً على قومه بدلاً من استخدامه في الحق [1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ أُولِي القُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ المُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٧٦-٨٠].

ويلاحظ من الآيات أن العلماء كان لهم دورٌ بارز في إظهار الحق وبيانه، فهم قد واجهوا قارون بكل ثبات قائلين له **(لا تفرح)** أي لا تبطر بما أعطيت وتفخر على غيرك، ولتكن همتك مصروفة لتحصيل ثواب الله في الدار الآخرة، فإنه خير وأبقى، وتناول منها بمالك ما أحل الله لك، فتمتع لنفسك بالملاذ الطيبة الحلال، وأحسن إلى خلق الله كما أحسن الله خالقهم وبارئهم إليك، ولا تسئ إليهم ولا تفسد فيهم، فتقابلهم ضد ما أمرت فيهم فيعاقبك ويسلبك ما وهبك، ولكن جوابه كان أنا لا أحتاج إلى استماع ما ذكرتم، ولا إلى ما إليه أشرتم، فإن الله إنما أعطاني هذا لعلمه أني أستحقه، وأني أهل له، ولولا أني حبيب إليه وحظي عنده لما أعطاني ما أعطاني [2].

وكذا فقد كان لهؤلاء العلماء دورٌ بارزٌ في تثبيت الناس، "فلما خرج قارون بثيابه الفاخرة، وحلله الباهرة، وموكبه المهيب، تجري أمامه المواكب، نظر إليه الفقراء مدهوشين، الذين خدعهم بريق المال، ممن يريدون الحياة الدنيا " [3]، قائلين: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾، فقال لهم العلماء الثابتين: ﴿... وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ ، فأين علمائنا اليوم من ظلم الظالمين، وجبروت الحكام الفاسدين، كيف يُمكن للمسلم أن يُفسر صمت الكثير من العلماء على ما يقوم به الحكام من بطشٍ بالشعوب، ونشر للرذيلة، ومحاربة للفضيلة، ثمَّ لا يتكلم الكثير من العلماء بكلمة واحدة، ولا ينكرون عليه ولو مرة واحدة، ونختم هذا المطلب بذكر نموذجين من علماء أمة الإسلام، ممن كان لهم صفحات مشرقة في الثبات في وجه الظلم، ولم تأخذهم في الله لومة لائم.

---

(١) انظر: قصص القرآن، للكبيسي، ص٢٦١.

(٢) انظر: قصص الأنبياء، لابن كثير، ص٣٣٦.

(٣) قصص الأنبياء، لابن كثير، ص٣٦٢.

المطلب الثالث

ثبات امرأة فرعون والسحرة

وفي كل قصة ثباتٍ لنبي من الأنبياء (عليهم السلام) تجد ثلةً من أتباعه الصادقين، ممن استقر الإيمان في قلوبهم، ورسخت العقائد في نفوسهم، يسطرون أروع قصص الثبات على الدين في مواجهة الطغاة والظالمين، فكان في قصة موسى ﷺ ثبات امرأة فرعون والسحرة (١) .

الفرع الأول: ثبات امرأة فرعون:

لقد سطرت امرأة فرعون صورة من أعظم صور الثبات وأنفسها، فهي قد ضحت بالنعيم والترف والقصور، وآثرت حب الله ﷻ على حب زوجها الكافر، لا بل وقد ضحت بحياتها في سبيل مرضات الله ودخول الجنة، فخلد القرآن ذكرها، لتكون عبرة لأولي الألباب، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التَّحريم:١١] .

وقد ضرب الله مثلاً للمؤمنين بامرأة فرعون، فإنها كانت صالحة، لم يضرها كفر فرعون، فصبرت على إيذاء فرعون، وذلك أن فرعون لما علم بإيمانها، طلب منها أن ترجع، فأبت ولم ترجع عن إيمانها، فوتدها بأربعة أوتاد في يديها ورجليها، وربطها وجعل على صدرها حجر الرحى، وجعلها في الشمس. فأراها الله تعالى بيتها في الجنة، ونسيت ما هي فيه من العذاب، وضحكت، فقالوا عند ذلك: هي مجنونة تضحك، وهي في العذاب، عن سلمان الفارسي ﷺ قال: كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس، فإذا ذرت، أي: طلعت الشمس وارتفعت، أظلتها الملائكة بأجنحتها، وأريت مقعدها من الجنة، وفي هذا حث للمؤمنين على الصبر في الشدة، فلا يكونوا في الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون(٢)، وقد قلدها النبي ﷺ وساماً رفيعاً فقال: **(حسبك من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ وآسية امرأة فرعون)**(٣).

الفرع الثاني: ثبات السحرة:

لقد جاء فرعون بالسحرة في يوم الزينة ليتحدى بهم معجزة موسى ﷺ بقلب العصا إلى ثعبان، لكن انقلب السحر على الساحر، فلمَّا رأى السحرة وهم أهل الاختصاص هذه المعجزة خروا

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، ج٥، ص٢٥٩٩.

(٢) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي، ج٣، ص٤٧٢.

(٣) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، ج٣، ص١٧١، رقم الحديث:٤٧٤٥، باب ذكر مناقب فاطمة، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، قال الألباني: صحيح (السلسلة الصحيحة: ٣١٤٣).

ساجدين، معلنين اتباعهم لدعوة موسى ﷺ وعبادة الله وحده لا شريك له قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾[الشعراء: ٤٣-٤٨].

"وظل السحرة في سجودهم بين فزع فرعون، وهروب الحاضرين، وما ساد الميدان من هرج ومرج، ولكن فرعون صرخ فيهم، وقد استرد أنفاسه، وجرح سجود السحرة كبرياءه وطغيانه"(١)، فقال: قال تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه:٧١].

"ولكن مع هذا التهديد كله وأنواعه لم يخف السحرة بعد إيمانهم، فلم يعدلوا ما جاء من باطل فرعون بما جاءهم من الحق ﷻ، وفي ذلك يقول ﷻ على لسان السحرة" (٢)، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٢-٧٣].

"وفعلاً بدأ فرعون بتنفيذ تهديده لمن آمن بموسى ﷺ فأخذ بعض المؤمنين وراح يقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى، ويصلبهم على جذوع النخل إلى أن يموتوا نزفاً، وتوقع أن يكون هذا العقاب الوحشي رادعاً لبقية المؤمنين فيعودوا لعبادة فرعون وينبذوا عبادة الله الواحد الأحد، ولكن إيمان السحرة كان صلباً أكثر مما توهم فرعون، فلمَّا خيرهم بين العودة إلى عبادته أو القتل على هذه الصورة فوجئ بموقفهم الثابت عندما قالوا"(٣)، قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٥-١٢٦]، وبذلك سطر السحرة صورة مشرقة من الثبات لأهل الإيمان، ويستفاد من الآيات "مشروعية سؤال الصبر على البلاء للثبات على الإيمان، وفضل الوفاة على الإسلام، وأنه مطلب عال لأهل الإيمان" (٤).

---

(١) القصص القرآني، للكبيسي، ص١٤٢.

(٢) الأنس الجليل في قصة موسى وفرعون وبني إسرائيل، للعمر، ص٩٠.

(٣) الأنس الجليل في قصة موسى وفرعون وبني إسرائيل، للعمر ، ص١٤٢.

(٤) أيسر التفاسير، للجزائري، ج٢، ص٢٢٢.

المبحث الثالث

ثبات الجماعات المؤمنة في وجه الظالمين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ثبات أصحاب الكهف.

المطلب الثاني: ثبات أصحاب الأخدود.

المبحث الثالث

ثبات الجماعات المؤمنة في وجه الظالمين

وبعد أن ذكر الباحث صوراً من ثبات الأنبياء (عليهم السلام) وصوراً من ثبات العلماء، ينتقل في هذا المبحث لصورة أخرى من صور الثبات، وهي ثبات الجماعات المؤمنة في وجه الظالمين.

المطلب الأول

ثبات أصحاب الكهف

لقد قص علينا القرآن قصة مجموعة من الشباب، وجدوا قومهم يعبدون الأصنام، غارقين في ظلمات الكفر والضلال، فآمنوا بالله وحده لا شريك له، وتركوا ما عليه الآباء والأجداد من الكفر، وما أن وصل خبرهم إلى الملك حتى ثار وهاجت في نفسه نوازع الشر والانتقام من هؤلاء الموحدين، فألقى القبض عليهم وحاورهم وناقشهم وتوعدهم على خروجهم عن دين الملك والرعية، وأمهلهم فترة زمنية حتى يعودوا إلى دين الآباء والأجداد، فقرر هؤلاء الفتية أن يفروا بدينهم إلى كهف يعرفونه في أحد الجبال يوحدون الله ويعبدونه (١)، وقد سطر لنا القرآن هذه القصة من الثبات لهؤلاء الفتية لتكون تسلية لكل شابٍ قابض على جمر الدين، متبع لسنة خير المرسلين، مجاهد في سبيل إظهار الحق والدين، وقد كرمهم الله ﷻ، وأعلى من شأنهم، إذ جعل سورةً في القرآن باسمهم، يتلوها المسلمون في كل يوم جمعة، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا * هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا * وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾[الكهف: ٩-١٦].

فمع شدة التهديد الذي حدث لأصحاب الكهف في حياتهم، استطاعوا أن يحافظوا على دينهم فلم يفتنوا، وآمن بسببهم قوم لا حصر لهم منذ عثروا عليهم، ونحن من بعد تسجيل القرآن لسيرتهم ما زلنا عبر كل زمان ومكان يتلى فيه القرآن يشع نور هؤلاء نوراً جديداً في حياة كل مسلم

(١) انظر: القصص القرآني، ص٢١٧.

منذ نزلت سورة الكهف حتى قيام الساعة، وأي نجاح أعظم من هذا، وأي فلاح أكبر من ذلك [1].

وقد مثلت شخصية أصحاب الكهف نموذجاً للإيمان العميق المطمئن الواثق المتميز ليكون قدوة حية للمؤمن المتمسك بالحق، وهو أمر كانت تحتاجه الجماعة المسلمة بمكة، وما زالت تحتاجه كل الجماعات التي تسعى لنصرة دين الله ﷻ [2].

المطلب الثاني

ثبات أصحاب الأخدود

الحديث هنا عن ثبات مجتمع بأكمله على الحق، في مواجهة الحاكم الظالم المستبد، إنَّه قصة أصحاب الأخدود، أولئك الذين اتضح لهم الحق، وبان لهم زيف الباطل، فآمنوا لرب العالمين، غير آبهين بتعذيب الملك وإجرامه، ليكون أصحاب الأخدود قدوةً حسنةً لكل المجتمعات الإسلامية وعلى مدار الأزمان، وقد سطر القرآن قصة ثباتهم في سورة البروج: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ(٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[البروج: ١-١٠].

هكذا ذكر الله تعالى القصة، حريق وأخدود، ونقمة من أهل الإيمان لأنهم تجرأوا فآمنوا بالله، وتلك نهاية القصة، أما البداية فقد ساقها النبي ﷺ في أحداث القصة كاملة، ففي صحيح مسلم عن صهيب، أن رسول الله ﷺ قال: " كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر، قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه، إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه، فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر، فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من

---

(١) انظر: سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير، لسلطان، ص٣٥.

(٢) انظر: الشخصيات القرآنية، لعلاوي، ص٢٣٦.

سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع، إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور[1]، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله، رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك [2]، فخدت وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: **(يا أمه اصبري فإنك على الحق)** [3].

ففي هذه القصة تتسلسل صور الثبات بكل معانيه، وفي أرقى صوره، لتبعث في المسلم شعاعاً منيراً، يملأ حياته ثباتاً على طاعة الله، في وجه الظالمين والطغاة، فمن ثبات الراهب، إلى

---

(١) القرقور: يقال للسفينة الكبيرة، (مختار الصحاح للجوهري، ج١، ص٢٥٠).

(٢) أفواه السكك: أي أبواب الطرق. (شرح فؤاد عبد الباقي، لمسلم).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود، رقم الحديث: ٣٠٠٥.

ثبات الأعمى، إلى ثبات الغلام، إلى ثبات أصحاب الأخدود، فجميعهم آثروا الموت على الحياة، في سبيل الثبات على عبادة الله وحده لا شريك الله، وفي هذه القصة من الفوائد الكثير ومنها:

* أنَّ المؤمن لا يمكن أن يخاف إلا من الله، ولا يرهب إلا من عذاب الله، وأمَّا ما يصيبه من الظالمين فهو ابتلاء من الله، وتمحيص ليختبر حقيقة إيمانه، ودليل صدقه.

* على المؤمن أن يظهر لربه أكثر ما يمكنه أن يعمل، خاصتاً في وقت المحن والابتلاءات.

* لا يجوز للمسلم أن يتنازل عن دينه، أو عن شعيرةٍ من دينه، استجابةً وإرضاءً للحاكم الظالم.

* أنَّ الإيمان إذا خالطة بشاشته القلوب لا تزيله من قلب المؤمن كل جيوش الأرض ولو اجتمعت، ولا ترهبه كل السيوف ولو اتحدت، لأنَّ قلبه قد ملأ بالثقة بالرحمن فلم يعد متسعاً فيه للخوف من أي إنسان.

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في الفصل الثالث نماذج من الثابتين في وجه الظالمين:

* لقد ضرب الأنبياء (عليهم السلام) القدوة الحسنة في الثبات في وجه الظالمين، فلقد ثبتوا ثباتاً لم يثبته أحد، وقد ذكر القرآن قصصهم ليكونوا القدوة الحسنة للمؤمنين.

* لقد ثبت الحبيب ﷺ ثبات الأبطال حتى سطعت شمس الإسلام مُنهيةٌ عصر الظلام، وحياته ﷺ من أولها إلى آخرها، نموذجاً كاملاً للثبات ضد الظالمين.

* كانت حياة الصحابة ﭫ حياة مليئة بصور الثبات، حيث الصبر على أذى المشركين في مكة، وترك وطنهم والفرار بالدين، ثم الثبات في القتال ضد الكافرين.

* أشد ما يُلاقيه الإنسان في حياته الدعوية أن يكون أقرب الناس إليه أشد خصومه، وهذا ما كان مع سيدنا إبراهيم ﵇، فرسم بثباته أروع نماذج الثبات على الحق.

* على المسلم أن يقول الحق مهما كانت النتائج، ولا يخشى في الله لومة لائم، فسيدنا موسى ﵇، قال الحق أمام فرعون، وسيدنا إبراهيم ﵇، قال الحق أمام النمرود، وكذا كل الأنبياء (عليهم السلام)، وهذا الواجب على المسلم الذي يسعا لرضى ربه.

* لقد سطرت امرأة فرعون صورة من أعظم صور الثبات وأنفسها، فهي قد ضحت بالنعيم والترف، وآثرت حب الله ﻷ على حب زوجها الكافر، لا بل وقد ضحت بحياتها، فخلد الله ذكرها في القرآن، وعوضها بقصور الجنان، فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

* تزداد قيمة العلماء في المجتمعات إذا كان الحكام حكام ظلم وجور، يحاربون الإسلام من داخله، فعلى العلماء أن يكشفوا زيف الحكام الظالمين، ثمَّ ليكون القدوة الحسنة في ثباتهم.

* في قصة أصحاب الأخدود نموذجاً لثبات العالم على الحق في وجه الظالمين، ونموذجاً لثبات الأشخاص على الحق، ونموذجاً لثبات مجتمع بأكمله على الحق في وجه الظالمين.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بفضله وكرمه أعانني ووفقني بأن أكملت هذا العمل، فإنَّها نعمةٌ عظيمة، وهبةٌ ثمينة بأن أكرمني الله ﷻ، أن أجول في بستان القرآن العظيم، لاستخلص منه موضوع الثبات في وجه الظالمين، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يعين به الموحدين على الثبات في وجه الظالمين.

وهذه خلاصة لأهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث:

أهم النتائج:

* لقد عالج القرآن الكريم كل ما يُصيب الأمَّة من محن وابتلاءات، ووضع لها البلسم الشافي، ومن ذلك فضح ما يستخدمه الظالمون في صد الناس عن دينهم.

* من أهل الباطل، من هو مستعدٌ ليضحي بماله وبجهده وبنفسه، ولا أن يرى رايةً للحق خفاقة، ولا أن يرى الفضيلة قد انتشرت، لأنَّه يحمل قلباً فاسداً، فلا يسره أن ترى عيناه شيئاً صالحاً.

* أهل الباطل يجتمعون بينهم ويتوحدون على معاداة الإسلام، ومقاتلة المسلمين، لأنَّ الإسلام إذا انتصر سيطفئ كل ظلمات الكفر التي يستخدمها الظالمون وأعوانهم.

* على المؤمن أن يوطن نفسه على أنه سيواجه منافقين يريدون أن يردوه عن الإيمان، وسيجد أناسا يسخرون منه ويتغامزون عليه، فهذه طريق الدعوات في كل الأزمان.

* لم يترك المشركون سبيلاً للتشكيك في دعوة النبي ﷺ إلا طرقوه، ومن ذلك طلب المعجزات، والإشاعة، والمجادلة بالباطل، وكل الوسائل الإعلامية لتشويه الدين.

* إنَّ الظالمين يسخرون كل ما لديهم من عقول وأموال وإمكانات لمحاربة الإسلام ومعاداة أهله، ولصد الناس عن الدخول فيه، أو التمسك بأحكامه.

* دائماً يستخدم الظالمون كل وسائل العنف لإرهاب الناس، وتخويفهم من الالتزام بالدين، كالسجن والتهجير والتعذيب والقتل.

* العقيدة الإسلامية منسجمةٌ مع فطرة الإنسان التي فطرهُ الله عليها، وإذا ما رسخت في نفس المؤمن، والتصقت في عقله، وتربعت في قلبه، فلن تزيلها كل قوى الأرض ولو اجتمعت.

* حرص القرآن الكريم على ترسيخ العقيدة في نفس المؤمن ترسيخاً متيناً لا يخالطه شكٍ ولا ريب، فذكر كل ما من شأنه أن يزيد هذه العقيدة رسوخاً، وأوضح لنا كل ما يمكن أن يصيب المسلم ممَّا قد تراوده نفسه به، ممَّا قد يضعف هذه العقيدة.

* ذكر القرآن الكريم كل ما يُساعد المؤمن لأن يبقى ثابتاً على دينه، بترسيخ العقيدة في قلبه.

* أبطل القرآن كل حجج الكافرين، وفنَّد كل شبهاتهم، ودحض كل وسائلهم في صد الناس عن الدين.

* ردَّ القرآن على كل وسائل الظالمين التي يستخدمونها في صد الناس عن الإيمان، فأرشد المؤمن للتعامل معها بالطريقة الصحيحة، حتى ينجوا بدينه.

* التوحيد منهج، والشرك منهج آخر لا يلتقيان، فالمؤمن يبقى مؤمناً، والكافر يبقى كافراً، والفارق بينهم كالحي والميت، فلا مجال بأي حال لقبول مساومات أهل الباطل.

* المؤمن الحق دائم السعادة، مطمئن القلب، راضياً بقضاء الله، لأنَّه يعلم أنَّ كل ما أصابه إنَّما هو خيرٌ له، وإن كان يرى في ظاهره غير ذلك.

* الأنبياء (عليهم السلام) هم أكثر الناس ثباتاً في وجه الظالمين، والعلماء من بعدهم هم سفن النجاة، وفي كل زمان تتميز جماعةٌ مؤمنة في ثباتها ضد الظالمين، لتكون نبراساً للمؤمنين.

* تزداد قيمة العلماء في المجتمعات إذا كان الحكام حكام ظلم وجور، يحاربون الإسلام من داخله، فعلى العلماء أن يكشفوا زيف الحكام الظالمين، ثمَّ ليكون القدوة الحسنة في ثباتهم.

* الثبات على الدين والالتزام أُمنية كل الصادقين، وغاية كل المخلصين، والتوكل على الله تعالى، وتفويض الأمر إليه، عمود الأساس في تحقيق الثبات.

أهم التوصيات:

* أوصي نفسي وكل من يطالع هذه الرسالة بتقوى الله العظيم، وإخلاص الأعمال لوجهه الكريم.

* الإقبال على كتاب الله ﷻ قراءةً وحفظاً وعلماً وعملاً، ففيه سعادة الإنسان في الدارين.

* على الدعاة والباحثين أن يُبينوا للناس وسائل الظالمين كما بينها القرآن، حتى لا يغتروا بهم.

* على العلماء أن يأخذوا دورهم الصحيح في المجتمع، بأن يُبينوا للناس ما يدور حولهم من مكر الكافرين والمنافقين بهم، فبصلاحهم صلاح الأمة.

* أوصي الباحثين بأن يُوجهوا بوصلة بحثهم نحو الدراسات التي تُعين الأمَّة وتساعدها على النهوض، والرجوع في مقدمة الأمم.

الفهارس

ونشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	١٠٥
سورة البقرة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢-	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾	٨-٢٠	١٧١
٣-	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ...﴾	١٤	١٥
٤-	﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ...﴾	٢٥	١٣٨
٥-	﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ...﴾	٤٩	١٩٧
٦-	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ...﴾	١٠٩	١٥
٧-	﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ...﴾	١٢٠	١١٥
٨-	﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾	١٥٢	١٠٣
٩-	﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾	١٥٤	١٨٣
١٠-	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ...﴾	١٨٦	١٢٠
١١=	﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ...﴾	٢٠٠	١٠٣

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢-	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ ...﴾	٢١٤	١٧٩
١٣-	﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ...﴾	٢١٧	١١٤
١٤-	﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ...﴾	٢٥٠	١٠٥
١٥-	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ المُلْكَ ...﴾	٢٥٨	١٩٦
	سورة آل عمران		
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦-	﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ﴾	٧	١٢١
١٧-	﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾	٨	١٠٥
١٨-	﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾	١٨	١٢١
١٩-	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	٣١	١٥
٢٠-	﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾	٨٥	١٥
٢١-	﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾	٩٢	٩١
٢٢-	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ...﴾	٩٩-١٠٠	١٧٢
٢٣-	﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	١٢٣-١٢٥	١٣٢
٢٤-	﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ ...﴾	١٣٥	١١

٢٥-	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ ...﴾	١٤٤	٥٤
٢٦-	﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾	١٤٧	١٠٥
٢٧-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ ...﴾	١٤٩-١٥٠	١٧٢
٢٨-	﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ ...﴾	١٥٢-١٥٣	٢٠٤
٢٩-	﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾	١٥٩	١١٦
٣٠-	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ...﴾	١٦٩-١٧١	١٨٤
٣١-	﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾	١٧٣	١٩٥
٣٢-	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾	١٩٠-١٩١	١٠٣
٣٣-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٢٠٠	١١٠
	سورة النساء		
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٤-	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ...﴾	٥١	١٩
٣٥-	﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ ...﴾	٦٦	١٠٠
٣٦-	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾	٨٢	ج، ٨٢
٣٧-	﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ...﴾	٨٣	١٢٢

٣٨-	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ...﴾	٩٧	١٢٤
٣٩-	﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ...﴾	١٠٠	١٢٤
٤٠-	﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا ...﴾	١٤٠	١٥٧
	سورة المائدة		
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤١-	﴿... وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	٢٣	١١٦
٤٢-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ...﴾	٥٤	١٤٢
٤٣-	﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾	٨٤-٨٥	١١٦
٤٤-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ ...﴾	٩٠-٩١	٩٢
٤٥-	﴿قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ ...﴾	١١٥	١٦٦
	سورة الأنعام		
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٦-	﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾	٨	٣٨
٤٧-	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾	٩	١٦٠
٤٨-	﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً ...﴾	٣٧	٤٤
٤٩-	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾	٨٢	١٠
٥٠-	﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ...﴾	٨٣-٨٦	٩٦

٥١-	﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ ...﴾	١٠٩	٤٤
٥٢-	﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ ...﴾	١١١	١٦٤
٥٣-	﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ ...﴾	١٢٤	١٦٥
٥٤-	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	١٥٥	٨٩
	سورة الأعراف		
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٥-	﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾	٣	٨٩
٥٦-	﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...﴾	٥٩	١٨٩
٥٧-	﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ...﴾	٦٤	١٥٨
٥٨-	﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ...﴾	٧٠	٤٦
٥٩-	﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾	٧٢	١٥٨
٦٠-	﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾	٧٨	١٥٨
٦١-	﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾	٨٢	٤٦، ٦٥
٦٢-	﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ ...﴾	٨٦	٥٠

٦٣-	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ ...﴾	٨٨	٦٥
٦٤-	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾	١٧٥-١٧٦	١١١

سورة الأنفال

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٥-	﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي ...﴾	١٢	١٣٢
٦٦-	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ...﴾	٣٠	٣، ٤
٦٧-	﴿وَإِذْ قَالُوا اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ...﴾	٣٢	٤٦
٦٨-	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ ...﴾	٣٦	١٥٢
٦٩-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٤٥	١٠٢
٧٠-	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ...﴾	٦٠	١٢٩

سورة التوبة

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧١-	﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ...﴾	١٨	١٤٠

٧٢-	﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ...﴾	٢٥-٢٦	٢٠٦
٧٣-	﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ...﴾	٣٠	١٥
٧٤-	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ...﴾	٣٢-٣٣	١٤٦
٧٥-	﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ ...﴾	٤٠	٢٠٢
٧٦-	﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾	٥١	١٨١
٧٧-	﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ ...﴾	٧٩	١٥٤
٧٨-	﴿فَرِحَ المُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا ...﴾	٨١-٨٢	١٧٥

سورة يونس

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٩-	﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا ...﴾	١٥	٥٨
٨٠-	﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ﴾	١٠٩	١٠٨

سورة هود

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٨١-	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ...﴾	١٣-١٤	١٧٢
٨٢-	﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ...﴾	٢٧	٥٥
٨٣-	﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾	٣٣	١٦٨
٨٤-	﴿وَيَصْنَعُ الفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ...﴾	٣٨	١٩١

٨٥-	﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آَلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾	٥٣-٥٤	٥٥
٨٦-	﴿قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آَبَاؤُنَا ...﴾	٦٢	٥٥
٨٧-	﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آَبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ...﴾	٨٧	١٥٨،٥٦
٨٨-	﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ...﴾	١٢٠	٩٤
	سورة يوسف		
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٨٩-	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآَنَ ...﴾	٣	٩٤
٩٠-	﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ...﴾	٣٢	٧٠
٩١-	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ...﴾	١١١	٩٤
	سورة الرعد		
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٢-	﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾	٧	٤٤
٩٣-	﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ...﴾	٢٧	٤٤
	سورة إبراهيم		
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٤-	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...﴾	٤	١٦٢

٩٥-	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ...﴾	١٣	٦٥
٩٦-	﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ...﴾	٢٧	١٣٨
٩٧-	﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ﴾	٤٦	١٤٧
	سورة الحجر		
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٨-	﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾	٦-٨	١٥٩
٩٩-	﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	٧	٣٨
١٠٠-	﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ ...﴾	٩٤-٩٥	١٥٧
	سورة النحل		
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠١-	﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	١٢	١٢٢
١٠٢-	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ المُشْرِكِينَ ...﴾	١٢٠-١٢٣	١٩١
١٠٣-	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ...﴾	١٢٥	٥٧
١٠٤-	﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ ...﴾	١٢٧	١١٠
	سورة الإسراء		
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠٥-	﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ ...﴾	٥٩	١٦٦
١٠٦-	﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ ...﴾	٩٠-٩٣	٤٠

١٠٧-	﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا ...﴾	٩٤-٩٥	١٦٠
١٠٨-	﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾	١٠٣	٦٥
١٠٩-	﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾	١٠٦	٨٦
	سورة الكهف		
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١١٠-	﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾	٩-١٦	٢١٧
١١١-	﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾	٢٠	٧٣
١١٢-	﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ ...﴾	٥٦	٥٦
	سورة مريم		
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١١٣-	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾	٤١-٤٦	١٧٧
١١٤-	﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾	٤٢-٤٤	١٩٢
١١٥-	﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ ...﴾	٤٦-٤٧	١٧٧
١١٦-	﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾	٦٤	١٥٩
١١٧-	﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾	٧٦	١٠٠
	سورة طه		
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١١٨-	﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾	٢٤-٢٥	١٩٩

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١١٩-	﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾	٥٧-٧٠	٢٠٠
١٢٠-	﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ ...﴾	٧١	٢١٥
سورة الأنبياء			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢١-	﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾	٥	٥٠
١٢٢-	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٧	١٦١
١٢٣-	﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾	٥٧-٥٨	١٩٤
سورة الحج			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٤-	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ...﴾	٤٠	١٢٩
سورة النور			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٥-	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا ...﴾	١٩	٥٤
١٢٦-	﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ...﴾	٣١	٩٣

١٢٧-	﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾	١٣	١٧٣
١٢٨-	﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ ...﴾	١٥	١٧٣
	سورة الفرقان		
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٩-	﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	٥	٥٦
١٣٠-	﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ...﴾	٧	٣٨
١٣١-	﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ ...﴾	٧-٨	٤٠
١٣٢-	﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ...﴾	١٠	١٦٢
١٣٣-	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ...﴾	٢٠	١٦١
١٣٤-	﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ...﴾	٢١	٣٨
١٣٥-	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ...﴾	٣٢	٤٣
	سورة الشعراء		
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٣٦-	﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾	١٦-١٩	١٩٨، ١٩٩
١٣٧-	﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾	١٨-١٩	٥٦
١٣٨-	﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾	٢٩	٧١
١٣٩-	﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ... ﴾	٤٣-٤٨	٢١٥

١٤٠-	﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ*فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى ...﴾	٦٠-٦٦	٢٠١
١٤١-	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ...﴾	٦٩-٨٣	١٩٤
١٤٢-	﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾	٧١	١٩٤، ٥٦
١٤٣-	﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾	١١٦	٧٣
١٤٤-	﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	١٨٧	٤٦
	سورة النمل		
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٤٥-	﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَانْظُرْ ...﴾	٥٠-٥١	١٤٧
	سورة القصص		
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٤٦-	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً ...﴾	٤	١٧٤
١٤٧-	﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ ...﴾	٧٦-٨٠	٢١٣
١٤٨-	﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ ...﴾	٨٠	٢١٣
	سورة العنكبوت		
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٤٩-	﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ...﴾	١-٣	٦٤
١٥٠-	﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ...﴾	١٦-١٧	١٩٤
١٥١-	﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	٢٦	١٢٤

١٥٢-	﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	٢٩	٤٦
١٥٣-	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾	٤٦	١٧٦
١٥٤-	﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾	٥٠	٤٤
١٥٥-	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ...﴾	٦٧	١٥

سورة لقمان

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٥٦-	﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	٣٤	١٨٢

سورة الأحزاب

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٥٧-	﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾	١٢	٥٥
١٥٨-	﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولًا...﴾	١٥-١٧	١٨٣
١٥٩-	﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ...﴾	٢٢	٢٠٨
١٦٠-	﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ...﴾	٢٣	٢٠٩
١٦١-	﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾	٣٥	١٠٣
١٦٢-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾	٤١	١٠٣

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٣-	﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ...﴾	٦٠	١٧٤

سورة فاطر

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٤-	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾	٢٨	١٢١، ١٢٢

سورة يس

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٥-	﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	١٨	٧٣

سورة الصَّافات

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٦-	﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ...﴾	٩١-٩٣	١٩٤
١٦٧-	﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾	٩٧	٧٣
١٦٨-	﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا ...﴾	٩٧-٩٨	١٩٥

سورة ص

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٩-	﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾	٦	١٧
١٧٠-	﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾	١٦	٤٦، ١٦٧
١٧١-	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	٢٩	٨٢
١٧٢-	﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٨٢	١١٦

سورة الزمر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٣-	﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً ... ﴾	٥٥	٨٩
١٧٤-	﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ... ﴾	١٧-١٨	٨٩
١٧٥-	﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	١٠	١١٠
سورة غافر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٦-	﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي البِلَادِ ﴾	٤-٥	٥٦
١٧٧-	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ... ﴾	٢٦	٧٣، ٢١٢
١٧٨-	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ... ﴾	٢٨-٣٢	٢١٢
سورة فصلت			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٩-	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ ... ﴾	٣٠	١٣٨
سورة الشورى			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٠-	﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ ... ﴾	٤٢	١١
سورة الزخرف			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨١-	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا القُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾	٣١	٤٠

١٨٢-	﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي ...﴾	٥١-٥٢	٤٠، ١٩٨

سورة الدخان

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٣-	﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ العَذَابِ المُهِينِ﴾	٣٠-٣١	٦٨
١٨٤-	﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ...﴾	٤٣-٤٩	١٥٥

سورة الأحقاف

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٥-	﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آَلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	٢٢	٤٦

سورة محمد

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٦-	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآَنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	٢٤	٨٢
١٨٧-	﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ ...﴾	٣٠	١٧٠
١٨٨-	﴿ ...وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾	٣٨	١٤٢

سورة الحجرات

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٩-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا ...﴾	١١	١٥٣
١٩٠-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ...﴾	٦	١٦٩

سورة القمر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩١-	﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾	٢	٥٦
سورة الحديد			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٢-	﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ ...﴾	٢٠	١٣٦
سورة المجادلة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٣-	﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ...﴾	١	١٧٦
سورة الحشر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٤-	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...﴾	١١	٢٠
١٩٥-	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾	١١-١٤	١٤٨،٢١
١٩٦-	﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ...﴾	١٦-١٧	١١٤
١٩٧-	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ...﴾	١٩	١٠٣
سورة الممتحنة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٨-	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ...﴾	٦	١٤٠

سورة الجمعة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٩-	﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	١٠	١٠٢
٢٠٠-	﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ...﴾	٥	١١١
سورة المنافقون			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠١-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ...﴾	٩	١٠٣
سورة التحريم			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠٢-	﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ...﴾	١١	٢١٤
سورة الملك			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠٣-	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	١٢	١٤١
سورة القلم			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠٤-	﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾	٨-٩	٥٨
٢٠٥-	﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ...﴾	١١-١٦	١٧٤
٢٠٦-	﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ...﴾	٤٨	١١٠

سورة المزمل			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
-٢٠٧	﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾	٤	٨٣
سورة المدثر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
-٢٠٨	﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾	١٨-٣٠	١٥٨
سورة الطارق			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
-٢٠٩	﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾	١٥-١٧	١٦
سورة المطففين			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
-٢١٠	﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾	٣٦	١٥٥
سورة البروج			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
-٢١١	﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾	٤-٦	٧٣
سورة الكافرون			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
-٢١٢	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ...﴾	١-٦	٥٩، ١٧٨

سورة المسد			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢١٣-	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ...﴾	١-٥	١٧٤

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الراوي	الصفحة
١-	أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها...........	الترمذي	١٣٧
٢-	إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالإيمان............	ابن ماجه	١٤٠
٣-	إذا كنز الناس الذهب والفضة، فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني	أحمد	١٠٨
٤-	ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة، الرمي، ألا إن القوة الرمي	مسلم	١٢٩
٥-	ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها، عند مليككم، وأرفعها في	أحمد	١٠٤
٦-	إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها..........................	مسلم	١٤٦
٧-	إن رجلاً أتاني وأنا نائم ، فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم	مسلم	١٢٠
٨-	إن من أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين	أحمد	٦٤، ١٨٠
٩-	أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء	أبو داود	١٧٦
١٠-	أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب	ابن ماجه	١٨٢
١١-	حسبك من نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وخديجة	النيسابوري	٢١٤
١٢-	عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا	مسلم	١٨٢
١٣-	عرضت علي الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة	البخاري	١٨٩
١٤-	قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجهد	مسلم	٦٦
١٥-	قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، ثم يؤتى ...	أبو داود	٦٩، ٩٧
١٦-	كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر	مسلم	٢١٨
١٧-	لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله ﷻ	ابن ماجه	١٠٤
١٨-	للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه ...	ابن ماجه	١٨٤
١٩-	ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه	البخاري	١٠
٢٠-	وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر	مسلم	١١٠

٢١-	يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع ...	الترمذي	١٠٧
٢٢-	يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع ...	البخاري	٨٦

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

م	أسماء الأعلام	الصفحة
١-	ابن فارس	٣
٢-	أبو إدريس الخولاني	٧٥
٣-	بريدة	٩٢
٤-	الحسن	٨٦
٥-	الخواص	١٠٩
٦-	الربيع بن خيثم	١١٩
٧-	الشعبي	١٢٣
٨-	طرفة	٣
٩-	عكرمة	٩١
١٠-	عمرو بن عثمان	١١٩
١١-	الفضيل بن عياض	١٨٠
١٢-	مالك بن دينار	٨٨
١٣-	مجاهد	٨٦
١٤-	مسروق	١٢٣
١٥-	النمرود	١٩٦

رابعاً: المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية، الطبعة: ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٢- أحكام القرآن: علي بن محمد بن علي، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي، المحقق: موسى علي وعزة عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية.

٣- أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، تحقيق: محمد منيار، الناشر: المكتبة المكية ودار البشائر الإسلامية.

٤- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

٥- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار: محي الدين بن شرف النووي، تحقيق: محمد العمر الناشر: مكتبة المنار، الأردن.

٦- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تحقيق: محمد عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٧- أساليب القرآن الكريم في الرد على الحملات الإعلامية: نعيم رزق الدردساوي، الناشر: دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

٨- الأسامي والكنى: أبو أحمد الحاكم، المكتبة الشاملة.

٩- أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح الدمام، الطبعة الثانية.

١٠- استخراج الجدال من القرآن الكريم: عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري، المحقق: الدكتور زاهر بن عواض الألمعي، الناشر: مطابع الفرزدق، الطبعة الثانية.

١١- أسد الغابة في معرفة الصحابة: علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري، عز الدين بن الأثير، المحقق: علي محمد معوض عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية.

١٢- الإشاعة إلى أين: خضر محمد أبو القرع، سنة النشر: ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

١٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، عام النشر: ١٤١٥هـ.

١٤- إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، الطبعة: الرابعة ١٤١٥هـ.

١٥- الأنس الجليل في قصة موسى وفرعون وبني إسرائيل: فؤاد عبد الله العمر، الناشر: مكتبة المنار الاسلامية، الطبعة الأولى.

١٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن، الناشر: دار إحياء التراث بيروت، الطبعة: الأولى١٤١٨هـ.

١٧- أوضح التفاسير: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، الناشر: المطبعة المصرية، الطبعة السادسة، رمضان ١٣٨٣هـ فبراير ١٩٦٤م.

١٨- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٩- بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي.

٢٠- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٢١- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: حسن عباس زكي القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ.

٢٢- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

٢٣- البرنامج العملي لبناء المسلم القرآني، الناشر: المجموعة العربية للبحوث، الطبعة الأولى.

٢٤- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى.

٢٥- بصائر في الفتن: محمد بن إسماعيل المقدم، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى.

٢٦- بيان المعاني: عبد القادر بن ملّا السيد، الناشر: مطبعة الترقي دمشق، الطبعة الأولى.

٢٧- تاريخ الرسل والملوك: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري، الناشر: دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية.

٢٨- التبيان شرح أركان الإيمان: سعد عاشور، الناشر: دار المنارة غزة، الطبعة الثالثة.

٢٩- التبيان في آداب حملة القرآن: محي الدين بن شرف النووي، تحقيق: بلال جبر عماد، الناشر: مكتبة سمير منصور غزة، الطبعة الأولى.

٣٠- تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين: سيد بن حسين العفاني، الناشر: مكتبة معاذ بن جبل، الطبعة الثانية.

٣١- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٣٢- تدبر القرآن: سلمان بن عمر السندي، الناشر: مكتبة الملك فهد الرياض، الطبعة الثانية.

٣٣- تَذْكِرَةُ السَّامِعِ والمُتَكَلِّم في أَدَب العَالِمِ والمُتَعَلِّم: الشيخ العالم بدر الدين أبو عبد الله، الملقب بابن جماعة الكناني، الناشر: مكتبة مشكاة الاسلامية.

٣٤- تفسير التستري: أبو محمد سهل بن عبد الله التُستري، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٣٥- التفسير الحديث: دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب القاهرة الطبعة: ١٣٨٣هـ.

٣٦- تفسير الشعراوي الخواطر: محمد متولي الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

٣٧- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن المنذر التميمي الحنظلي، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار الباز، السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.

٣٨- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

٣٩- تفسير القرآن الكريم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٤٠- تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد السمعاني، المحقق: ياسر بن إبراهيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤١- تفسير القرآن: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، المحقق: عبد الله بن إبراهيم، الناشر: دار ابن حزم بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٤٢- التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي القاهرة.

٤٣- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

٤٤- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

٤٥- التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٤٦- التفسير الواضح: الحجازي محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة العاشرة - ١٤١٣هـ.

٤٧- التفسير الوسيط للزحيلي: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٤٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى.

٤٩- تفسير عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، الناشر: دار الكتب العلمية، تحقيق: محمود محمد عبده، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ.

٥٠- تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، المحقق: محمد أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي مصر الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٥١- تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٥٢- التفسير من سنن سعيد بن منصور: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، تحقيق: سعد آل حميد، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

٥٣- التمهيد في علم التجويد: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، تحقيق: الدكتور على حسين البواب، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.

٥٤- التوجيهات الإلهية للفرد المسلم من خلال القصص القرآني في سورة القصص: المحامي الدكتور مسلم اليوسف، المكتبة الشاملة.

٥٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٥٦- الثبات أهميته وعوامل بقائه وصوره: محمد موسى الشريف، الناشر: دار الأندلس الجديدة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٥٧- الثقة في نصر الله: جمعة أمين عبد العزيز، الناشر: دار الدعوة، الطبعة الثانية.

٥٨- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٥٩- الجامع الصحيح سنن الترمذي: أحمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ترقيم أحمد شاكر، الناشر: دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٦٠- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨هـ-١٩٦٤م.

٦١- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٨٧م.

٦٢- حادي الأرواح بلاد الأفراح: ابن القيم الجوزية، الناشر: مكتبة الإيمان، الطبعة الثانية.

٦٣- حكمة القرآن والحضارة: نذير حمدان، الناشر: دار الكلم الطيب بيروت، الطبعة الأولى.

٦٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، الناشر: السعادة بمصر.

٦٥- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم دمشق.

٦٦- دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق: السيد أحمد عمارة، الناشر: مكتبة المتنبي.

٦٧- الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٦٨- الرسول القائد: محمود شيت خطاب، الناشر: دار الفكر، الطبعة الخامسة.

٦٩- الرقائق: محمد أحمد الراشد، الناشر: دار المنطلق، الطبعة الأولى.

٧٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٧١- زاد العباد في هدي خير العباد: ابن القيم الجوزية، تعليق: ابن باز والفقي، الناشر: دار ابن الجوزي القاهرة، سنة النشر: ٢٠٠٨م.

٧٢- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٧٣- الزهد والرقائق لابن المبارك: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.

٧٤- زهرة التفاسير: محمد بن أحمد أبي زهرة، دار النشر: دار الفكر العربي.

٧٥- السخرية البيانية في القرآن: محمد عدنان الخطيب، رسالة ماجستير، المشرف: العالم أحمد اللدن، شعبة التفسير وعلوم القرآن معهد الدعوة بيروت.

٧٦- سلسلة أعمال القلوب: محمد صالح المنجد، الناشر: دار الفجر للتراث، الطبعة الثانية.

٧٧- سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٧٨- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، ترقيم محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار ابن الجوزي_ القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٧٩- سنن النسائي المجتبى: أحمد بن علي بن شعيب النسائي، ترقيم عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار ابن الجوزي_ القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٨٠- سورة الكهف منهجيات في الاصلاح والتغير: صلاح الدين سلطان، الطبعة الأولى.

٨١- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة.

٨٢- سيرة إبراهيم الخليل ﷺ: هشام فهمي العارف، الناشر: دار البشائر الاسلامية، الطبعة الأولى.

٨٣- سيرة ابن إسحاق كتاب السير والمغازي: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م.

٨٤- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث: علي محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ_ ٢٠٠٣م.

٨٥- السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، تحقيق: مصطفى السقا، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية.

٨٦- السيرة النبوية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، عام النشر: ١٣٩٥هـ.

٨٧- سيكولوجية الإشاعة رؤية قرآنية: محمد السعيد، الناشر: دار دجلة، الطبعة الأولى.

٨٨- الشخصيات القرآنية: نزيه محمد علاوي، الناشر: دار صفاء، الطبعة الأولى.

٨٩- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين: محمد إلياس البارهبنكوري، الناشر: دار الأشرف للنشر، سنة النشر:١٤٣٢هـ.

٩٠- شرح رياض الصالحين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.

٩١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة.

٩٢- الصحوة القريبة بإذن الله: محمد الحجار، الناشر: دار البشائر الاسلامية، الطبعة الرابعة.

٩٣- صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: المكتبة الاسلامية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٩٤- الصحيح المسند من أسباب النزول: مُقْبلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ، الناشر: مكتبة ابن تيمية القاهرة، الطبعة: الرابعة.

٩٥- صحيح مسلم: أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ترقيم محمد عبد الباقي، الناشر: ألفا للتجارة والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٩٦- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٩٧- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: ابن القيم الجوزية، الناشر: دار ابن الجوزي القاهرة، الطبعة الأولى.

٩٨- علم البديع: عبد العزيز عتيق، الناشر: دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى.

٩٩- العوائق: محمد أحمد الراشد، الناشر: دار المنطلق، سنة النشر: ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١٠٠- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

١٠١- غزوات الرسول: حامد أحمد طاهر، الناشر: دار الفجر للتراث، الطبعة الثانية.

١٠٢- فتحُ البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق البخاري القِنَّوجي، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٠٣- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٠٤- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن عبد الوهاب، تحقيق: الوليد بن فريان، الناشر: دار ابن الأثير، الطبعة الثانية عشرة.

١٠٥- فتوح الشام: محمد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

١٠٦- فرسان النهار من الصحابة الأخيار: سيد العفاني، الناشر: دار ماجد، الطبعة الأولى.

١٠٧- الفصول في السيرة: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثالثة.

١٠٨- فضائل القرآن: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: مروان العطية، الناشر: دار ابن كثير دمشق - بيروت، الطبعة الأولى.

١٠٩- فقه السير: محمد الغزالي السقا، الناشر: دار القلم دمشق، الطبعة الأولى.

١١٠- الفوائد: ابن القيم الجوزية، الناشر: دار ابن الجوزي القاهرة، الطبعة الأولى.

١١١- في ظلال القرآن: سيد قطب، الناشر: دار الشروق بيروت، الطبعة السابعة عشر١٤١٢هـ.

١١٢- في محكمة التاريخ: عبد الودود شلبي، الناشر: دار الشروق، الطبعة الثالثة.

١١٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي القاهري، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

١١٤- قصص الأنبياء: عماد الدين بن كثير الدمشقي، الناشر: دار الصفا، الطبعة الأولى.

١١٥- قصص القرآن: حامد أحمد طاهر البسيوني، الناشر: دار الحديث القاهرة.

١١٦- القصص القرآني: أحمد الكبيس، الناشر: دار الكتاب الجامعي، الطبعة الأولى.

١١٧- القول المبين في سيرة سيد المرسلين: محمد الطيب النجار، الناشر: دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

١١٨- كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١١٩- كتاب التوكل على الله: الحافظ أبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق: عبد الله بدران وزاهر داود الناشر: مكتبة المنار، الطبعة الأولى.

١٢٠- كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، المحقق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٢١- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة: الأولى.

١٢٢- كتاب تفسير القرآن: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، المحقق: سعد بن محمد السعد، الناشر: دار المآثر المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٢٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

١٢٤- كلمات القرآن تفسير وبيان: محمد حسنين مخلوف، مصحف دار الرشيد.

١٢٥- كيف تحفظ القرآن الكريم: يحي الغوثاني، الناشر: دار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة الأولى.

١٢٦- كيف نتعامل مع القرآن الكريم: يوسف القرضاوي، الناشر: دار الشروق، الطبعة الثامنة.

١٢٧- لا تحزن: عائض بن عبد الله القرني، الناشر: مكتبة العبيكان.

١٢٨- لباب النقول في أسباب النزول: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تحقيق: الاستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٢٩- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الناشر: دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة.

١٣٠- لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، الطبعة الثالثة.

١٣١- مباحث في علوم القرآن: مناع بن خليل القطان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٣٢- مجلة البيان: المنتدى الاسلامي، العدد:٧٩، المكتبة الشاملة.

١٣٣- مجموع فتاوي شيخ الإسلام: أحمد ابن تيمية، الناشر: دار عالم الكتاب، النشر:١٤١٢.

١٣٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحقق: عبد السلام محمد، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٣٥- مختصر تفسير ابن كثير: اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم بيروت لبنان، الطبعة: السابعة.

١٣٦- مختصر جامع العلوم والحكم: زين الدين عبد الرحمن البغدادي المشهور بابن رجب، اختصره: أحمد المزيد، الناشر: مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولى.

١٣٧- مدارج السالكين: للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق: عبد المنعم صالح العزي، الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والترجمة، الطبعة الأولى.

١٣٨- مدرسة الأنبياء عبر وأضواء: محمد الزين، الناشر: دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى.

١٣٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٤٠- مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق: أحمد بن إبراهيم ابن النحاس، تحقيق: صلاح عبد الفتاح الخالدي، الناشر: دار العلوم، سنة النشر: ٢٠٠٣.

١٤١- المصفى من صفات الدعاة: عبد الحميد البلالي، الناشر: دار الوفاء.

١٤٢- معترك الأقران في إعجاز القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

١٤٣- معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨ م.

١٤٤- المعجم الوسيط: المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.

١٤٥- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

١٤٦- المغازي: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة.

١٤٧- المغني في علم التجويد: عبد الرحمن يوسف الجمل، الناشر: مطبعة منصور غزة، الطبعة الثالثة.

١٤٨- مفاتيح الغيب التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠هـ.

١٤٩- مفاتيح تدبر القرآن والنجاة في الحياة: خالد اللحام، الناشر: مكتبة الملك فهد الرياض، الطبعة الأولى.

١٥٠- مفاتيح للتعامل مع القرآن: صلاح عبد الفتاح الخالدي، الناشر: دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٥١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.

١٥٢- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، بيروت، الطبعةالأولى - ١٤١٢ هـ.

١٥٣- مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب: أبي حامد الغزالي، تحقيق: أحمد جاد، الناشر: دار الحديث القاهرة، سنة الطبع: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٥٤- من روائع المنجد: محمد صالح المنجد، الناشر: دار ابن الجوزي القاهرة، الطبعة الأولى.

١٥٥- منظومة المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه (الجزرية): شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

١٥٦- المنهج الحركي للسيرة النبوية: محمد منير غضبان، الناشر: دار الوفاء، الطبعة العاشرة .

١٥٧- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد التهانوي، تحقيق: علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة الأولى - ١٩٩٦م.

١٥٨- الموطأ: الإمام مالك بن أنس، ترقيم: محمد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

١٥٩- موقف الشريعة الاسلامية من الإشاعة: عبد الله بن متعب الحربي، رسالة ماجستير، المشرف: عبد القادر الشبلي، جامعة نايف للعلوم الأمنية.

١٦٠- الوابل الصيب من الكلم الطيب: ابن القيم الجوزية، تحقيق: عادل بن سعد، الناشر: دار ابن الهيثم، الطبعة الأولى.

١٦١- ولكن كونوا ربانين: بلال محمد وهب، الناشر: دار طيبة، سنة النشر: ٢٠٠٩.

خامساً: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	أ
شكر وتقدير	ب
المقدمة	ج
أهمية الموضوع	ج
أسباب اختيار الموضوع	د
أهداف البحث	د
الدراسات السابقة	د
منهج البحث	هـ
التمهيد **معنى الثبات والظلم**	١
المبحث الأول: معنى الثبات لغة واصطلاحاً	٢
المطلب الأول: معنى الثبات لغةً	٣
المطلب الثاني: معنى الثبات اصطلاحاً	٤
المطلب الثالث: صيغ الثبات في القرآن	٥
المبحث الثاني: معنى الظلم لغةً واصطلاحاً	٩
المطلب الأول: معنى الظلم لغةً	١٠
المطلب الثاني: معنى الظلم اصطلاحاً	١١
الفصل الأول **وسائل الظالمين في صد الناس عن الدين**	١٢
المبحث الأول: جهد أهل الباطل لنصرة باطلهم.	١٣
المطلب الأول: السعي الدائم لنصرة باطلهم.	١٤

المطلب الثاني: اجتماع أهل الباطل ضد أهل الحق.	١٩
المطلب الثالث: إنفاق الأموال للصد عن سبيل الله.	٢٢
المبحث الثاني: **السخرية والاستهزاء.**	٢٥
المطلب الأول: الاستهزاء بالرسل.	٢٦
المطلب الثاني: الاستهزاء بالاتباع.	٢٩
المطلب الثالث: الاستهزاء بالمنهج.	٣٢
المبحث الثالث: **طلب المعجزات.**	٣٧
المطلب الأول: نزول الملائكة.	٣٨
المطلب الثاني: أن يكون عند الرسول كنوز وجنان.	٤٠
المطلب الثالث: طلب الكفار المعجزات مثل الأمم السابقة.	٤٣
المبحث الرابع: **الإشاعة والمجادلة بالباطل.**	٤٩
المطلب الأول: الإشاعة.	٥٠
المطلب الثاني: المجادلة بالباطل.	٥٥
المطلب الثالث: المساومة على العقيدة.	٥٨
المبحث الخامس: **التهجير والتعذيب والسجن والقتل.**	٦٣
المطلب الأول: التهجير.	٦٥
المطلب الثاني: التعذيب.	٦٨
المطلب الثالث: السجن.	٧٠
المطلب الرابع: القتل.	٧٣
خلاصة الفصل الأول وأهم النتائج.	٧٥
الفصل الثاني **منهج القرآن في تثبيت المؤمنين في وجه الظالمين**	٧٨
المبحث الأول: **ترسيخ العقيدة في نفوس المؤمنين.**	٧٩
المطلب الأول: تدبر القرآن الكريم والعمل به.	٨١

المطلب الثاني: دراسة قصص الأنبياء وتدبرها.	٩٤
المطلب الثالث: طاعة الله واجتناب نواهيه.	٩٩
المطلب الرابع: ذكر الله ﷻ .	١٠٢
المطلب الخامس: الدعاء.	١٠٥
المطلب السادس: الصبر.	١٠٨
المطلب السابع: معرفة عقاب المنتكسين.	١١٠
المطلب الثامن: التوكل على الله تعالى مع الأخذ بأسباب الثبات.	١١٦
المطلب التاسع: المؤيدات الربانية.	١٣٢
المطلب العاشر: زاد الثابتين على الحق.	١٣٥
المسألة الأولى: معرفة حقيقة الدنيا.	١٣٦
المسألة الثانية: استشعار ثواب الثابتين.	١٣٨
المسألة الثالثة: تذكر الموت والدار الآخرة.	١٤٠
المسألة الرابعة: خشية الله ودوام مراقبته.	١٤١
المسألة الخامسة: الخوف من الاستبدال.	١٤٢
أهم نتائج المبحث الأول من الفصل الثاني.	١٤٣
المبحث الثاني: دحض وسائل الظالمين.	١٤٥
المطلب الأول: جهد أهل الباطل سيكون وبالاً عليهم.	١٤٦
المطلب الثاني: رد القرآن على السخرية والاستهزاء.	١٥٢
المطلب الثالث: رد القرآن على طلب المعجزات.	١٥٩
المطلب الرابع: رد القرآن على الإشاعة والمجادلة بالباطل.	١٦٨
المطلب الخامس: رد القرآن على المساومة على العقيدة.	١٧٨
المطلب السادس: شدة الكافرين سكينة للمؤمنين.	١٧٩
أهم نتائج المبحث الثاني من الفصل الثاني.	١٨٥

الفصل الثالث **نماذج من الثابتين في وجه الظالمين**	١٨٧
المبحث الأول: ثبات الأنبياء عليهم السلام.	١٨٨
المطلب الأول: ثبات سيدنا نوح عليه السلام.	١٨٩
المطلب الثاني: ثبات سيدنا إبراهيم عليه السلام.	١٩١
المطلب الثالث: ثبات سيدنا موسى عليه السلام.	١٩٧
المطلب الرابع: ثبات سيدنا محمد ﷺ.	٢٠٢
المبحث الثاني: ثبات المؤمنين في وجه الظالمين.	٢١٠
المطلب الأول: ثبات مؤمن آل فرعون.	٢١١
المطلب الثاني: ثبات العلماء في زمن قارون.	٢١٢
المطلب الثالث: ثبات امرأة فرعون والسحرة.	٢١٤
المبحث الثالث: ثبات الجماعات المؤمنة.	٢١٦
المطلب الأول: ثبات أصحاب الكهف.	٢١٧
المطلب الثاني: ثبات أصحاب الأخدود.	٢١٨
أهم نتائج الفصل الثالث	٢٢٠
الخاتمة	٢٢١
الفهارس	٢٢٣
أولاً: فهرس الآيات القرآنية.	٢٢٤
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.	٢٤٥
ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.	٢٤٧
رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.	٢٤٨
خامساً: فهرس الموضوعات.	٢٥٩
ملخص الرسالة باللغة العربية.	٢٦٣
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية.	٢٦٤

ملخص الرسالة

الثبات في وجه الظالمين

تناول الباحث في هذه الرسالة الثبات في وجه الظالمين، دراسة موضوعية في آيات القرآن الكريم، وقد تكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

التمهيد: تحدث الباحث فيه عن تعريف الثبات والظلم، وورودهما في القرآن.

الفصل الأول: وهو بعنوان: وسائل الظالمين في صد الناس عن الدين، وجعله الباحث في ستة مباحث: **الأول:** جهد أهل الباطل لنصرة باطلهم، **الثاني:** السخرية والاستهزاء، **الثالث:** طلب المعجزات، **الرابع:** الإشاعة والمجادلة بالباطل، **الخامس:** المساومة على العقيدة، **السادس:** التهجير والسجن والتعذيب والقتل.

الفصل الثاني: وهو بعنوان: منهج القرآن في تثبيت المؤمنين في وجه الظالمين، وجعله الباحث في مبحثان: **الأول:** ترسيخ العقيدة في نفوس المؤمنين، **الثاني:** دحض وسائل الظالمين.

الفصل الثالث: وهو بعنوان: نماذج من الثابتين في وجه الظالمين، وجعله الباحث في ثلاثة مباحث: **الأول:** ثبات الأنبياء عليهم السلام في وجه الظالمين، **الثاني:** ثبات العلماء في وجه الظالمين، **الثالث:** ثبات الجماعات المؤمنة في وجه الظالمين.

الخاتمة: وذكر الباحث أهم النتائج التوصيات.

ABSTRACT

Fortitude in the face of the oppressors

The researcher in this letter fortitude in the face of the oppressors, objective study of the verses of the Quran, This research deals with preface and introduction, three chapter and a conclusion.

Introduction: include the importance of the subject, the reasons for choosing the topic, research objectives, previous studies, and research methodology.

Preface: researcher talked about the definition of consistency and injustice, and mention in the Qur'an.

Chapter One: It is titled: means of oppressors in repelling people from religion, and make it a researcher at Six topic: The first effort the people of falsehood to support falsehood, II: cynicism, third: Request miracles, IV: Propaganda and argue vanities, V: compromising on doctrine, VI: displacement, imprisonment, torture and murder.

Chapter II: It is entitled: approach the Qur'an to install the faithful in the face of the oppressors, and make it a researcher at the two issues, section first: the consolidation of faith in the hearts of believers, II: refute means oppressors.

Chapter Three: It is entitled: models of unwavering in the face of the oppressors, and make it a researcher in three sections: the first: the stability of the Prophets (peace be upon him) in the face of the oppressors, the second: the stability of the scientists in the face of the oppressors, the third: the stability of insured groups in the face of the oppressors.

Conclusion: The researcher mentioned the most important results and recommendations.